الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

مؤتمر القمة الإسلامي الثالث



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

لعدد ١٩٧ ● جمادى الاولى ١٤٠١ هـ ● مارس ١٩٨١ م

هـدفهـا

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرهـا

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة



صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٢٨٩٢٤ _ ٤٤٩٠٥١

● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

مؤتمر القمة الإسلامي الثالث

في المدة من ١٩ ــ ٢٢ من ربيع الأول ١٤٠١ هجري الموافق من ٢٥ ــ ٢٨ يناير ١٩٨١ ميلادي وفي جو ملىء بالرهبة والخشية من الله ، والثقة والأمل في صدق الاتجاه والعمل ، اجتمع قادة وزعماء ثمان وثلاثين دولة اسلامية ، في رحاب البلد الحرام ، وفي كنف الكعبة المشرفة ، مهبط الوحي وقبلة المسلمين . لينظروا أمورهم ، ويتدبروا أحوالهم ، ويناقشوا مشاكلهم ، ويرسموا الطريق المستقيم لاسترداد حقوقهم ، وتحقيق عزتهم وكرامتهم .

وقد كان لجوؤهم إلى بيت الله الحرام ، والطواف به ، أمارة الجد والصدق في اتخاذ السبيل الذي وضعه الله تعالى ، لتحقيق الحياة العزيزة الكريمة (**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) كما كان تجاوبا مع الصحوة الاسلامية المباركة التي تنادي بتخليص أراضي الأمة الاسلامية ومقدساتها من قبضة الاحتلال الصهيوني ــ في القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة ــ والغزو السوفياتي الاستعماري ــ لأفغانستان المسلمة ــ .. كما تنادي بحياة نظيفة طاهرة ، قوية غلابة . تستمد من الاسلام وجودها وقوتها ومن تعاليمه نظافتها وطهرها .

وقد اتخذ المؤتمرون في ختام اجتماعاتهم قرارات ايجابية حكيمة يتحقق بتطبيقها الخير والعزة والمنعة ، وهي تتلخص في :

إعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس وفلسطين وكل الأراضي العربية المحتلة ..

والاستمرار في مساندة مجاهدي أفغانستان حتى يحرروا أراضيهم من الغزو الاستعماري المسلح الذي تقوم به الشيوعية .. وإنشاء محكمة العدل الاسلامية ، ومعاونة الأقليات المسلمة في البلاد غير الاسلامية على الاحتفاظ بحقوقها الدينية والمادية .

ومما لا شك فيه أن تطبيق هذه المقررات فيه إنقاذ للأمة الاسلامية من محنتها ونقل لخطاها على طريق الكرامة والمجد وتخليص لها من المهانة التي حاقت بها .

ولتحقيق الجهاد المقدس يجب الأخذ الفوري بالنظام الاسلامي في كل نواحي الحياة وصبغ الأمة الاسلامية حكاما وشعوبا بصبغة الله . روحا ، وقانونا ، وثقافة ، وعدالة ، وقضاء ، وسلوكا ، وإعدادا لكل وسائل القوة المعنوية والمادية . فبذلك تتوثق الروابط ، وتقوم الأخوة الاسلامية على واقع عملي ، وفي بيئة رشيدة ، تتربى فيها النماذج الانسانية الحية الذي تبذل أرواحها وأموالها في سبيل الله لقاء الجنة :

(ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله) .

كما يجب تنظيم وتنسيق خطة العمل الموحد بين كل الدول الاسلامية التي تعاهدت على الجهاد ، بحيث تقوم كل دولة اسلامية بنصيبها في دعم الخطة عسكريا وماليا وسياسيا واقتصاديا . فان ذلك أقرب الطرق للوصول إلى الهدف المنشود .

كما يجب أن تقف الدول الاسلامية – على المستوى الدولي – وقفة ضاغطة على الدول المناوئة لها ، العاملة على سلب حقوقها ، فان هذا الضغط يفسح للدول الاسلامية المجال نحو أهدافها العادلة .. ذلك ان تلك الدول المناوئة التي تضع العقبات في طريق نهضتنا ، وتتآمر على سلب حقوقنا ، وتعمل على نشر الفساد في ربوعنا ، توهينا لقوتنا واضعافا لروحنا ، دول لها مصالح حيوية في بلادنا لا تستطيع أن تنهض

بغيرها .

إن لدينا سلاحا يهز كيان الدول المعادية لنا وهو (النفط) فهو مادة الحياة والقوة لهذه الدول .. ولا يجوز – في عرف العدل والحق ، وفي رحاب الجهاد المقدس – أن نتغاضى عن استعمال هذا السلاح ، وأن نترك النفط يمضي غزيرا ليمد أعداءنا بأسباب الحياة والقوة ، في الوقت الذي يمدوننا فيه بأسباب الموت والضعف ، ويبسطون إلينا أيديهم وألسنتهم بالسوء ، ويعملون على أن نظل دولا متخلفة إلى الأبد ، نستهلك ما يصنعون وما ينتجون !!

ان أعداء الأمة الاسلامية يأخذون (نفطها) بأرخص الأسعار ، ويخزنونه في مستودعات رحبة ، ويقدمون لها مقابله اغتصابا لأرضها وسلبا لحقوقها !!

لقد سلبوا منها فلسطين بمقدساتها ، وأعطوها لليهود ، منذ ثلاث وثلاثين سنة ومازالوا يساعدون اليهود على توسعات جديدة في بلاد المسلمين ، وما زالوا يعملون على توهين الشخصية الاسلامية حتى لا تتطلع إلى حقوقها ، وحتى تظل كما مهملا بين الدول .

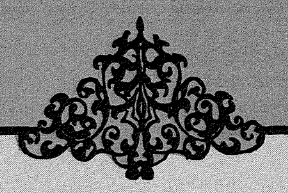
وهيهات ثم هيهات أن تظل الأمة الاسلامية كما يريدها الأعداء فلقد إستيقظ العملاق الذي بيده حل المشكلات والتغلب على الأزمات ..

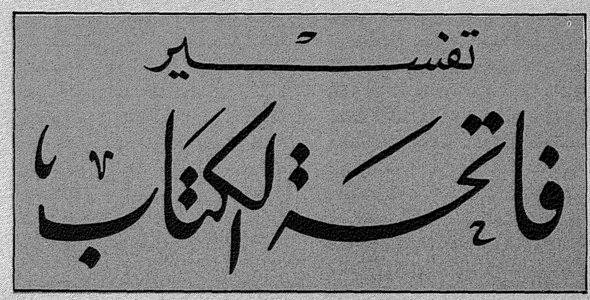
نعم قد استيقظ الاسلام في نفوس المسلمين ليزيح من الطريق كل طاغية جبار .. وما أحسن ما قاله المؤتمرون في بيانهم : (إننا نقدر أن أمتنا الاسلامية تتهيأ لها أسباب أصيلة من مقومات الوحدة والتضامن ، ومن عوامل التقدم والنهضة ومن دواعي العزة والرفاهية بما تملك من كتاب ربها وسنة رسولها وبما لها فيهما من نهج كامل للحياة يرشدها إلى الحق والخير والنجاة) .

ان مؤتمر القمة الاسلامي الثالث أفسح للشعوب الاسلامية مجال الأمل في مستقبل عزيز كريم بما اتخذ من قرارات . والشعوب ترمق تطبيق هذه القرارات بكل تجاوب وحماس وعسى أن يكون ذلك قريبا (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

رئيس التحرير

محمد الأباصيري





للامام الشيخ محمد عبده

تلخيص الدكتور
احمد حسنين القفل

الاقدام على تفسير القرآن الكريم ليس بالامر الهين ، وان كان التصدى لطلبه وتعقله وتدبره امرا مطلوبا . وترجع صعوبة التفسير الى امور كثيرة :

١ ـ منها انه كلام الله المنزل على قلب اكمل الانبياء ، وانه يشتمل على معارف عالية ومطالب سامية لا تدركها حق ادراكها الا عقول صافية ونفوس زاكية .

٢ ـ يجب ان يشعر من يتصدى لتفسير القرآن الكريم بالهيبة والجلال ، وانه يترجم كلام الله تعالى فلا يسجل الا حقا ، ولا يكتب الا صدقا ولا يتصدى الا لما يقدر عليه . ومع ذلك فقد خفف الله علينا الامر ،

فامرنا سبحانه بفهمه وتعقله ، ويسره لنا تيسيرا . ويكون التفسير المطلوب اذن ، هو ما يعين على هذا الفهم ، وما ييسر تعقله وتدبره من حيث هو دين يرشد الناس الى سعادتهم في الدارين وهذا هو الاساس .

وللتفسير وجوه شتى :

١ ــ النظر في اساليب القرآن ومعانيه وما اشتمل عليه من انواع البلاغة واعجازه في هذا المجال :

٢ ــ الاعراب وما يتصل به من بيان وجوهه وما تحتمله الالفاظ في هذا المضمار .

٣ ــ تتبع القصص . وقد زاد قوم في هذا الوجه من التفسير فسجلوا من الاسرائيليات ما يخالف الشرع ولا يطابق العقل .

٤ ــ غريب القرآن .

٥ ــ الاحكام الشرعية من عبادات ومعاملات والاستنباط منها .

٦ ــ الكلام في اصول العقائد ، ومقارعة الزائغين ، ومحاجة المختلفين .

٧ ــ المواعظ والرقائق وان كان البعض قد مزجها بحكايات المتصوفة والعباد بطريقة خرجت بها على المألوف من حدود الفضائل والاداب .

٨ ــ ما يسمونه بالاشارة . وقد اشتبه على الناس لما فيه من ألغاز ونزغات ، دين الله وكتابه بريئان منها .

هذا : وان الافاضة عما ينبغي في اي وجه من الوجوه السابقة دون احتياط وتعقل قد يجنح بصاحبه الى الشطط ، ويبتعد به عن المعاني المطلوبة .

وهناك سؤال مطروح هو : هل يمكن أن يكتفى بتفاسير الائمة السابقين ، ويكتفى بما استنبطوه من كتاب الله ؟ والاجابة : ان هذا زعم لا يستند الى اساس سليم ، فهو مخالف لاجماع الامة ، بداية بالنبي (صلى الله عليه وسلم) حتى آخر واحد من المؤمنين . هذا وليكن معلوما ان القرآن الكريم له سلطانه على نفوس الذين يقرأون فيفهمون ويعقلون ، وله تأثيره في قلوب الذين يتلونه حق تلاوته .

وذلك السلطان وهذا التأثير لا شك تتفتح له القلوب التي شاء الله لها أن تستنير بكلامه والنفوس التي أراد الله لها ان تنشرح بتلاوته وبذلك تدرك القلوب والنفوس بالبرهان ما لا يدرك بالكلام . وشيء اخر وهو ان كثيرا من حكم القرآن ومعارفه واسراره لم يكشف عنها النقاب بعد ولم يحصها عالم ولا إمام . وانما يميط الله عنها اللثام تباعا ليكون للقرآن الكريم

عطاؤه في كل عصر ، وليظل جديدا حيا أبد الدهر . وسيبقى القرآن ـ كما قال أئمة الدين ـ حجة على كل فرد من أفراد البشر الى يوم الدين ، شاهدا لهم أو عليهم .

خاطب الله بالقرآن من كانوا في زمن تنزيله على رسوله ، لا لخصوصية في اشخاصهم ، ولكن لانهم يمثلون الانسان على طول الزمان ، وقد انزل هذا القرآن ليكون هداية لهذا الانسان في كل عصر وزمان ومكان . ولكل انسان ان يفهم آيات الكتاب على قدر طاقته ، يستوى في ذلك العالم الضليع والعامي البسيط ، ويكفي هذا الاخير ما يفهمه من ظاهر الايات وبالقدر الذي يجذب به نفسه الى الخير ، ويصرفها عن الشر ، فالله سبحانه الذي يعلم اقدار عباده وتفاوتهم ، قد انزله لهدايتهم جميعا ، ولو شاء لجعلهم امة واحدة في فهمه ولكن لا يزالون مختلفين . ولذلك خلقهم .

ولتفسير القرآن الكريم مراتب :

أ ـ ادناها : التفسير الاجمالي الذي به يتشرب القلب عظمة الله تعالى وتنزيهه ، وبصرف النفس عن الشر ، ويجذبها الى الخير . وهذا القدر ميسر لكل مؤمن .

ب ـ اما المرتبة العليا ، فتتم بامور منها :

١ ـ فهم حقائق الالفاظ والتدقيق اللغوي مع الاخذ في الاعتبار بان كثيرا من الالفاظ كانت تستعمل زمن التنزيل لمعان ثم نزلت لتفيد معان أخرى ، (مثال ذلك : التأويل ، الهداية .. الخ) ولفهم لفظ من القرآن على حقيقته يحسن ان يجمع مع مشتقاته في كل موضع تكرر فيه في القرآن كله ثم ينظر ما يعنيه في كل منها ، فقد تكون المعاني مختلفة ، حسب الاسلوب وحسب الموضع من السياق .

٢ ـ الاساليب : ينبغي ان تفهم على حقيقتها وذلك بالممارسة مع التفطن والتدبر ومع العناية بمراعاة مكان الوقوف حسب المراد . فقد يتغير المعنى كلية بسوء الوقف .

٣ ـ علم احوال البشر : فالقرآن الكريم آخر الكتب السماوية وهو للناس كافة ، ولهذا فقد جمع ما لم يجمع غيره من احوال البشر وقصص الاقدمين والظواهر الكونية .. الخ .

٤ ـ العلم بالكيفية التي تجعل القرآن هداية للناس جميعا ، برهم وفاجرهم ، وهذه الكيفية يحتم ان تتغير بتغير العصور تبعا لتغير عادات الناس وطباعهم وسلوكهم .

٥ ـ العلم بسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وسلوكهم العلمي والديني والدنيوي .

والتفسير ـ كما يقول الاستاذ الامام ـ عند قومنا حاليا ، وقبل ذلك بقرون عدة ، يقتصر على الاطلاع على ماقاله بعض العلماء في كتب التفسير ، على مافي كلامهم من اختلاف يتنزه عنه القرآن . ولو ان هؤلاء المفسرين ثبتوا جميعا على تفسير واحد يطلبون فهمه من غيرهم له لهان الامر ، ولكنهم ـ وهذا ما يضيفه الاستاذ الامام ـ

« طلبوا التفسير صناعة يفاخرون بالتفنن فيها ، ويمارون فيها من يباريهم في طلبها ، ولا يخرجون في اظهار البراعة في تحصيلها عن حد الاكثار من القول ، واختراع الوجوه في التأويل ، والاغراب في الابعاد عن مقاصد التنزيل »

ثم يبين الاستاذ الامام بعد ذلك ويشير الى امور منها :

١ ـ ان الله سبحانه وتعالى لا يسأل العلماء يوم القيامة عما قاله عامة الناس وفهموه من القرآن ولكنه سوف يسأل العلماء حتما عما فعلوه بكتابه الذي أنزله هدى لهم وبينات ، وعن سنة نبيه التي وضحت ماخفى من هذا الكتاب . وهل بلغوا الرسالة ، وهل ادوا الامانة ، وهل تدبروا مابلغوا ، وهل عقلوا مانهوا عنه ، وما أمروا به ؟ وهل عملوا بما علموا ؟

٢ ـ النهي عن تنشئة الطفل المسلم ملقنا بترديد الالفاظ والايمان الكاذبة دون اكتراث ، واستخدام القرآن في التعاويذ ، وحمل القرآن كتميمة وللبركة . حتى لا ينشأ الطفل ويشيب معتبرا هذه الاكاذيب عبادة ، وكأنه يعبد القرآن ولا يعبد منزل القرآن بالقرآن .

٣ ـ التأدب عند سماع تلاوة القرآن والانصات لتذكر معانيه :

٤ ـ تعليم اللغة العربية ، وفهم أساليبها فهما دقيقا ، والتعرف على آدابها ، حتى يكون كل ذلك مدخلا يعين على فهم القرآن ، وتفسيره ، وتدبره بحق .

تفسير فاتحة الكتاب

أولا : **التسمية ومتى وأين نزلت :**

١ ـ سميت « بالفاتحة » لانها اول سورة في القرآن ترتيبا . فهي افتتاحيته .

٢ ـ تسمى « أم الكتاب » لانها اجملت كل ما فصل في القرآن على نحو ما سيتضح بعد .

٣ ـ قالوا : إنها المراد « بالسبع المثاني » في قوله تعالى : **(ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)** الحجر /٨٧

وليس في الفاتحة ناسخ ولا منسوخ ، وهي مكية ـ في الرأي الغالب ـ وقال بعضهم : إنها نزلت مرتين : مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، وأخرى بالمدينة حين حولت القبلة . وقال كثيرون : انها اول سورة نزلت بتمامها . ويرجح البعض انها اول مانزل من القرآن على الاطلاق ، حتى قبل قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) استفتاح سورة العلق ودليلهم في هذا انها تجمل معنى القرآن كله ، ومن ثم ، نزل االاجمال قبل نزول التفصيل جميعه .

ثانيا : **المعنى الاجمالي :**

تشتمل الفاتحة على مجمل مافي القرآن ، بمعنى ان الاصول التي وردت في الفاتحة جاءت مفصلة في القرآن كله ، وليس في هذا القول إشارة بالحروف (كمن يقولون : ان اسرار القرآن في الفاتحة ، واسرار الفاتحة في البسلمة ، واسرار البسملة

في بائها ، واسرار الباء في نقطتها ، فهذا كلام لا يستند الى أســاس ، وانما هو كلام مخترع يفقد القرآن خاصته وهي البيان) .

ويمكن اجمال ما أنزل القرآن من أجله في أمور هي :

١ ـ التوحيد لالغاء الوثنية .

٢ ـ وعد من أخذ به ، وتبشـيره بالمثوبة ، ووعيد من جافاه ، وانذاره بسوء العقوبة .

٣ ـ العبادة التي بها يحيا التوحيد في القلوب ، ويثبت في النفوس .

٤ ـ توضيح سبيل السعادة الموصل الى نعيم الدنيا ونعيم الاخرة .

٥ ـ قصص من وقف عند حدود الله ، والتزم بأحكام دينه ، واخبار الذين انحرفوا ، وتنكبوا الطريق المستقيم ، وكل ذلك من أجل الاعتبار ، واختيار طريق المحسنين .

والفاتحة بآياتها السبع تشتمـل على إجمالي هذه الامور :

١ ـ فالتوحيد يدل عليه قوله تعالى : **(الحمد لله رب العالمين)** فكل نعمة مصدرها الله ، في الانسان كانت او فيما عداه ، وكل التصرفات لله في كل ملكوته ، ولما كان التوحيد أهم ما جاء لأجله الدين ، فقد استكمل في الفاتحة بقوله سبحانه : **(اياك نعبد واياك نستعين)** فاجتثت بذلك جذور الشرك والوثنية ، وسقط كل طاغوت يدعى من دون الله .

٢ ـ واما الوعد فيكمن في « البسملة » ففيها رحمة وسعت كل شيء ، وفيها وعـد بالاحســان ، لا سيمــا وان « **الرحمن الرحيم** » تكررت ثانية بعد عبارة التوحيد ، اما الوعيد والوعد معا فيكمنان في قوله تعالى : **(مالك يوم الدين)** فاللــه سبحانــه هو السلطان بلا منازع يوم الجزاء ، وله سبحانه السيادة المطلقة ، فيجازي كل نفس بمــا كسبــت ، ثوابــا للمحسنين ، وعقابا للمسيئين ، وذكر **(الصراط المستقيم)** بعد ذلك ، يدل دلالة واضحة على ان من سلكه نجا وفاز ، ومن تنكبه هلك وخسر .

٣ ـ اما العبادة : فبعد ان ذكرت في مقام التوحيد ، بقوله تعالى : **(اياك نعبد واياك نستعين) اردفها الله بطلب عبيده منه قائلا : (اهدنا الصراط المستقيـــم)** المؤدي الى السعادة ، وكمال العبادة بعد التوحيد هو التــواصى بالحــق ، والتــواصى بالصبـــر ، كمـــا جاء في سورة « **العصر** » وروح العبــادة هي : إشراب القلوب خشية الله وهيبته ، والرجاء الخاشع لفضله ، وليســت عمـــلا بلا روح ، وحـــركات بلا مضمون ، فمخ العبادة الفكر والذكر والعبرة .

٤ ـ أما توضيح سبيل العبادة فيكمن في طلب الهداية الى طريق وصـف بالمستقيم ، فهـو غـير ذي عوج ، يسلكه الذين أنعم الله عليهم بصفة مطلقة وبلا تحديد .

٥ ـ وأما القصص والأخبار فتكمن في قوله تعالى :

أ ـ **(صراط الذين أنعمت عليهم)** وهم الذين التزموا احكام الله ، فانعم عليهم بالهداية على نحو ما سيتضح بعد .

ب ـ (**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**) ويلاحظ ان « **المغضوب عليهم** » هم من ضلوا عن صراط الله ضلالا كبيرا ، اما « الضالون » فهم من جاحدوا وعاندوا من يدعو الى صراط الله .

ويتضح مما سبق ، ان الفاتحة قد اشتملت اجمالا ، على الاصول التي يفصلها القرآن الكريم تفصيلا ، في بقية سوره جميعها ، ولذا كانت الفاتحة جديرة بأن تسمى « **ام الكتاب** » .

ثالثا : البسملة :

١ ــ القرآن الكريم إمامنا وقدوتنا ، وهو دستور حياتنا ، وافتتاحه بالبسملة ، ما هو الا ارشاد لنا ، بأن نفتتح أعمالنا .. كل أعمالنا ــ بالبسملة .

٢ ــ ليس معنى الافتتاح بالبسملة ، هو ذكر الله على سبيل التبرك والاستعانة فقط بل ان عبارة « **باسم الله** » **كما وردت في البسملة بنصها ، مطلوبة بذاتها ولذاتها . فلا يكفي مثلا أن أفتتح عملا فأقول : « بالله الرحمن الرحيم »** أفتتح عملي ، ولكن لابد ان ينص فأقول : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » عند افتتاح العمل .

والمعنى يكون اذن :

أ ــ انني اعمل بأمر من الله ، واعمل له دون سواه ، ولا أعمل باسمي مستقلا به على انني صاحب العمل ، ولا باسم غيري من البشر . فكأني اقول بصريح عبارتي : ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي ، ولا لحظ غيري .

ب ــ أو هو اعتراف كامل مني بأن القدرة التي أنشأت بها العمل أو أنجزته ، انما هي من الله تعالى ، فلولا انه منحني قوتي ما انجزت شيئا . واذن فهذا العمل لم يصدر عني الا باسم الله وليس باسمي .

وقد تم هذا المعنى باتباعه بلفظ « **الرحمن الرحيم** » وخلاصة معنى « **باسم الله** » أني أعمل عملي ــ الذي بدأته بالبسملة ــ متبرئا من ان يكون باسمي بل هو باسمه تعالى ، لانه سبحانه مصدر قوتي ورعايتي ، ولولا ذلك ما استطعت الانجاز ، ولا قمت بالتنفيذ ، ومن ثم ، تكون عبارة « **باسم الله** » مطلوبة بذاتها ، ويكون مطلوبا ايضا اردافها بعبارة « **الرحمن الرحيم** »

٣ ــ وكأول بسملة في أول سورة من القرآن الكريم ، فان معناها يكون ان جميع ما يقرر في القرآن الكريم من احكام وآيات .. الخ ، هو لله ، ومنه سبحانه ، ليس لاحد غير الله فيه اي نصيب .

٤ ــ لفظ « **الرحمن** » ولفظ « **الرحيم** » مشتقان من « الرحمة » . والرحمة في الانسان ألم في النفس علاجه وشفاؤه الاحسان .. ولما كان الله سبحانه وتعالى منزها عن الآلام ، والانفعالات ، فالرحمة بالنسبة اليه سبحانه تقتصر فقط على أثرها ، دون مبعثها ، والاثر هو الاحسان من الله الى عباده كرما وفضلا .

وكلمة « **الرحمن** » غير كلمة

« **الرحيم** » وليس في القرآن الكريم كلمة تغاير كلمة اخرى ، ثم تأتي لمجرد تأكيدها ، بدون ان يكون لها في ذات نفسها معنى تستقل به ، حتى ولو كان هذا المعنى زيادة في معنى الكلمة الاخرى ، تقريرا لها أو إيضاحا ، ولكن لا يكون « مرادفا » لها تماما . والجمهور على أن :

أ ـ معنى « **الرحمن** » : المنعم بجلائل النعم ، أو المنعم بنعم عامة ، تشمل الناس جميعا لا فرق بين مؤمن وكافر ، وصفة « **الرحمن** » **تدل على كثرة الاحسان ، ودوامه ، واستمراره ، واتصاله ، وصفة** « **الرحمن** » من صفات الله وحده .

ب ـ ومعنى « **الرحيم** » المنعم بدقائق النعم . او : المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين او : هو منشأ ومنشيء الرحمة والاحسان . وصفة « **الرحيم** » صفة ثابتة واجبة لله تعالى .

وبهذا يكون الوصفان مختلفين . فصفة « **الرحمن** » هي صفة المفيض للنعم فعلا . اما صفة « **الرحيم** » فهي صفة ثابتة يمتد أثرها من الله على مخلوقاته . ولكن ذكر « **الرحيم** » بعد ذكر « **الرحمن** » تكون كذكر « الدليل » بعد « المدلول » ليقوم شاهدا وبرهانا عليه .

رابعا : قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم)

١ ـ عبارة « **الحمد** » معناها الثناء الجميل باللسان (تفاديا للثناء بالشر) ومعنى عبارة « **الحمد لله** » أن أي شيء يستوجب الحمد فالله مصدره . واليه مرده ومرجعه ، ومعناه ايضا : ان الحمد يكون لله ، وعلى اي حال ، وفي اي حال . والجملة خبرية بمعنى انها تثبت ان الثناء الجميل في اي من انواعه تحقق ، فهو ثابت له تعالى ، وراجع اليه لأنه متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون . والخلاصة : ان اي حمد يتوجه الى محمود ما فهو لله تعالى : سواء لاحظه الحامد أم غفل عنه .

٢ ـ اما عبارة « **رب العالمين** » فوصف يشعر ببيان وجه الثناء المطلق .

و « **الرب** » هو السيد المربي ، الذي يسوس مسوده ، ويربيه ، ويدبره ، ولفظ « **العالمين** » يراد به جميع الكائنات ، أي كل المخلوقات بعواملها المتعددة والممكنة .

٣ ـ وعبارة « **الرحمن الرحيم** » تقدم معناها . ولكن لماذا كررت ثانية هنا بعد ورودها في البسملة ؟ ذلك لان تربية العالمين ليست لاحتياج الله اليهم في جلب منفعة او دفع مضرة عنه سبحانه ، وانما هي لعموم رحمته ، وشمول احسانه ، وحتى لا ينصرف مفهوم الربوبية الى الجبروت والقهر ، فاراد سبحانه ان يذكر عباده بانه « **الرحمن** » اي المفيض للنعم بسعة وبتجدد لا منتهي لهما ، وأنه « **الرحيم** » الذي ثبتت له صفة الرحمة ، فلا تفارقه ابدا ، ولا ينافي عموم الرحمة وسبقها ما شرعه الله من العقوبات في الدنيا ، وما اعده من العذاب في الاخرة ، لمن تنكب

الطريق . فكما ان الرحمة ترغيب للمطيع لينيب ، فهي ترهيب للمنحرف لينزجر ويثوب .

خامسا : قوله تعالى : (مالك يوم الدين)

١ ــ قيل ان قراءتها : « **بملك** » ابلغ من قراءاتها « **بمالك** » فاللفظ الاول يدل على السلطان والقوة والتدبر ، وقيل ان القراءة باللفظ الثاني ابلغ لان « الملك » يدبر الاعمال العامة دون الخاصة . والمقصود « **بالدين** » الجزاء والخضوع .

٢ ــ وقال الله : (**مالك يوم الدين**) ولم يقل « **مالك الدين** » فقط لنعلم نحن ، ويؤكد سبحانه ان للجزاء يوما محتوما ممتازا على سائر الايام ، تجزى فيه كل نفس بما كسبت . واذا كان كل يوم من ايام حياتنا في الدنيا هو « **يوم جزاء** » فملاقاة البؤس جزاء تفريط صاحبه ، وهكذا .. الخ . الا ان الجزاء في الدنيا قد تتوه معالمه في ترجمة الاحداث فلا يفطن له عامة الناس ولا حتى افرادهم . فالامة المنحلة قد يحل بها عدل الله كمجموعة ، ولكن قد يوجد فيها من الظالمين من يتمرغون في الثراء ، والملذات ، والترف دون ان يتضح عدل الله فيهم في دنياهم . ومن ابرز الامثلة في هذا الصدد ، هؤلاء الملوك والامراء الذين تشقى بهم شعوبهم .. وعلى عكس هؤلاء ترى محسنين وصالحين يضنيهم المرض ويطحنهم الفقر .. وهكذا .. وما كل ذلك الا لأمر يريده الله لهم ولا يظهرهم عليه . اما في «**يوم الدين**» فسوف توفى كل نفس ماكسبت (**لا ظلم اليوم**) غافر/١٧ لأن (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلزلة ٧ ، ٨ ويكون (**والامر يومئذ لله**) الانفطار/١٩

٣ ــ وقد أردف سبحانه عبارة « **الرحمن الرحيم** » ــ وهي كما وضح معناها سابقا ــ بعبارة « **مالك يوم الدين** » ليعرفنا سبحانه أنه ان كان يدين عباده ويجازيهم على أعمالهم . فلا يظلم مثقال ذرة ، فان رحمته وسعتهم فرباهم بنوعى التربية كليهما : الترغيب والترهيب . وتشهد بذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : (**نبيء عبادي اني انا الغفور الرحيم . وان عذابي هو العذاب الاليم**) الحجر ٤٩ و٥٠ وقوله سبحانه : (**إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم**) الانعام ١٦٥

سادسا : قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) :

١ ــ العبادة : ضرب من الخضوع : الذي يبلغ حد النهاية ، والذي ينشأ عن استشعار القلب عظمة للمعبود لا يعرف مصدرها . واعتقاد من جانب العبد بسلطة للمعبود لا يدرك كهنها ، ولا ماهيتها ، وقصارى ما يعرفه العابد منها انها سلطة محيطة به من كل جانب ، ولكنها فوق ادراكه . فمن ينتهي الى اقصى درجات الذل لملك من البشر لا يقال انه عابد له حتى وان قبل مواطىء اقدام سيده ، مادام سبب الذل والخضوع معروفا . وهو خوف من ظلم واقع ، لا يملك له من

دافع ، او طمع في كرم نافع ، او جاه شافع .

٢ ــ لذلك قالوا : ان لفظ « **العباد** » مأخوذ من « **العبادة** » فتكثر اضافته الى الله تعالى ، اما لفظ « **العبيد** » **فتكثر اضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من « العبودية »** بمعنى الرق ، وهناك بون شاسع بين العبادة والعبودية .

٣ ــ لكل عبادة صحيحة اثرها في تقويم أخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والاثر انما يكون عن تلك الروح وذلك الشعور الناشئين عن التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة للعبادة عارية من هذا المعنى ، فانها لا تكون عبادة . كما ان صورة الانسان أو تمثاله لا تمثل انسانا حقيقيا (ولذا يطلب الله اقامة الصلاة ، ولا يطلب الصلاة بلا اقامة)

٤ ــ وأما « **الاستعانة** » فهي طلب المعونة ، والمعونة : هي سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز صاحب العمل عن اتمامه بنفسه ، بعد بذل كل طاقة ممكنة فيه ..

كل عمل يعمله الانسان ، تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التي اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية الى هذا العمل . وقد مكن الله الانسان بما يسره له من علم وقوة وعقل من دفع بعض الموانع ، وكسب بعض الاسباب ، وحجب عنه بعض الموانع والاسباب الاخرى . ومن ثم فيجب على من يناط به اداء عمل ــ اي عمل ــ ان يبذل قصارى ما يستطيع من حول وقوة من جهته ، اذا اقتضى الامر ذلك او بالاستعانة بغيره اذا اقتضت الضرورة مساعدة ومعونة .

ثم بعد ذلك ــ اي بعد الاخذ بجميع الاسباب الممكنة ــ يفوض الامر فيما وراء ذلك الى القادر على كل شيء ، اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ومالكها ، مثال (**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله**) البقرة/٢٤٩

فقوله تعالى : (**اياك نستعين**) استكمال لقوله تعالى : (**اياك نعبد**) لان الاستعانة بهذا المعنى : فزع من القلب الى الله ، وتعلق من النفس به . وذلك مخ العبادة .

٥ ــ وترشدنا آية (**واياك نستعين**) على امرين عظيمين هما معراج السعادة في الدنيا والاخرة . وهما :

أ ــ ان نمارس الاعمال النافعة مجتهدين في اتقانها جهد طاقتنا ، ثم نكل الامر بعد ذلك لله وحده فيما لا طاقة لنا به .

ب ــ وجوب تخصيص الاستعانة بالله وحده ــ بلا شريك ــ فيما وراء الطاقة . (ولا ينافي ذلك الاستعانة بالغير استكمالا للاسباب) ومن يثق في الله وعونه ، لا يطلب المعونة من سواه ، ولا يلجأ الى غيره من « **الروحانيين والدجالين** » من الاحياء والاموات ، ولا يلجأ الى التعاويذ والتمائم ، وهذا ليعيش المؤمن مع الناس حرا كريما ، ومع الله عبدا له خاشعا خاضعا .

سابعا : قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم)

الهداية لغة : هي الدلالة بلطف على ما يوصل الى المطلوب ، وقد منح الله الانسان اربع هدايات يتوصل بها الى سعادته وهي :

١ ـ هداية الوجدان الطبيعي ، والالهام الفطري (بكاء الطفل اذا جاع ـ مص الطفل للبن الثدي)

٢ ـ هداية الحواس والمشاعر ! وهي مكملة للهداية الاولى . ويشترك الانسان مع الحيوان في هذه الهداية ، واعتماد الحيوان عليها اوضح (الغرائز كما في النمل والنحل .. الخ)

٣ ـ هداية العقل : وهي ميزة للانسان وحده دون سائر الاحياء ، ليعيش في مجتمع يعمل فيه باختياره ، ويتقدم بالعلم المكتسب ، وبالخبرة والمران ، لا بالفطرة ، كالحال في الحيوانات .

٤ ـ هداية الدين : قد يسلك الانسان بهداياته السابقة ـ وخاصة بهداية العقل ـ مسالك الضلال ، فيسخرها لشهواته ولذاته ونزواته ، حتى تورده موارد التهلكة ، من ظلم لنفسه ، وظلم لغيره في مجتمعه الذي يعيش فيه ، لذا كانت هداية الدين اساسية وجوهرية ، لترشد الناس في ظلمات اهوائهم ، اذا غلبت عليهم شقوة عقولهم ، ولكي تبين لهم حدود اعمالهم ليقفوا عندها ، ويكفوا ايديهم عما وراءها . والله الذي يعلم من خلق ، هو الذي يسن الاحكام التي تصلح صنعته ، وتهديها الى بر الامان ، والى سعادة الدنيا والاخرة .

وهناك هداية اضافية خامسة ، ويراد بها طلب الاعانة والتوفيق والسير في خير طريق ، والنجاة مع الدلالة ، ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال في فهم احكام دينه ، وفي استخدام حواسه ، واستعمال عقله ، كان الانسان في أمس الحاجة الى هذه الهداية الاضافية الخاصة ، وقد أمرنا الله ان نطلبها منه في قوله : **(اهدنا الصراط المستقيم)** ومعناها : ياربنا دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك ، تحفظنا بها من الضلال والخطأ . ويعتبر هذا اول دعاء قرآني ـ لانه ورد في الفاتحة ـ علمنا الله اياه ، لان حاجتنا اليه سبحانه اشد من حاجتنا الى اي شيء سواه .

والصراط (او السراط) : هو الطريق . ولفظ « **مستقيم** » يدل على انه غير معوج اي ليس به انحراف عن الغاية او الهدف الذي يجب ان ينتهي اليه . ويكون « **الصراط المستقيم** » **اذن هو كل ما يوصلنا الى سعادة الدنيا ، وسعادة الآخرة ، من عقائد ، وآداب ، واحكام ، وتعاليم .**

وطلب الهداية الى الطريق المستقيم من الله ، وتكرير العبد المؤمن لها في كل ركعة من صلاة تجعله اذا اخطأ يسارع فيتوب ، واذا تاه يسرع الى رشده ويثوب .

ثامنا : قوله تعالى : (صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

أ ـ من هم « **الذين انعم الله**

عليهم » ؟

قال البعض : انهم هم المسلمون ، ولكن لما كانت الفاتحة اول ـ او من اوائل ـ سورة انزلت ، ولما كان المسلمون وقت انزالها قلة ، وهم الذين يطلبون من الله ان يهديهم الصراط المستقيم ، اي صراط المنعم عليهم ، صار من الاولى ـ والحال على ما قدمنا ـ ان يكون المراد هو ما جاء في قوله تعالى : **(فبهداهم اقتده)** الانعام/ ٩٠ وهم **(الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)** النساء/ ٦٩ من الامم السالفة . وبذلك يكون ما اجمل في الفاتحة قد احيل على معلوم فسره وفصله بقدر الحاجة . والملاحظ ان ثلاثة ارباع القرآن الكريم تقريبا قصص وتوجيه للانظار الى الاعتبار باحوال الامم في كفرهم وايمانهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ، وهذه اشارة واضحة لنا ـ نحن المؤمنين ـ بتحبيذ دراسة تاريخ الامم ، ومعرفة احوالها ، والاسباب التي رفعت من شأنها ، او حطت من كيانها .

ويلوح في هذا المقام سؤال هو : كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمونا وعندنا احكام وارشادات في قرآننا لم تكن عندهم ؟ وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم ، واصلح لزماننا ومابعده عن شرائعهم ؟ .

والاجابة : ان دين الله في جميع الامم اي في كل الرسالات واحد . وانما تختلف الاحكام بالفروع التي تختلف باختلاف الزمان . واما الاصول فلا خلاف عليها او فيها **(قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم)** آل عمران/ ٦٤ **(إنا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده)** النساء/ ١٦٣ **(آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله)** البقرة/ ٢٨٥

ب ـ من هم « **المغضوب عليهم** » ؟

قال البعض : انهم اليهود . ولكن فريق المغضوب عليهم يشمل كل من خرج على الحق بعد علمه به ، والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافا عن الدليل ، واكتفاء بما ورثوه عن آبائهم او قلدوه .

جـ : من هم « **الضالون** » ؟

قال البعض : انهم النصارى . ولكن فريق الضالين يشمل في الحقيقة فريق المغضوب عليهم ، وهم الذين وصلهم الحق ، وعرفوا الحقيقة ، ولكنهم نبذوا كل شيء وراء ظهورهم . كما يشمل فريق الضالين فئات اخرى لم يتضح الحق جليا لهم ، فهم تائهون هائمون ، اذ ان الرسالة لم تبلغهم قط ، او بلغتهم على وجه لم يتبين لهم فيه الحق . والفئات الاخيرة هذه هي الاجدر باسم « **الضالين** » اذ الضال هو التائه العمي الذي لا يهتدى الى المطلوب . والعماية في الدين هي الشبهات التي تلبس الحق بالباطل ، وتشبه الصواب بالخطأ .

والضالون على اقسام :

١ ـ فئة من لم تبلغهم الدعوة الى الرسالة ، او بلغتهم مشوهة بحيث لم يتوافر لهم من انواع الهداية سوى

مايحصل بالحس والعقل ، وهؤلاء قد حرموا رشد الدين ، وسلوك هذه الفئة في دنياهم هو التخبط والتيه ، اما امرهم في آخرتهم فعلى انهم لن يتساووا مع المهتدين في منازلهم . وقد يعفو الله عنهم ، فهو الفعال لما يريد .

٢ ـ من بلغتهم الدعوة على وجه يبعث على النظر ، فساقوا همتهم اليه ، واستفرغوا جهودهم فيه ، ولكن دون توفيق الى الاعتقاد بما دعوا اليه ، وانقضى عمرهم وهم في الطلب . وهذه الفئة تتكون من آحاد اي افراد مبعثرة في الامم ، بحيث لا يعم حالهم شعبا كاملا . وذهب البعض (الاشاعرة) الى ان الفرد الضال من هذه الفئة ترجى له رحمة الله تعالى . ويذهب الجمهور الى ان مؤاخذة الفرد الضال تكون اخف من مؤاخذة الجاحد الذي استعصى على الدليل ، وكفر بنعمة العقل ، ورضي بحظه من الجهل .

٣ ـ من بلغتهم الرسالة ، وصدقوا بها ، بدون نظر في ادلتها ، ولا وقوف على اصولها . فاتبعوا اهواءهم ، وحكموها في فهم ماجاءت به اصول العقائد . وهؤلاء هم « المبتدعة » في كل دين ، ومنهم المبتدعون في الدين الاسلامي ، وهم المنحرفون في اعتقادهم عما تدل عليه جملة القرآن ، وما كان عليه السلف الصالح واهل الصدر

(مثال : من يحلف على المصحف كذبا ولكنه لا يجرؤ ان يحلف بالولى من البشر كذبا) مثال : المهونين مخالفة الله على نفوس العبيد)

٤ ـ الضلال في الاعمال وتحريف الاحكام عما وضعت له . كالخطأ في فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات والخطأ في الاحكام التي جاءت في المعاملات (مثال : الاحتيال في الزكاة بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول ثم استرداده بعد ذلك)

وكل فئات الضالين السابقة ـ فيما عدا الفئة الثانية ـ يظهر اثرها في الامم فتختل قوى الادراك فيها ، وتفسد الاخلاق ، وتضطرب الاعمال ، ويحل بها الشقاء عقوبة من الله لابد من نزولها بهم ، وكل هذه دلالات غضب الله عليهم . ولهذا كانت الدعوة في الفاتحة بطلب الهداية بطريق الذين ظهرت نعمة الله بادية وظاهرة فيهم ، وطلب تجنيب طريق اولئك الذين ظهرت فيهم آثار نقمة الله بالانحراف عن شرائعه ، سواء كان ذلك عمدا وعنادا ، أم غواية وضلالا .

والامة اذا ضلت وانحرفت ، ولعب الباطل بأهوائها ، فسدت اخلاقها ، ووقعت في الشقاء ، وسلط الله عليها من يذلها ولا يرحمها ، وعجل عذابها في الدنيا ، لدرجة قد تصل الى محو أثرها كلية من الوجود : كما حصل لأمم سابقة . اما الافراد ، فلم تجر سنة الله بلزوم تعجيل العقوبة لكل ضال في هذه الحياة الدنيا . فقد يستدرج الضال ، ويدركه الموت ، قبل زوال النعمة عنه . ولكنه سيلقى جزاءه حتما **(يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله)** الانفطار/ ١٩



ما أكثر الدروس وما أعمق المعاني التي يمكن أن نخرج بها كلما حاولنا فهم الاسلام .

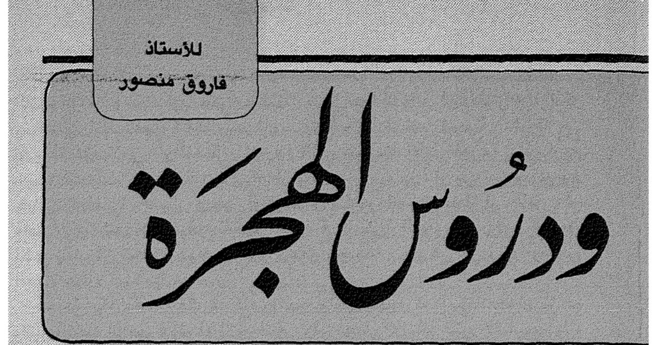
اننا كلما بذلنا جهدا لمعرفة جوانب هذا الدين القيم ، وفهم قيمه وتعاليمه ، وتحليل سيرة رسوله العطرة ، وأقواله الصادقة الهادية أو أعمال رجال الاسلام ومواقفهم المشرفة المليئة بالمعاني والعبرة ، كلما حاولنا ذلك ازددنا اعجابا بهذا الدين الذي كرم عقولنا وقلوبنا فاهتدت اليه .

اننا عندما ندرك هذا الدين فاننا ندرك أنصع الحقائق التي تنير طريقنا وتجنبنا الزلل ، وتقودنا الى الفضل والفضيلة ، وتقينا الوقوع في الإثم والخطأ ، وتلهمنا الرشد ، وتهدينا الى صراط مستقيم .

العقيدة .. والحياة .. والفكر

ما أعظم هذا الدين عندما يكون عقيدة لقوم يدركونها ، وحياة لاناس يعيشونها ، وفكرا لأمة تعي حقائقه ، وتتفهم معانيه ، وتنهض بمطالبه ، تسليما بحق الله خالقها ، وقياما بواجبها تجاه نفسها ، وادراكا لحياتها وما تتطلبه ، ودنياها وما يصلح لها وما لا يمكن أن تصلح الا به . فالاسلام بكل جوانبه المضيئة المشرقة يعطي عطاء مثمرا حقا وعدلا وأمنا ومودة وإخاء ، ويؤدي الى قيام الحياة السعيدة الصالحة ويحقق السعادة الكاملة المثالية لمجتمع كامل مثالي .

واننا عندما نقف أمام هذا الدين ونعايشه معايشة واعية ، نتفهم العقيدة التي جاء بها الكتاب الكريم ، وبلغها الرسول الصادق الأمين ، أو عندما نعايش السيرة العطرة النضرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، أو نعايش كل الأقوال المضيئة الهادية للسلف الصالح الملتزم قولا وسلوكا بالكتاب والسنة ، أو نعي تاريخا طويلا مشرقا تمتليء صفحاته أمجادا وبطولات وفضائل لقوم آمنوا بربهم ، وصدقوا نبيه وصدقت أعمالهم واقوالهم ، فحملوا أمانتهم ، وقاموا برسالتهم ،



عندما نعايش ذلك ونتفهمه فاننا نكون قد وضعنا ايدينا على الطريق ، وفتحنا الباب أمام عقولنا لتدرك وتعي ، وتصنع من إدراكها ووعيها بناء جديدا ، وحياة جديدة جديرة بها أمتنا الاسلامية .

.. إنه واجب فكرنا الاسلامي

واذا كنا عندما نتفهم الاسلام ونعي حقائقه تسمو نفوسنا ، وتعلو مداركنا ، واذا كان الفهم والادراك يوفر لدينا طاقة على العمل ، وقدرة خلاقة للابداع والاضافة ، وهذا من شأنه أيضا أن يعطينا مزيدا من الثقة يدفعنا لأن نجعل من شعورنا حقيقة ، ومن رغباتنا في البناء واقعا ، فانه يمكن نتيجة لذلك ، واستقراء له أن يقال : أن فهمنا للاسلام ، ووعينا للحقائق الاسلامية من شأنه أن يغير حياتنا ، ويطور مفاهيمنا ، وينقلنا من واقعنا الذي نشكو رتابته ، ونتألم من تخلفنا فيه ، وضعفنا عن كثير من الأمم التي تملك اليوم القوة بأنواعها ـ الى حياة مليئة بالعطاء ، يدب فيها النشاط ، ونستطيع أن نكون كغيرنا أو نسبق هذا الغير ونتفوق عليه خاصة وأن ذلك هو دورنا ورسالتنا .

وعندما نسلم بذلك ـ والتسليم به بديهة ـ فان واجبنا حينذاك يكون ، الإقرار بأننا يجب أن نفعل ما نؤمن أنه الحق والخير ، فنحاول فهم الاسلام والعمل به ، واذا كان ذلك يأتي نتيجة للفهم والاقناع ، فانه أيضا يتأتى من صريح دعوة الاسلام ، ومن كمال الايمان بها ، بل من اشتراط الايمان بها . فان هذا الدين قد جاء يبني وينظم ، وقد تنزل ليعيش الناس به وعليه ، يهتدون بهديه ، ويتخلقون بقيمه ، ويتعاملون بشرائعه .

وتسليما بذلك كله ، وتحقيقا له ، فان الفكر الاسلامي المعاصر عليه دور يجب أن يؤديه ، وعليه عبء يجب أن ينهض به في هذه المرحلة التي نمر بها ، وفي هذه

الفترة الزمنية والحضارية التي نعيشها ، يتمثل هذا الدور في أن يعايش هذا الفكر حياتنا وتراثنا يتفهم كتابنا وسيرة رسولنا ، والصفحات المضيئة المشرقة من تاريخنا الاسلامي ، والنضال المشرف الذي خاضته الأمة العربية عبر تاريخ طويل ، ثم يأخذ من ذلك كله ما يمكن أن يأخذه من دروس ، أو يعيه من قيم ليربط حياتنا المعاصرة بالدين ، ويبلور العقيدة من سلوك وأساليب حياة أو معاش ، ثم عليه أن يكتشف بعد قيامه بعملية الدراسة ومحاولة الفهم والادراك ـ الطريق الذي يجب أن تسلكه جماهيرنا لكي تحقق وجودها ، وتبرهن عن ذاتها وتعطي الحياة عطاء اسلاميا معاصرا .

فحينئذ يكون هذا الفكر قد قام بواجبه وتكون أجيال قد استطاعت أن تؤدي واجبها تجاه العصر ، وتجاه الانسانية ، وأن تحمل الرسالة التي كلفنا بحملها ، والتي يجب أن نؤديها بأمانة ، ونتفانى في هذا الأداء مهما كلفنا من جهد أو حملنا من مشاق .

صعاب يجب أن تزول

ولكن أمام الفكر الاسلامي المعاصر صعاب تعترض قيامه بهذا الواجب ، وتمنعه عن تحقيق كل المطلوب منه بالدرجة الكبيرة والفعالة التي نريدها ، تتمثل هذه الصعاب في تلك الجفوة المصطنعة بين ثقافتنا وتراثنا ، بين ما لدينا من فكر اسلامي موروث وما نعيش فيه من فكر غريب عنا ، مختلف كل الاختلاف عن طبيعتنا وظروفنا البيئية والنفسية والعقائدية .

أضف الى ذلك أن الكثيرين منا لم يعد بمقدورهم اليوم وعي ما لدينا من تراث ، لأنهم بعدوا عن لغته أو روحه ، أو انسلخوا من قيمه وخصائصه فأصبحوا غير صالحين لفهمه فكيف يمكنهم اذن الافادة منه أو الانتفاع به .. ؟

واذا نظرنا اليوم الى هذه الرقعة المتسعة المترامية الأطراف التي تمثل العالم العربي ، والأرض التي يقف عليها تجمع اسلامي كشعوب اسلامية ، أو جماعات تدين بالاسلام ، فاننا نجد الكثير من المشكلات التي تتطلب حلولا جذرية ، ولكن مهما كانت أحجام تلك المشكلات ، فانها يجب الا تخيفنا أو تدعونا للجزع واليأس .

كما أنها يجب ألا تشغلنا عن واجبنا ، أو تضطرنا حاجتها الملحة للحل الى تقديم الحلول الوقتية ، أو علاجها علاجا جزئيا منسلخا عن الاستفادة مما لدينا ، وتفهم الأمور في ضوء ما نؤمن به من دين ، وما نستمسك به من قيم ، وما يجب أن نجتمع حوله من مبادىء وعقائد لأن مقدرتنا على حل مشكلاتنا ، وقدرتنا على مجابهة الحياة ، لن تتأتى على وجهها الأكمل الا في ضوء تفهم الاسلام ، والالتزام به . وكلما أدركنا ذلك وآمنا به استطعنا أن نلزم به أنفسنا ، وأن نضطرها الى تحمل كل مشقة بلوغا للهدف ، ولكي نحقق كل ما نرجوه .

وإذا نظرنا اليوم أيضا الى حقيقة فكرنا الاسلامي المعاصر ، فاننا نجد الكثير منه جيدا يلبي حاجة الأمة الاسلامية ، ويخدم صالح البشرية عندما يقدم للانسان ما يجعل لحياته قيمة ولسلوكه فيها معنى . ولكن الكثير من هذا الفكر أيضا لا يخدم قضايا الانسان في عصرنا ، ولا يمكن أن يسهم في احداث التقدم ، بل من الانصاف أن يقال انه يعوقه ويشتت الجهود عبثا دون أن يعين على الوصول الى أدنى غاية ، أو حتى تحقيق أدنى نفع ، لماذا ؟ لأنه فكر لا يأخذ من الاسلام منهجه ، بل يأخذ منه اسمه لا يهتم بأن يعبر عن مضمون اسلامي بقدر ما يحفل بتوفير ما يعتقد ـ خطأ ـ أنه المفهوم الاسلامي .

واذا كانت مجموعات كثيرة من شبابنا الدارس قد استطاعت أن ترفض مثل هذا الفكر ، أو تستحدث ما يعوضه أو يصنع البديل له ، فانه مع ذلك أيضا سيظل لهذا الفكر تأثيره السيىء على الانسان المسلم ، وسيظل له لفترة طويلة القدرة على القيام بدوره المدمر ضد الاسلام الصحيح بتعاليمه وقوانينه ومفاهيمه .

ان جناية هذه التيارات على حاضر المسلمين أنها تقدم التواكل على الاعتماد ، وترى في النوم بديلا عن الحركة ، وفي الاستسلام تعبيرا عن الرضا كما تفتح الأبواب أمام العقول القاصرة لتتوه في طقوس وأقاويل وموروثات ليست من الاسلام في شيء .

تلك بعض الصعاب التي تواجه الفكر الاسلامي ، أو التي عليه أن يواجهها ليتخلص منها ويسحقها الواحدة بعد الأخرى ، حتى يمكنه أن ينطلق ويحقق من انطلاقته هذه النفع والافادة ، ويكون في موضع يمكنه من احداث التغيير وصنع الحضارة التي تتلاءم مع طبيعتنا ، وتتناسب مع امكانياتنا كأمة حملت الأمانة ، وكان منها الرسول الكريم الذي بلغ الرسالة حفيا بها صادقا في حملها ، أمينا في نقلها الى الآخرين منذ نزول الوحي حتى انتقاله الى الرفيق الأعلى .

وعندما يستطيع الفكر الاسلامي أن يتفهم نفسه ويعي حقيقته فانه يكتشف ذاته ويستكشف المجالات التي يمكنه العمل فيها ، وكيفية العمل وأساليبه ، وبذلك يضمن لنفسه أن يحقق ما يرجوه ويضمن لجهده أن يكون مثمرا ، خاصة وأننا في وقت يجب أن نحرص فيه أول ما نحرص على أن يكون لعملنا ثمرة ولجهدنا المبذول عائدا ، وبشرط أن تكون تلك الثمرة وذلك العائد في اطار الشريعة وأحكامها ، وفي ضوء ما اشترطه الله تبارك وتعالى ، وما أمر به أن يتبع .

رسالة أمة .. وأمانة أقوام .

واذا كان فكرنا الاسلامي المعاصر قد بعد كثيرا عما كان يجب أن يسير فيه ، وتباعد أو أبعد عن مساره الطبيعي الذي كان واجبه أن يسلكه ، فانه محتاج وهذا أمره الى جهد صادق مخلص يبذل لتصحيح الخطأ ، وتقويم المعوج والاهتداء الى

المسار الصحيح . ذلك واجبنا نحن الذين نزعم أننا نهتم بالفكر الاسلامي ، وتؤرقنا الام الأمة الاسلامية ، ويشغلنا أمر مستقبلها ونود أن نضع لبنة في البناء الفكري الاسلامي ـ والاكانت دعوانا باطلة ، وما نردده مجموعة من الأكاذيب . وهذا ليس ما نرجوه وليس ما يدعونا الاسلام اليه .

إننا مطالبون بالقيام بهذا الواجب ليتسق سلوكنا مع ايماننا ، وينعكس ايماننا على سلوكنا ، وهذا ما يحتمه الاسلام وما يرتضيه ، فالايمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

كما أن آيات الله البينات قد تولت تأكيد ذلك سواء بالنص صراحة عليه أو بالاشارة اليه يقول تعالى :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة/١٤٣

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .) البقرة/١٧٧

ان ذلك هو رسالتنا كأمة ، وهو واجبنا كأقوام نؤمن بالشريعة الغراء ـ التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وسيظل ذلك واجبنا كأمة ، ورسالتنا كأقوام ، ما بقيت الحياة ، وما عاش البشر في عالمنا الذي نعيش فيه .

واذا كان الاسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لنا فما علينا الا أن نفي بالحق ونخلص الجهد في القيام بالواجب ، ونعمل على أن نكون ملتزمين بقوله تعالى :

(قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .البقرة/١٣٦

واذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء ليختتم الرسالات ويتم النبوة ، فان ذلك يعني أن الدين قد اكتمل وضوحه ، وأن أتباع هذا الدين عندما يعقلونه ويخلصون في القيام به ، في امكانهم أن يتولوا أمانة التبليغ بهذا الدين وهداية البشر اليه ، وأنه بعد أن كمل هذا الدين بتوفيره العقول التي يمكن أن تعيه وتدركه ، واعداده النفوس التي تؤمن به وترعاه وتحرص على تبليغ شريعته ، واقامة أحكامه يكون في هذه الحالة ميسورا للناس وميسرا على من ابتغى مخلصا أن يقوم بواجبه لحمل كلمة الله ، والدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة .

فاذا ما وضح ذلك لنا وهو واضح ـ والذي ينقص أن نكون نحن واضحين معه يتمثل الوضوح في الاخلاص بالقيام به والتفاني في أدائه ـ كان لزاما علينا أن نؤديه والا اعتبرنا مقصرين ، وما لم يقم القادرون منا به فقد أثمنا جميعا .

نسأل الله أن يمكننا من القيام بشرائعه ، ويتجاوز عن تقصيرنا عندما نقصر أو تفريطنا عندما نفرط وأن يهدينا دائما للصواب .

عندما يواجه الفكر رسالته !

وعندما يواجه الفكر الاسلامي واجبه ويتصدى لحمل أمانته فانه حينئذ ليس أمامه الا أن ينطلق بمفاهيمه وقيمه التي يستقيها من الكتاب والسنة ، وتراثه الفقهي ، وتاريخ نضال رجال العقيدة ، وحملة هذا الدين الذين آمنوا به وهم قلة ، وناصروه يوم احتاج الى النصير ، وانطلقوا به في الآفاق بعد أن باعوا لله أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وبعد أن قاتلوا في سبيله فقتل من قتل وعاش من عاش فلقى كل منهم الفوز المبين ، إما شهادة في سبيل الله وإما نجاحا في إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى .

ان الفكر الاسلامي المعاصر يجب أن يكتشف ذاته في هذا التراث ، ويجب وهو يمارس تجربة جديدة في العطاء وتطوير الكلمات واستحداث معطيات جديدة لها أن يبدأ من تراثه ويتفاعل مع قيمه وينفعل بكتابه وسنة نبينا ، وتراث أولئك الفقهاء الذين كانوا منارا للعلم ، وقمة عالية للادراك والمعرفة . والفكر الاسلامي عندما يقوم بذلك فانه يكون قد وقف على أرض أصيلة ثابتة ويكون قد استلهم ما يمكنه بحق أن يلهمه ، واستعان بما يجد عنده أخصب عون وأعظم معونة .

مسئولية حياة .. لا تعصب جنس

ان ظروفنا كلها تحتم علينا أن تكون نهضتنا قائمة على أساس من تراثنا وقيمنا ، كما تحتم علينا أن يكون فكرنا مرتبطا بهذا الدين لا عن تعصب عقائدي ، ولكن عن فكر واع مفتوح وتفهم كامل لما بين أيدينا من تراث ، وقيمة ما نملكه من معارف .

كما أن هذا التراث الذي نملكه وان كان قرآني الأساس ، اسلامي النزعة والمنهاج فانه يمثل معطيات شعوب كثيرة ساهمت بكل جهدها وأعطت في ظل الاسلام والعروبة كل ما تملك وكل ما أبدعت متأثرة بالاسلام والعروبة وموفقة بالكتاب والسنة ومسترشدة في مسارها بهدي الله وتوفيقه .

إنه ... ما يدعونا الاسلام اليه !

والاسلام كما نعلم جميعا دين يمقت التعصب ، ويرفض الجمود ، وينكر التزمت ، ولكنه يدعو الى الاستمساك بالحق ، والحق واضح وجلي ، ويدعو الى اتباع ما وافق العقل ـ المؤمن المميز القادر على الادراك ـ ورأى فيه العقل أنه

الصواب وأنه يتمشى مع أوامر الخالق ، ويحقق صالح الناس ، لذلك فاننا لا نقول الا بما يقول به الاسلام ولا نطالب الفكر الاسلامي أن يكون بعيدا عن هذه الجوانب الواضحة المحددة التي رسمها الاسلام لأنه لا يمكن أن يكون لدينا رغبة في الخروج عن المحدد الصالح الى المجهول ، ولا يجوز أن يكون لدينا تفكير في تحقيق منهج أسلم من هذا المنهج الأمثل الذي وضعه الاسلام ، وطبقه المسلمون فقويت شوكتهم بعد ضعف ، وازدهرت حضارتهم وامتدت بعد أن كانت عاجزة عن تجاوز أجزاء من الصحراء العربية .

واذا كنا في حياتنا المعاصرة نأخذ بالمنهج العلمي ، ونستفيد بمعطيات التجربة فان ذلك من شأنه أن يلزمنا بأن نتبع ما أثبتت التجربة صلاحه قبل أن نجري وراء السراب أو نأخذ في تجربة المشكوك في صلاحه ، وربما المتيقن عدم صلاحه وهو هذا الفكر الغريب عنا المتعارض مع قيمنا وسلوكنا .

باطل ... كل ما خالف الاسلام

على أنه يجب أن يكون مفهوما دائما وواضحا أمام أذهاننا وعقولنا اننا لا نسقط أي تجربة انسانية ولكن نعمل دائما على الافادة منها . والاستفادة بها في تطبيقات حياتنا ، وشئون عالمنا ما دامت لا تتعارض مع نص صريح لدينا ، أو تخالف طبيعة الدين الذي نؤمن به ، والذي تقوم أحكامه على نفع مادي ، أو مكسب نظن خطأ أنه أكثر فائدة ، لأن هذا الدين ما تنزل عبثا ولا جاء لازجاء الفراغ ، أو لتترك أحكامه بلا تطبيقات ، أو لتعجز أحكامه عن صنع التقدم وتطوير الحياة . بل جاء لتقيم احكامه الحياة المثلى وتوفر الضمانات التي يمكن أن تحمي الحياة وتصنع التقدم وتحقق سعادة الانسان لذلك فكل ما وافق الاسلام فهو الحق ، وباطل كل ما خالف الاسلام أو عارض نصوصه ، أو صادم روحه وتعاليمه ، ونحن أمة مسلمة تؤمن بالاسلام ويجب أن تعيشه وتسعى للتمكين له بأن تقيمه في حياتها لتصلح تلك الحياة ولتصلح الأمة المسلمة نفسها أن تكون قدوة ومثالا يحتذى وبذلك تتحول الى دعوة عملية والى منهاج تطبيقي تدعو الى دين الله الحق وتطبق شرائعه وأحكامه السمحة السامية .

ولكن ما هو الطريق ... ؟

ان الهدف واضح وتحقيقه ميسور الى حد ما مهما كانت الصعاب ، ومهما كان حجم التضحية المطلوبة ، ويبقى أن نسأل أنفسنا كيف السبيل الى تحقيق ما نريد ؟ ما هي الخطوات التي يجب أن نسلكها كي نحقق ما نريد ونصنع ما نؤمن به . ونرى أنه السبيل الأمثل ، أو الغاية المرجوة منا والامانة التي يجب أن نتحمل

أداءها ونفرح عندما نقوم بها ، إن ذلك يحتاج الى تأمل ما لدينا وفهم ما عندنا ثم محاولة الاستفادة به ، ولا يمكن أن يكون ذلك سليما ما لم تكن خطتنا نحوه متكاملة ، وتكون حياتنا كلها مرتبطة به والا تركنا لشبح الفراغ أن يتضخم فيعوق المسيرة أو يغلفه بالضباب الذي يضللنا عن الهدف أو يبعدنا عنه .

اننا يجب ان نتفهم الاسلام عقيدة وشريعة ، ونلتزم بالمنهج الأمثل الذي نجده في هذا الدين ، والذي يجب أن نقيم حياتنا الجديدة عليه ، بمعنى أن يكون الاسلام هو المقياس الذي نقيس به الأمور ، وهو الوسيلة التي نشخص به الداء ونأخذ منه الدواء بهذا نقي أنفسنا من الضرر ، ونحفظ لحياتنا ما يحفظها ، ويرقيها .. ولأهدافنا ما يحققها .

عندما تكون الهجرة منطلقا !

بهذا الادراك الذي ألزمنا أنفسنا به ماذا يكون الموقف عندما تعود الى الكتاب أو السنة أو التراث ؟ ان الموقف سيكون محددا واضحا ، والطريق سيضيء أمامنا ممهدا ويمكن السير فيه .

وعندما نقف أمام الهجرة كحدث تاريخي نسلم بصحة حدوثه ، وتؤكده الكثير من القرائن التي لا يمكن انكارها أو التقليل من شأنها ما هو المطلوب من الفكر الاسلامي المعاصر عندما يقف أمام هذا الحدث الجليل العظيم ؟

ان أول واجباته أن يفهم هذا الحدث العظيم في صورته الطبيعية ، ثم يحاول نقل هذا الفهم الى الانسان العصري مهتما بالتأمل أكثر من اهتمامه بابراز الخوارق والمعجزات ، وهو مطالب أيضاً بالتأني في الحكم والبعد عن التخمين وعن التعميم أو الالتجاء للمعميات لأن الحدث بطبيعته غني بالأحداث ، مليء بالدروس ، مشحون بالأهداف التي يمكن أن تحقق حياة مثالية كما أنه مشحون بالعبر التي يمكن أن تؤخذ منه ، والتعاليم التي يستلهمها العقل والوجدان .

دين العقل ... ما أزهده في الخوارق

ان الاسلام وهودين العقل والدين الذي جاء بمناهجه لتأصيل المعرفة ، لا يتخذ لتحقيق ذلك سبيلا الا الفكرة الواضحة والرأي المقنع والمثال الواضح ، والكلمة الموحية بصدقها ووضوحها . وأن دينا هذا منهجه ، وتلك طبيعته لا يمكن أن يقيم وزنا للحديث عن الخوارق ، أو أيهام العقل بما يحجبه عن الرؤية ويعوقه عن الفهم .

فاذا كانت تلك هي طبيعة الاسلام فلتكن هي طبيعة الفكر الاسلامي عندما يحاول الفهم وعندما يتولى التوضيح والابانة ، أو يحاول تجميع الدروس

والملاحظات فيقف عند حادث الهجرة وقفة تتفهم المعقول وتستكشف الواضح ، وتحاول بالربط والتحليل الخروج برؤية متكاملة للأمر كله ، الأمر بالهجرة وحكمته ، الظروف التي دفعت اليه ، والظروف التي تم فيها ، الأشخاص الذين هاجروا قبل الرسول ، والبقاع التي هاجروا اليها ، ما لقيه المهاجرون من ترحيب أو مقاومة وتعقب ، أمانة المؤرخ العربي وهو يسجل الحدث التاريخي بكل تفاصيله وبأدق دقائقه ، ولماذا لم يغفل مثلا المنافقين أو القساة أو المتجبرين وهو يدون السيرة النبوية ، لماذا لم يحاول التقليل من شجاعة المقاتلين عندما يكونون أعداء أو يضيف اليهم بطولات زائفة وهم في صفوف المسلمين كما يفعل القاص في الملاحم والسير الشعبية الموجودة في كافة اللغات ولدى كل الشعوب لماذا حرص المؤرخ العربي أن يكون أمينا ، ولماذا سلك منهجا دقيقا فأسند الرواية لصاحبها حتى أننا أصبحنا نستطيع بعد ما يقرب من أربعة عشر قرنا أن نميز بين الصحيح والمكذوب والصواب والمنحول ؟

ان الفكر الاسلامي مطالب بأن يقدم الاجابة على ذلك أولا ، ثم عليه أن يستفيد من الأحداث والمناهج وهو يبني ويدعم لفكر أمة ناهضة في حاضر نرجو ازدهاره ، ويسعى لبناء مستقبل نأمل أن يكون أكثر ازدهارا ، وأكثر تحقيقا للآمال ، وتأكيدا لصلاحية هذا الدين وتفوقه ، صلاحيته للتطبيق في كل عصر ومكان ، وتفوقه على ما عداه من الشرائع والنظم والنظريات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والعمرانية .

القائد ... والجند

وعلى الفكر الاسلامي أن يتفهم شخصية الرسول القائد ، لا بهذا الأسلوب السطحي الذي ألفنا فيه كتبا ، ورحنا نثبت فيها أن نظريات القيادة الحديثة كانت معروفة عن الرسول ، وأن في تصرفاته صلى الله عليه وسلم وسلوكه ما يتفق وتلك النظريات .

لأن وجود مثل هذه النظريات المعاصرة يجب ألا يستحوذ على كل اهتمامنا ، كما يجب ألا يكون التوفيق بين الاسلام وبين الآراء العصرية المطروحة هو الواجب الأول والأخير فنعمل على اخضاع النصوص ، أو التلفيق لنخرج بفائدة ساذجة وغير ذات نفع عندما نقول اننا عرفنا هذا الأمر أو ذاك .

فالمهم والأجدى أن نفهم أولا ما عندنا على حقيقته بغض النظر عما هو موجود الآن ، ثم نحاول أن نفهم بعد ذلك هل ما لدينا أعمق وأهم ، أم أن تجربة غيرنا قد جاءت بشيء جديد ذا قيمة لا بأس من الاستفادة بها مع ضرورة التسليم بأننا في أمور العقائد ملزمين بالاتباع ، وفي العبادات ملزمين بالطاعة ، أما في كل ما

يتعلق بالاختيار ويخضع للتجربة والخطأ فلا علينا من أن نجرب ونقارن ، ونقبل ونرفض ما دمنا ندرك حدود الله ونعرف حدودنا .

ان الرسول القائد كان شيئا خاصا ، شيئا فريدا لا يقاس عليه ولا يقارن بغيره ، ولكن يجب أن تفهم طبيعة قيادته وكيف لزم المسلمون تجاه أوامره الطاعة القوية وليس الخضوع الذليل . لقد كان الرسول وهو يؤدي الرسالة ويقوم بواجبه الذي كلفه به ربه مثالا يجب أن تسعى المدارس العصرية لتقليده ودراسة أساليبه القيادية ، وأن تبذل جهدها لفهم هذه الدروس المثالية النادرة في حزم القائد وبصيرته ، وتفانيه وقدرته على أن يجعل كل جندي من رجاله يحس أنه القائد المسئول وأنه وحده الذي يعمل ، وعليه تحمل كل الأعباء سواء أدى غيره واجبه أم لا .

لقد نجح الرسول في أن يجعل من كل المسلمين قادة ، وأن يضرب لهم المثل في التضحية وانكار الذات ، لذلك فانه من الطبيعي أن يلبي المسلم كل ما طلبه منه الرسول .

وأن يستجيب لكل ما طلبه منه دينه أو تطلبته عقيدته من تضحيات وتحمل مشاق ، فيترك وطنه ويهاجر الى الحبشة أو يصمد أمام التعذيب ، ويستهين بكل أنواع القمع والسحق والابادة التي تعرض اليها . ان صدق ايمانه ووضوح العقيدة أمام عقله وقلبه هو الذي دفعه الى سلوك ذلك الطريق ، وارتضائه لكل التضحيات ، ثم احساسه بوجود القيادة الرشيدة التي تجود بنفسها قبل أن تقدم غيرها للأخطار ، وتقدم غيرها عليها عند المغنم ، هذه القيادة هي التي أعطت لتصرفات المسلمين قبيل الهجرة وبعدها الكثير من أخلاقيات ومثلها ، وهي التي دفعت المسلمين الى احراز ما أحرزوه من بطولات وما تميزوا به من صمود وثبات .

عندما يكون ... الله غايتنا :

ان الفكر الاسلامي المعاصر عندما يقف امام أحداث الهجرة ستبهره حقائقها ، ويمكنه الاستفادة من مواقف كثيرة فيها .

ان الهجرة لم تكن في حقيقتها الا نهاية لمراحل سبقتها ، وتفاعل ظروف أدت اليها ، وهنا يجب أن يعي فكرنا الأسباب التي أدت اليها .

لقد دعا الرسول الناس الى الاسلام وطالبهم بأن يتبعوا دين أبيهم ابراهيم ، والحق المنزل على الأنبياء جاءهم يدعوهم الى الاسلام دينا وحياة ، جاءهم ومعه آيات بينات من ربهم ترشدهم الى الخير والحق وتبني عقولهم وقلوبهم به .

ووجدوا أن ما يدعوهم اليه هو الحق الذي عقلوه وأحست عقولهم وأفئدتهم أنه الطريق الذي يجب أن يتبعوه فصدقوا وآمنوا ، وعندما صدقوا وآمنوا اختاروا أن يكون الخالق جل جلاله هو غايتهم إليه يتوجهون بالطاعة ويتقربون بالعبادة وعندما

قرروا أن يكون الله غايتهم فقد قرروا أن تكون حياتهم بالأسلوب الذي يرضي الله ، ويكون سلوكهم في الاطار الذي ارتضاه الله لهم وعلى الأخلاق التي رسمها لهم الكتاب المبين .

وعندما قرروا أن يكون الله غايتهم فقد قرروا أن يكونوا آدميين ، ولا تتضح الآدمية الا في ضوء الكمال الانساني ، ولا يتحقق الكمال الانساني الا بالارتفاع عن الصغائر والتسامي عن الآثام ونبذ الشهوات المحرمة ، وعدم الخضوع للمغريات أيا كان لونها أو تأثيرها .

وبذلك قدموا الدليل على صدق ايمانهم كما قدموا الدليل على وضوح هذا الايمان في عقولهم وقلوبهم ، لأنهم أدركوا أن طاعة الله انما تكون في الفناء في تنفيذ أوامره ، والتضحية بكل شيء في سبيل أن تكون كلمته هي العليا . لقد أدركوا أنهم عندما يقولون ان الله هو الغاية فلا غاية لهم بعد ذلك الا ما يوصلهم الى الله .

وعندما يدركون هذه الحقيقة فان عملهم كله يكون خالصا لوجه الله يتسابقون الى التضحية ويسارعون الى الجود بكل ما يملكونه ما دام ذلك يحقق للدين فائدة ، ويدفع بهم خطوة للاقتراب من الفوز برضى الله ورحمته ، ويكون هنا واجب الفكر الاسلامي في اكتشاف المنهج الاسلامي لبناء العقيدة عند المؤمنين بالاسلام ، ومحاولة اكتشاف طبيعة الاسلام كعقيدة والامكانيات الهائلة التي يمد بها المؤمنين به ، وعندما نكتشف المنهج ونعي الظروف التي يجب أن تهيأ عند تطبيقه يمكننا العمل على اعادة تطبيق هذا المنهج ، ليكون لنا منه نفس النتيجة وما أحوجنا الى ذلك في حاضرنا ومستقبلنا .

الانسان ... والفكرة :

اذا كان الايمان يصنع في النفوس ما يصنعه من خير ويعطيها من قوة وصلابة في مواجهة الأحداث ، واستهانة بالصعاب ، وصفح وغفران ، وقيام برعاية الحقوق وحفظ الجوارح والجوار ، وتقديم الرحمة على الجزاء ، والبر على الانتقام ، والمغفرة على المحاسبة .

وهو درس من دروس الهجرة وما أكثر دروسها وما أعمق معانيها ، فالانسان أيضا درس من دروس الهجرة ، اننا نجد فيه الكثير من المباديء التي تصنع انسانية الانسان ، وتحقق كماله . لقد كان الرسول بالمنهج الالهي الذي تربى عليه قمة الانسانية ، وكانت مواقفه يوم الهجرة أو قبلها أو بعدها من أجل المواقف ، لقد احتمل من العذاب ما يفتت الصخر ، تعذب بدنه بالجوع والمعاناة والضرب أحيانا ، وتعذبت نفسه وهو يرى أصحابه يتعرضون للعذاب وهو لا يملك أن يرفعه عنهم ، أو يقيهم منه ، وتعذب يوم وقف يودعهم وهم أصحابه وأهله وبقية منه أيام قاموا بهجرتين الى الحبشة أو سبقوه الى المدينة ، وقاسى كثيرا من العذاب وهو

يغادر الوطن تاركا أرض الآباء والأجداد والبيت الكريم الذي بناه ابراهيم واسماعيل ، فلم يكن من السهل عليه أن يترك مكة لولا أن في هذا الخروج طاعة ربه والامتثال لأمره .

وما كان لانسان أن يحتمل هذا العذاب ، ولكنه تحمله لأنه نبي ، واستطاعت نفسه أن تقدر عليه وتتماسك أمامه ، لأنه محمد الذي اختارته السماء والذي هيىء للقيام بهذا الدور .

وتولى الخالق جل جلاله اعداده لتحمل هذا العبء فحمله وكان هو الصالح له ، وهو النبي المؤتمن عليه ، القادر على تأدية الدور وعندما يذعن لأمر ربه فإنه وفقا للاسلام ومناهجه لابد أن يعد للأمر عدته ، ويضع له من التنظيم والترتيب ما يحققه .

ان الاسلام لا يعرف التواكل ولا يرضى بالعمل الأهوج غير المدروس .

ويتطلب من أتباعه أن يفكروا ويمعنوا النظر في الأمور ، ويقدروا لكل أمر . لقد أعد الرسول عدته لذلك وواجب الفكر الاسلامي هنا أن يتعرض لدراسة هذا الاعداد وتحليله والافادة منه ، واعتمد على ربه وفوض اليه أمره بعد أن أدى هو واجبه وطالبه بأن يعينه على ما هو مقبل عليه « وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا » ٨٠/ الاسراء .

الصداقة ... والصديق

ثم الموقف الذي وقفه أبو بكر عندما أبلغه الرسول بأمر الهجرة وتصديقه للرسول وسعادته بأن يكون صاحبه في هذا الأمر اننا يجب أن نعي من ذلك قيمة الصداقة ومقدرتها على تحقيق أمور لا يستطيع غيرها أن يحققه .

لقد وجد أبو بكر في محمد الانسان صورة مثالية للكمال الانساني ، وجد عنه الخلق كما يجب أن يكون ، والصدق الذي لا تشوبه شائبة ، وجد فيه الانسان صاحب الفكرة الذي يؤمن بها ويصدق كل جزئياتها ، ويقدم بعمله وسلوكه ما يؤكد التزامه بالفكرة التي يؤمن بها والمبدأ الذي يدعو اليه ، فهذا الصدق وهذا الالتزام الفريد يصلح منهجا ، وكما أقنع أبا بكر فإنه يقنع الملايين غيره ، ويصلح طريقه للاقناع في عصرنا وفي كل العصور ، الا نتعلم من هذا المنهج النبوي الدرس الأول في الايمان بالفكرة ، والاخلاص لها ، وضرورة الالتزام بالصدق مع أنفسنا أولا حتى نكون صادقين مع الآخرين ،وسيقود صدقنا الى الاقناع ويؤدي اقناعهم الى اتباعهم ما ندعوهم اليه أو نريدهم أن يكونوا عليه .

لقد قال الرسول له« ان الله أذن لي في الخروج والهجرة » فلم يسأله عن شيء ولم يحاول أن يتأكد منه عن الخبر ، بل قدم نفسه مباشرة وكان قوله : « الصحبة يا رسول الله » .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدر الأمر ويعرف متاعبه ، ويعرف صديقه ويقدر صداقته ، ويعرف أنه أهلا لكل خير وأنه كفء لتحمل أية مشقة واحتمال أي تعب ، فلم يزد على أن قال له : الصحبة

الوسائل والأساليب

وعندما يكون الوضوح هو سمة الفكرة والانسان ، فان الاسلوب أيضا يجب أن يكون محددا وواضحا فلا يختار من الوسائل الا ما يضمن التحقيق على أكمل وجه وقد تمثل ذلك في الهجرة عندما اختار أبو بكر الراحلتين الصالحتين القادرتين على تحمل المشاق وأسند الأمر الى أهله فاختار الدليل الذي يعرف الطريق حتى يمكنه أن يدلهم عليه في دقة ويسر .

لقد اختار عبد الله بن أريقط ليدلهما على الطريق وهو مشرك .

عندما ترعاك السماء !

لقد تعرض الرسول والصديق للأخطار وكانت قريش قادرة على اللحاق بهما وتمزيقهما اربا ، ولكن عناية الله كانت ترعى الرسول وصاحبه ، لقد خرجا من ديارهم طاعة لله وامتثالا لأمره ، أرادا أن ينصرا دين الله وينتصرا له فنصرهم الله (**الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم**) . التوبة/ ٤٠

لقد كانت الهجرة تجربة ايمان ، صدق الانسان في ايمانه بخالقه وأوفى الله وعده فنصره وأمده بقوة لم تستطع قوة أخرى أن تقف أمامها واذا كان لكل تجربة نتائج فان نتيجة هذه التجربة أن الايمان الصادق يحقق الكثير وتتضاءل أمامه كل الصعاب .

واذا كان الانسان يتطلب النتائج حتى يصدق ، فقد كان في الهجرة أكثر من دليل على قدرة الله وصدق الرسول .

لقد جاءنا بالقرآن الكريم برهانا ، من ربه تتضمن آياته وعد الله بالنصرلمن ينصر دينه ، ووعده للرسول بأنه سيتم عليه نصره ، ويحقق له ما وعده به ، ثم تجيء الهجرة فيتحقق ذلك .

واذا كان المسلم يؤمن بأن كل ما جاء من الله حق وصدق فان غير المسلم يجب أن نقدم له من الحقائق ونتائج التجربة ما يقنعه .

لقد حدثت الهجرة وجاء النصر ، انتصرت القلة على الكثرة والفقر على الغنى ، والايمان على القوى الباغية ، وكان ذلك مقدرا بالآيات المنزلة من قبل ، وتحقق فعلا كما قررت الآيات فهذا دليل مادي على صدقها لمن لا يقنعهم الا الدليل المادي ، واذا وجد الدليل المادي الذي يؤكد صدق هذه الآيات ، فان ذلك يقودنا الى تصديق من جاء بها ، والذي جاء بها يقول انه رسول يوحى اليه ولا فضل له فيما أتانا به ، وأنه لم يقم إلا بالبلاغ وأن هناك إلها-أحد صمد متفرد-بكل الكمالات ومنزه عن الشبيه والشريك ، قد أوحى له بهذا وأصدق ما نقله الينا .

وما دمنا سلمنا بصدق الرسالة ، وصدق الرسول ، فإنه يجب أن يقودنا ذلك الايمان بوجود اله هو كما وصف نفسه في كتابه الكريم الذي جاءت التجربة الانسانية لتؤكد صدقه .

هذه الفكرة الموجزة درس من دروس الهجرة يجب أن يتولى الفكر الاسلامي بحثه وشرحه وتوضيحه ، يؤكده ويجلوه للمسلمين ، ويبرز حقائقه الناصعة وما يستلهم منه ، وما يستفاد به لغير المسلمين .

البناء ... الفكري والعقائدي :

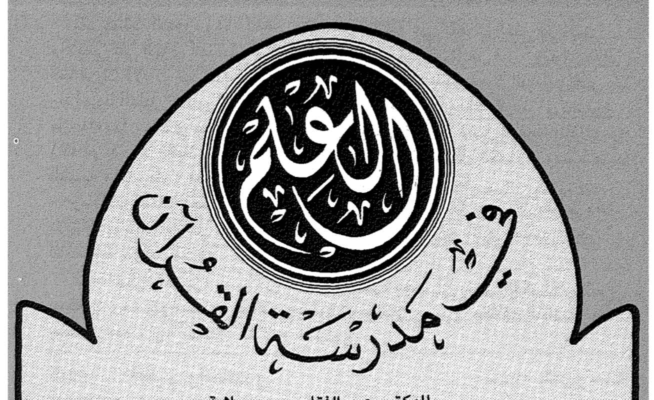
ويصل الرسول الى المدينة ويفي أهلها بعهدهم له ، ويتم الله عليه نصره فماذا يفعل ؟ ما الأمور التي يهتم بها في هذا المجتمع الجديد ؟ انه يمضي الى بناء المجتمع الذي يدعو اليه وفقاً لتعاليم الله .

يبدأ هذا المجتمع بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وايمان الجميع بمعنى الأخوة تلك المعاني التي أكدتها صور واقعية حدثت آنذاك ، صورة المسلمين وهم يصنعون أكمل مبدأ للتعاون والمشاركة وتأكيد الاحساس بالوحدة والاخاء بين البشر فيتنازل الانسان عن أمواله ويقتسمها مع أخيه وهو سعيد بذلك .

ثم يقوم الرسول ببناء المسجد ليكون العلم والعبادة أساسا لهذا المجتمع وليقوم المسجد برسالة مجيدة في تعليم الناس أمور دينهم ، وفي تجميعهم حول تعاليم هذا الدين تلك التعاليم التي تثري حياتهم ، وتنير طريقهم ، وتحقق لهم الأمن والاستقرار ، وتكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، ويهتم الرسول بتنظيم كافة شئون المدينة ، ويبحث لها عما يدفع الحياة الى الاستمرار ويصون أمنها ، ويؤدي الى انتظام أمورها .

لم ينزل الرسول المدينة ليستريح ويهدأ ، ولكنه شرع في العمل واستمر عليه لأن الاسلام دين عمل وبناء فكري وعقائدي ، ولا يكتفي بالبناء الفكري والعقائدي ويقف عند الجانب النظري ، بل لابد من التطبيق لأنه دين حياة ، والحياة تتطلب ما يصلحها ويحفظها .

ان هذه المعاني والدروس كلها بحاجة الى البحث والدراسة والتأمل ، بحاجة الى تحويلها الى ايحاءات وقوى ملهمة موجهة وهذا هو واجب الفكر الاسلامي .



للدكتور عبد الفتاح محمد سلامة

نزل القرآن العزيز لمواكبة الحياة الانسانية على امتداد أعصارها، وتلاحق آمادها، ليصحح وضعها، وينير جنباتها، وينفي منها العقد والنكسات ..

ومن إعجاز هذا الكتاب أنه جاء ملبيا حاجات الفطرة، مستجيبا لنداء الطبيعة، متحركا بالانسان إلى حيث شرفه ومجده، وسؤدده وفخره، فكانت صيحته منذ أول لحظة نزل فيها على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، أمرا محتما على كل انسان أن يلج العلم من أوسع أبوابه، ويحصله بكل وسيلة، ويستوعب منه كل ما يفيده في دينه ودنياه، ويركب في سبيله كل صعب، فان فيه حياته، وعليه ترتكز دائرة وجوده، وبه يصعد الانسان إلى الذرا العالية. فلا غرابة بعد ذلك أن نرى القرآن العظيم يجمع في أول آياته نزولا، وسائل العلم وطرقه التي بها يكتسب، وكأنه بهذا يريد أن ينكشف للعالمين على طبيعته الحضارية الأصيلة، وأنه فعلا كتاب العالمية والخلود، وهو الشريعة المتكاملة الباقية التي جمعت بين دفتيها كل مجد ومكرمة.

قال ربنا تقدست أسماؤه:

(اقرأ باسم ربك الذي خلق ○ خلق الانسان من علق ○ اقرأ وربك الأكرم ○ الذي علم بالقلم ○ علم الانسان ما لم يعلم) العلق / ١ ـ ٥

ماذا أقول؟ إن هذه الآيات هي جماع الحضارات، وأم المدنيات، بل إنها حوت أسرار التقدم البشري، وأطوار السبق الانساني. علم وقراءة وقلم، ألفاظ جديدة، وتعبيرات مشرقة،

وكلمات مشعة ، وكأني بالانسانية لم يترطب لسانها بهذه الألفاظ من قبل . ؟

وممن أخذت هذا كله ؟

يا لله !!! إنها تعلمته من محمد بن عبد الله ، ذاك الرجل الأمي ، الذي ما عرف قراءة ولا كتابة ، ومع ذلك فان معجزته التي تحدى بها البلغاء ، وأخرس بها الفصحاء ، وأخضع بها الانس والجن ، كانت كتابا افتتحه رب العزة بالحديث عن العلم :

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) العنكبوت / ٤٨ و٤٩ .

وبهذا المعنى هتف شوقي عندما قال :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة
في الجاهلية والتأديب في اليتم

والقرآن هنا ، يهيب بالناس جميعا ، أن يحصلوا القراءة ، عن طريق العلم الذي يقرعون بابه ، ويطلبون أسبابه .

ونحن هنا نلاحظ لمسة حضارية، معجزة للقرآن الكريم في هذا السياق ، وذلك في هذا الامر العام « اقرأ » . هكذا بكل العموم والشمول . فكل من يتوجه إليه الخطاب مكلف ومأمور بالقراءة ، أيا كان موقعه ، وعلى أي صورة كان مستواه .

فالانسان في شريعة القرآن هو الانسان ، موطن العزة ، ومعقد السيادة ، وهو الذي أعطاه ربه سلطة الهيمنة على الكون وتسخيره .

والقرآن الماجد بذلك ، قد سبق دعوة أولئك الذين كانوا يزعمون لأنفسهم أنهم مجددون عندما نادوا بضرورة أن يكون العلم للانسان كالماء والهواء ، لا يحرم منه ، بل هو لازمة من لوازمه .

نقول هنا : إن القرآن هو صاحب أول نداء وتوجيه إلى هذا المبدأ ، بمطالبته للعاملين جميعا أن يتعلموا ، ليصححوا أوضاع الانسانية ، ويصعدوا بها في درجات الكمال .

ولم كان هذا الطلب ؟ بل لم كان هذا الأمر الذي لا مناص منه ولا مفر عنه ؟

لأنه بالعلم يعرف الانسان ربه ، ويدرك ذاته ، ويتبصر طريقه ، ويهتدي إلى موقعه في هذه الحياة ، فيرعى إنسانيته ، ويصون آدميته ، ويتربع على عرش الزعامة والسيادة . فالعلم حياة القلوب وربيع الأرواح ، وغذاء العقول ، ونور الفكر ، وجلاء البصيرة .

العلم أفضل ما طلب وجد فيه الطالب ، وأشرف ما كسب واقتناه الكاسب ، وطلاب العلم أن كانوا من أقل الناس عاشوا كراما ، وإن كانوا من أوساطهم ساروا دواما ، وإن كانوا من خيارهم صاروا نجوما وأعلاما ، والله جل جلاله يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات .

وذات يوم سئل الامام علي رضي الله عنه : أيهما خير العلم أو المال ؟

فقال نضر الله تاريخه :

« العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، ولأن العلم ميراث الأنبياء والصالحين ، والمال ميراث الجامعين والكانزين ، ولأن العلم حاكم والمال محكوم عليه ، ولأن العلم يزكو ويزيد بالانفاق ، والمال ينقص بالنفقة ويضيع بالاسراف ، ثم قال منشدا :

ما الفخر الا لأهل العلم إنهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وروى أن موسى ناجي ربه ذات يوم فقال له : يارب أي عبادك أحب إليك ؟ قال : الذي يذكرني ولا ينساني . قال يارب فأي عبادك أقضى ؟ قال : الذي يحكم بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يارب فأي عبادك أعلم ؟ قال : الذي يبتغي علم الناس إلى علمه ، عسى أن يصيب ما يدله على الهدى ، ويرده عن الردى .

والاسلام يحث على العلم ، ويأمر به ، لأن مبادئه ونظمه وتوجيهاته لا تدرك الا بالعلم ، ولا يقف على أسرارها إلا الذين تفتحت قلوبهم ، وتفتقت عقولهم بنور المعرفة ، وتزودت بزاد الثقافة .

وإذا تصفحت آيات الكتاب المجيد ، وجدت حشدا هائلا من النصوص التي تدفع الانسان دفعا إلى طلب العلم وتحصيله بكل أسلوب . ترغيباً فيه ، وحضاً عليه . قال تعالى :

(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) آل عمران /١٨

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) الزمر /٩

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة /١١

(وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) آل عمران /٧

وإذا ذهبت تحصي الآيات التي تدفع الى العلم والفكر والنظر والبحث ، لوجدتها تربو على ثمانمائة آية .

علام يدل هذا ؟ لا شك أنه يدل على الموقع الفريد للعلم في شريعة القرآن الخالدة ، وأنه منها حجر الزاوية ، والركيزة المتينة ، والدعامة الراسخة .

وعلى أساس من هدى القرآن ، فاضت أحاديث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنصائح غالية ، وتوجيهات سديدة ، وكلها تبين ما للعلم من مكانة ، وما يتبوؤه من منزلة ، وتحفز الانسان إلى طلبه والسعي إليه .

ومن ذلك :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » رواه الترمذي

« الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها

فهو أحق بها » ابن ماجة
« إن الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وإنما ورثوا العلم » النسائي
« إن العالم ليستغفر له كل من في السماوات ومن في الارض حتى الحيتان في قاع البحار تستغفر للعالم » أصحاب السنن
« يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء يوم القيامة » الطبراني
بل إن الرسول الاكرم صلوات الله عليه وسلامه ، يحلق بالعلم في سماء لا تطاولها سماء ، عندما يرفع منزلة العالم على منزلة العابد . فيقول عليه الصلاة والسلام « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل فيكم » أبو داود
« ساعة عالم متكىء على اريكته ينظر في علمه خير له من عبادة مائة عام » الطبراني
« مجلس علم خير من الدنيا وما فيها » ابن ماجة
هذه النماذج من كلام الله عز وجل ، ثم من اقوال سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم ، تكشف الغطاء ، وتزيح الستار ، وتصدع بهذه الحقيقة الخطيرة وهي : أن الاسلام له جناحان يحلق بهما في دنيا الوجود الانساني ألا وهما : علم وفكر .
علم يسلط أضواءه الكاشفة ، فيحل الألغاز ، وينفذ إلى الأسرار ، ويستبطن الاغوار ، حتى يضع يده على مفاتيح الأشياء ، فيجعلها تخضع له ، وتذعن لسلطانه .
ثم فكر يستقبل معطيات العلم ، ويصهرها في بوتقته ، ويوجه إليها عيونا باصرة ، فاذا بها تستحيل إلى مزيج فيه روح الابداع ، ويبدو عليه جلال اليقين . والظاهرة الفريدة التي اتسم بها العلم في ظلال القرآن : أنه لابد أن يسير في هذه الدائرة الخاشعة المتواضعة التي تعتصم بالله ولا تتمرد على سلطانه .

(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) آل عمران/ ١٠١

هذه الدائرة الالهية هي التي عناها النص المقدس عندما قال : « باسم ربك » . وبالله ما أبهاها !!! وما أكثر إشراقها !!!
إن العلم هنا ليس منتفخ الأوداج ، ولا مزور الجناب ، ولا شامخ الأنف ، لأنه علم يعرف قدره ، ويدرك مدى حجمه ، وينظر إلى ذاته على أنه بالنسبة لعلم الله الواسع المحيط ، كقطرة في بحر ، أو حبة رمل في صحراء واسعة . « و لله المثل الاعلى »

(ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) لقمان / ٢٧

فاذا طلب الانسان العلم ، فان القرآن يوجب عليه أن يبتغيه باسم الله ، ويحصله بقدرة الله ، ويطرق أسبابه وهو مستعين بقوة الله ، ويسير في مسالكه وهو متوكل على الله ، لأن العناية الربانية إذا فارقت إنسانا ، أو تخلت عنه ، فانه سيخرج من كل نشاطه صفر اليدين .

وإذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يقضي عليه اجتهاده

إذا لا غرور ، ولا صلف ، ولا كبرياء ، ولا غطرسة ، ولا أي شيء من هذه الآفات الأخلاقية ينبغي أن يندس إلى كيان الانسان ، أو يتسرب في نفسيته ، بل لابد أن يكون متدثراً بدثار الحياء ، متحليا بحلية المراقبة ، متزينا بزينة التواضع .

لأن الانسان يمكث حياته كلها متعلما ، وفي النهاية إذا ما أراد أن يقيس حصيلة علمه ، أو يحدد لها نسبة ، فانه سيلفى نفسه أنه مازال يحبو على أول الطريق ، ويصعد أول الدرجات .

وبهذا المعنى هتف معلم البشرية وامام الرسل صلوات الله وسلامه عليه :
« لا يزال المرء عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن انه علم فقد جهل » أصحاب السنن ، وإذا سار الانسان في هذا الطريق المنير ، وانتظم في هذا العقد الوضيء ، وأفاض الله عليه ، فيجب أن يسخر كل هذا لغاية واحدة ، ومقصد واحد ، وهو رضا الله وخدمة الانسانية ، وحل مشاكلها ، لأن شعار المسلم هو أنه يجب ان يسخر كل شيء في حياته لخدمة عقيدته وإعلائها والسمو بها ، لأن العقيدة اذا طارت من دنيا الوجود الانساني فان الموازين ستختل ، والمعايير ستفسد ، والمقاييس ستضطرب ، وستتحول الحياة الى غابة حيوانية ، يأكل قويها ضعيفها ، ويستعبد كبيرها صغيرها بدون رادع او وازع .
وجاء مصداقا لهذا قول الرسول الأعظم .
« إذا طلع علي يوم لم أزدد فيه علما يقربني من ربي ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » الطبراني .
ولم كل هذا ؟ أليس العلم عبادة من العبادات بل هو أعظم العبادات شأنا ؟ ألم يقل الرسول محمد :
« من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » الترمذي .
« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » ابن ماجة ..
و إذا كان الأمر كذلك فيجب أن نتوجه بهذه العبادة لله ربنا ، نقصده وحده ، ونضعه نصب أعيننا حتى لا نضل او نزيغ . ومعنى توجهنا اليه بهذا العلم ، أننا نستغله في المجالات التي ترضيه سبحانه وهي كل ميادين النفع العام والخير الشامل للانسانية قاطبة .

وما أجل الرسول وما أروعه !!! عندما صدع بمبدأ الخشية والمراقبة الذي لا مناص من أن يلتزمه الانسان في مسيرته العلمية .. وذلك في قول الرسول الجليل عليه الصلوات « يقربني من ربي » انظروا !! هل تبصرون هذا المعيار النبوي السديد الذي ضبط به محمد قضايا العلم ونظرياته ؟ هل تدركون مدى سموه وجلاله ؟ ان الانسانية في قفزاتها العلمية ، اذا لم تعتصم بهذا المبدأ ،

ولـم تأو الى ذاك الحصن ، فكـل حصادها سيتحول الى هشيم تذروه الرياح . ذلك لانه فقد العاصم الذي يعصمه ، والحامي الـذي يحميه ، فيتبدد ويتلاشى في جحيم الحياة البعيدة عن الله ، وأتونها المستعـر المشبوب .. ان العلـــم في مدرسة القرآن .. فكر وتأمل ونظر عابد ، وقلـب خاشع ، واستغـــلال نافع لنواميس الكون وأسرار الـوجود ، وتحليق وصعود ليستشرف الانسان بنفسه عوالـــم الجمال والجلال ويتساوق مع كائنات الله في سبحاتها الطهور ويتجاوب معها وهي تسبح لخالقها ، وتشهـد له بالـوحدانية والصمدانية ، والـــديمومة والهيمنة والاستعلاء .

(وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) الاسراء / ٤٤ .

وقد يثب الى ذهنك سؤال : ما مدى نظرة القرآن إلى العلم ؟ وهل باين في نظرته بين علوم الدين والدنيا ؟

ونقول لك يا أخانا القارىء الكريم ، معـاذ حضارة القرآن الـرائدة أن تنكمش وتتقاصر فلا تحوي في ساحتها العريضة المديدة علوم الدين والدنيا معا .

إن القرآن جاءنا بالـدين ، ولكـن ليصلح به الحياة ، ويقوم معوجها ، ويؤسس به حضارة يرضاها ربنا ، ويشيد بسلـــطانه مدنية تنهض بأمتنا .. فحاشاه ثم حاشاه بعد ذلك ، أن يعيش في عزلـة ، أو ينسحب من الميدان ، أو يتقوقع في إطار ذاتي جامد .. أو يفر من مواجهة الحياة بتياراتها الدافقة ومدها الزاحف .

وأي كتاب غير القرآن يا أخي : ربط الانسان بالكون ، وأقام بينهما صلة وطيدة لا تبلي ولا تفني .. بعد ان كان خليفة الله لا يتجاسر على التأمل فيه ..؟

ان نظرة واحدة تطلعك على أن القرآن كتاب الحياة الصادق ، الـــذي لا يعرف الـزيف او التمويه أو قلـب الحقائق .

وها هو ذا الكتاب المبين بين أيدينا ، نتحدى أي إنسان يأتينا ولو بآية واحدة تدل من قريب او بعيد على التفريق بين علوم الدين والدنيا .

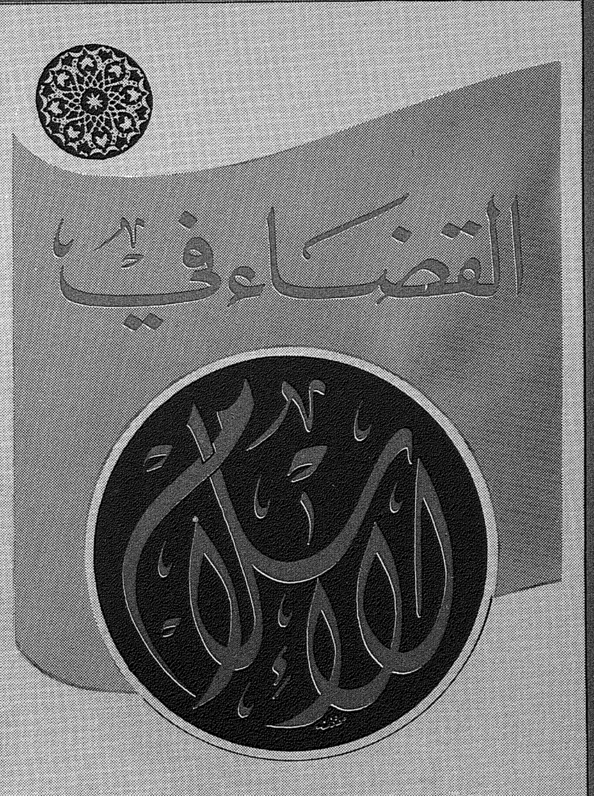
وإذا كان القرآن أتى لينبذ الحياة ، ويقيم بينها وبين أتباعه عداء ، فلماذا يقول لأتباعه :

(كنتم خير امة أخرجت للناس) آل عمران / ١١٠ .

إن الزعم بأن القرآن فصل بين الدين والدنيا ، فرية ظالمة كذوب ، روج لها أدعياء الثقافة وجهلة العلم .

وكذا الزعم بأن كتاب الله يعزل علوم الدين عن علوم الدنيا ، تخرص أفاك لا يصدر إلا من إنسان متهافت ضحل في فكره .

إن القرآن دين ودولـــة ، مصحف وسيف ، عبادة وسياسة ، دنيا وآخرة علم ومعرفة ، ثقافة وعمران ، حضارة ومدنية ، تقدم وارتقاء .


للدكتور : محمد زكي عبدالبر

يكثر الكاتبون والمتحدثون الكلام عن عظمة القضاء الانجليزي وغيره من القضاء الأجنبي . ولسنا نريد الغض من شأن هذا القضاء ، ولكننا نلفت النظر إلى أنه كان في الدولة الاسلامية قضاء سام عزيز منيع يسمو على القضاء الأجنبي الذي يفتخر به أهله ، ولكننا نسيناه أو أهملناه بفعل تأثرنا بالأجانب وانسياقنا وراءهم . وقد مد هذا القضاء الاسلامي وارف عدله على كل من أظلتهم سماء الدولة الاسلامية ، لم يخش حاكما ولم يظلم ذميا ولا ضعيفا ، وإنما سار في قوة وأمانة ، على كتاب الله وسنة رسوله ، يخط في معترك الحياة سبيل العدل والاستقامة ، وقد آن لنا في مرحلة اليقظة التي تجتازها الآن أمتنا أن نلتفت إلى تاريخنا ومنه القضاء . وفيما يلي كلمة موجزة عنه مقصود بها مجرد لفت النظر إلى تراثنا على ما تقدم .

كان هناك ثلاثة انواع من القضاء : ١ ــ القضاء العادي . ٢ ــ قضاء المظالم . ٣ ــ الحسبة ونتكلم على كل فيما يلي :

١ ــ القضاء العادي

في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو الذي يتولى الفصل في الخصومات . ولما عين ولاة على بعض البلاد عهد الى هؤلاء الولاة بالقضاء أيضا . فعهد به الى معاذ بن جبل حين جعله واليا على اليمن والى عتاب بن أسيد حين نصبه واليا على مكة ــ فكانا يقضيان بين الناس في الخصومات ولما انتشر الاسلام اذن عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة بالقضاء بين الناس ولبعض آخر بالفتيا . وكان المرجع في القضاء والفتيا القرآن الكريم والسنة النبوية .

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه كان هو القاضي في المدينة ، وكان ولاته في الأمصار هم القضاة . ثم أسند القضاء إلى عمر بن الخطاب ولكنه لم يلقب في عهد أبي بكر بالقاضي .

وفي عهد عمر رضي الله عنه انتشر الاسلام واتصل العرب بغيرهم فدعت الحاجة إلى وضع نظام جديد يقوم على الفصل بين الولاية والقضاء وتعيين قضاة غير الولاة ينوبون عن الخليفة في الفصل بين الناس في الخصومات وفقا للقرآن والسنة والاجماع والقياس . وكان عمر رضي الله عنه أول من عين القضاة فولى أبا الدرداء قضاء المدينة وشريحا قضاء الكوفة وأبا موسى الأشعري قضاء البصرة وعثمان بن قيس بن أبي العاص قضاء مصر . وروى أن عمر في آخر

عهده قال ليزيد بن أخت النمر : اكفني بعض الأمور (يعني صغارها) ورد عني الناس في الدرهم والدرهمين .

ففي عهد الخلفاء الراشدين كان القاضي يفصل في الخصومات المدنية أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار . وكذلك كانت العقوبات التأديبية تصدر من الخليفة أو عامله . وعلى العموم فقد كان الخليفة يحدد للقاضي ولايته .

وفي عهد بني أمية ظل القضاء على ما كان عليه أيام الخلفاء الراشدين . وكان القاضي يقضي بالقرآن والسنة وفقا لاجتهاده إذ لم تكن المذاهب الفقهية قد ظهرت بعد . ولكن يلاحظ ان الاحاديث النبوية كانت محل جدل كبير بين الفقهاء والمحدثين ونقدة الحديث .

وفي العصر العباسي الأول الذي يبدأ بسنة ١٣٢هـ ظهرت المذاهب الفقهية : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وغيرها . وجمع الحديث في ستة مصنفات هي – باجماع المسلمين – اصح الكتب بعد كتاب الله ولذلك أطلق عليها « الصحاح » وأصحابها هم : البخاري (٢٥٦هـ) ومسلم (٢٦١هـ) وابن ماجة (٢٧٣هـ) والترمذي (٢٧٣هـ) وابو داود (٢٧٥هـ) والنسائي (٣٠٣ هـ) . وضعفت روح الاجتهاد واصبح القاضي ملزما باصدار أحكامه وفق أحد المذاهب السابقة ففي العراق كان القاضي يحكم وفق مذهب أبي حنيفة . وفي الشام والمغرب وفق مذهب مالك وفي مصر وفق مذهب الشافعي . واذا كان الخصمان من غير المذهب الشائع في بلد ما أناب القاضي عنه قاضيا على مذهبهما . وقد أخذ العباسيون عن الفرس نظام « قاضي القضاة » وكان يقيم في حاضرة الدولة ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار . وأول من لقب بهذا اللقب أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) صاحب أبي حنيفة وصاحب كتاب « الخراج » في عهد هارون الرشيد. وكان قاضي القضاة في الاندلس يسمى « قاضي الجماعة » وفي هذا العصر اتسعت ولاية القاضي فبعد أن كان ينظر في الخصومات المدنية والجنائية أصبح يفصل في الدعاوي والأوقاف وتنصيب الأوصياء . وقد يضاف إليه الشرطة والمظالم والقصاص والحسبة ودار الضرب وبيت المال . وفي هذا العصر بعد أن كان لكل ولاية قاض أصبح في كل ولاية قضاة يمثلون المذاهب المختلفة فصار يولي القضاء أربعة يمثلون المذاهب الاربعة ، ينظر كل منهم في النزاع الذي ينشب بين أتباع مذهبه وفي ذلك يقول السيوطي : « كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت حكمهم ، ثم يستنيب القاضي من تحت أمره من يشاء في كل اقليم وفي كل بلد ولهذا كان يلقب « قاضي القضاة » ولا يلقب الا من هو بهذه الصفة ومن عداه بالقاضي فقط وقاضي بلد كذا . وأما الآن فصار في البلد

الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب « قاضي القضاة » .

وفي العصر العباسي الثاني لم يقتصر الفساد على حالة الدولة المدنية والحربية بل امتد إلى القضاة . وكان القاضي يصدر حكمه وتتولى السلطة تنفيذ هذا الحكم .

ويلاحظ أنه في عهد بني أمية لم يكن القضاة متأثرين بالسياسة بل كانوا مستقلين في أحكامهم لا يتأثرون بميول الحاكمين ، وكانوا مطلقي التصرف وكلمتهم نافذة حتى على الولاة وعمال الخراج وكان القاضي كما كان في عهد الخلفاء الراشدين رجلا عفيفا ورعا تقيا عالما مجتهدا سالما من العيوب لا تأخذه في الحق لومة لائم . اما في عهد بني العباس فقد تأثر القضاة بالسياسة لأن الخلفاء العباسيين كانوا يريدون إكساب أعمالهم صبغة الشرعية فعملوا على حمل القضاة على السير وفق رغباتهم في الحكم حتى امتنع كثير من الفقهاء عن تولي القضاء ومنهم أبو حنيفة .

٢ ـ قضاء المظالم

أنشيء هذا القضاء لوقف تعدي ذوى الجاه والحسب فكانت تعرض على قاضي المظالم القضايا إذا عجز القاضي عن تنفيذ حكمه في قضية رجل من ذوى النفوذ والجاه أو لجأ إليه المتقاضيان لاعتقادهما أن القاضي لم يحكم بينهما بالعدل . ولذلك كان يتولى النظر في المظالم رجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم « قاضي المظالم » .

ولم يجلس للمظالم أحد من الخلفاء الراشدين إلا عليا رضي الله عنه فانه كان ينظر في مشكلة من يأتيه من المتظلمين ويعمل على إنصافه ولكنه لم يعين يوما معينا أو ساعة معينة لذلك .

وكان عبدالملك بن مروان أول من جلس من الخلفاء للنظر في ظلامات الناس . وقد أفرد يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين وإذا استعصى عليه مشكل رده إلى قاضيه ابن ادريس الأزدي فكان ابن ادريس هو المباشر وعبدالله هو الآمر . وكان يحضر مجلسه الفقهاء ليرجع إليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل الشرعية .

ويدخل في ولاية قاضي المظالم :

١ ـ النظر في تعدي الولاة على الرعية وأخذهم بالعسف في السيرة .

٢ ـ جور العمال فيما يجبونه من الأموال فيرجع فيه إلى القوانين العادلة في دواوين الأئمة فيحمل الناس عليها ويأخذ العمال بها وينظر فيما استزادوه فان رفعوه إلى بيت المال أمر برده وإن أخذوه لأنفسهم استرجعه لأربابه .

٣ ـ كتاب الدوا وين لأنهم أمناء المسلمين على ثبوت أموالهم فيما يستوفونه له ويوفون منه فيتصفح أحوال ما وكل إليهم فان عدلوا بحق ، من دخل أو خرج ، الى زيادة أو نقصان اعاده الى قوانينه .

وهذه البنود الثلاثة المتقدمة لا

يحتاج والي المظالم في تصفحها إلى متظلم .
٤ ـ تظلم المرتزقة من نقص أرزاقهم أو تأخرها عنهم وإجحاف النظر بهم فيرجع إلى ديوانه في فرض العطاء العادل فيجريه عليهم وينظر فيما نقصوه أو منعوه من قبل فان اخذه ولاة أمورهم استرجع منهم وإن لم يأخذوه قضاه من بيت المال .
٥ ـ رد الغصوب وهو ضربان :
أ ـ احدهما غصوب سلطانية قد تغلب عليها ولاة الجور كالأملاك المقبوضة عن أربابها إما لرغبة فيها وإما لتعد على أهلها ـ فهذا إن علم به والي المظالم عند تصفح الأمور ، أمر برده قبل التظلم إليه ، وإن لم يعلم به فهو موقوف على تظلم أربابه .
ب ـ والثاني الغصوب التي تغلب عليها ذوو الأيدي القوية وتصرفوا فيها تصرف الملاك بالقهر والغلبة وهذا موقوف على تظلم أربابه ولا ينتزع من يد غاصبه إلا بأحد أمور أربعة هي :
١ ـ اعتراف الغاصب وإقراره .
٢ ـ علم والي المظالم فيجوز له أن يحكم عليه بعلمه . ٣ ـ بينة تشهد على الغاصب بغصبه أو تشهد للمغصوب منه بملكه . ٤ ـ تظاهر الأخبار الذي ينفي عنها التواطؤ ولا يختلج فيها الشكوك لأنه لما جاز للشهود أن يشهدوا في الأملاك بتظاهر الأخبار كان حكم ولاة المظالم بذلك أحق .
٦ ـ مشارفة الوقوف (جمع وقف) وهي ضربان : عامة وخاصة .
ـ فأما العامة فيبدأ بتصفحها وإن لم يكن فيها متظلم ليجريها على سبيلها ويمضيها على شروط واقفها إذا عرفها .
ـ وأما الخاصة فان نظره فيها موقوف على تظلم أهلها عند التنازع فيها لوقفها على خصوم متعينين فيعمل عند التشاجر فيها على ما تثبت به الحقوق عند الحاكم .
ـ تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه من احكام .
ـ النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة في المصالح العامة كالمجاهر بالمنكر ضعف عن دفعه والتعدي في طريق عجز عن منعه .
ـ مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع والأعياد .
ـ النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين ، فلا يخرج في النظر بينهم عن موجب الحق ومقتضاه .

٣ ـ الحسبة

الحسبة نظام يدور اساسا حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت وظيفة المحتسب هي النظر فيما يتعلق بالنظام العام وغيره مما يستدعى الفصل فيه السرعة .

فوظيفة المحتسب كانت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على الآداب العامة وعلى الفضيلة والأمانة فكان :
ـ ينظر في مراعاة أحكام الشرع
ـ يشرف على نظام الأسواق
ـ يحول دون بروز الحوانيت مما يعوق نظام المرور

ـ استيفاء الديون
ـ الكشف على الموازين والمكاييل .
وكان لها دار خاصة فكان المحتسب يطلب جميع الباعة إلى هذه الدار في أوقات معينة ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم فيعايرها فان وجد فيها خللا صادرها وألزم صاحبها شراء غيرها أو أمره باصلاحها .

وكان عمر أول من وضع نظام الحسبة وكان يقوم بعمل المحتسب بنفسه فقد رؤى مرة يضرب جمالا ويقول له : حملت جملك ما لا يطيق .

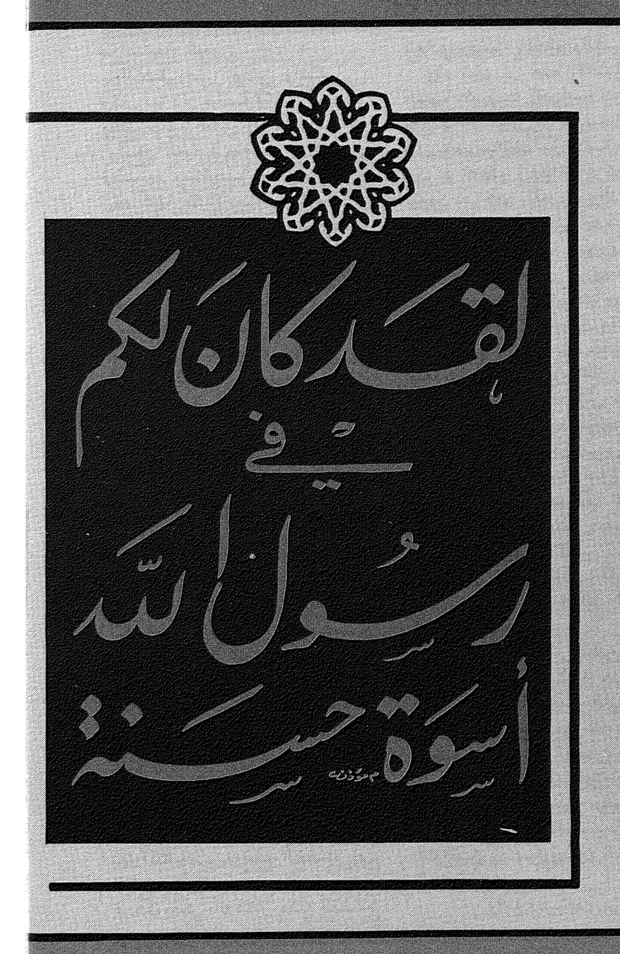
وكان القضاء والحسبة يسندان في بعض الأحيان إلى رجل واحد مع ما بين العملين من تباين فعمل القاضي مبني على التحقيق والأناة في الحكم ، وعمل المحتسب مبني على الشدة والسرعة في الفصل .

فالقضاء في الدولة الاسلامية كان يقوم به في البداءة ولي الأمر إذ ولى الأمر في الاسلام يجمع ، بتعبيرنا الحاضر ، السلطتين التنفيذية والقضائية أما التشريع فهو لله سبحانه وتعالى : « **إن الحكم الا لله** » وايضا سنة رسوله واجماع المسلمين . ولما بدأت مشاغل ولي الأمر تكثر وتتعقد اخذ يولي غيره في بعض واجباته حسب الظروف . ومعروف انه مما يلتزم به ولي الأمر في الاسلام حفظ الدين وتنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين وإقامة الحدود ، ففوض غيره في بعض ذلك فكان هناك القضاء العادي وقضاء المظالم والحسبة .

وقد تبين أن هذه الأنواع من القضاء ليست أقساما مستقلة بعضها عن بعض بل هي متداخلة إذ كان يتصل بالقضاء في الاسلام الأخذ على يد الظالم (المظالم) كما كان يتصل به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الحسبة) حتى انه كان يولي أحيانا شخص واحد أمرين منها ويجوز لوالي المظالم أن يحكم في الدعوى بدلا من القاضي مما يجعل من الصعب القول بأنه كان بين متولي هذه الأنواع ما بين الجهات القضائية بمعناها الآن من الاستقلال ، ولعل الأصدق ان يقال إنه كان تقسيم تعاون وتضافر لا قسمة اختصاصات وخصوصا وأن المتولين لهذه الأنواع الثلاثة كانوا بمثابة الوكلاء عن شخص واحد هو صاحب السلطة جميعا ، وهو ولي الأمر ، فهو يشبه من حيث طبيعة التقسيم ـ تقسيم العمل بين أعضاء النيابة العامة مع نيابتهم جميعا عن النائب العام في النظم الحالية .

ولا شك في أن هذا التنظيم يدل على حرص الدولة الاسلامية على حسن سير الامور فيها بوضع نظام مناسب لعصره . لا يغض من ذلك ان هذا النظام يحتاج ـ في العصر الحاضر ـ الى نظرة بقصد تحديد الولايات بحيث لا يكون هناك تداخل ، وتنظيم أدق برعاية السلطة القضائية وعدم التداخل بينها وبين السلطة التنفيذية .

والله المستعان ،


لقد كان لكم
في
رسول الله
أسوة حسنة

للاستاذ : محمود منسي

سار الرسول صلوات الله وسلامه عليه في طريقه يدعو الناس الى الله بعد الأحداث التي مرت بساحة المسلمين ، ولم يلتفت الى ما كان يدبره أعداء دين الله ، إن مكائدهم — وقد أعطاه الله البصيرة النافذة — لا تلبث أن تزول وأن تذوب امام زحف الاسلام ، فما ينفع الناس يمكث في الأرض ، واما الزبد فيذهب ولا يبقى ، ولو حاول الناس ما استطاعوا الى ما يريدون سبيلا أو الى ما يبتغون طريقا .

كما أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد مكنوا للايمان في نفوسهم كانوا نعم العون للرسول ، وكانوا مثل هداية وشجاعة واصرار على الحق ، لا تستطيع قوة مهما بلغت من العنف والطغيان أن تزحزحهم عن أماكنهم ، أو تجعلهم يحيدون عن طريقهم الذي رسمه لهم دينهم الذي جاءهم من عند الله ، بعد أن ضلوا وضل أسلافهم مئات القرون في عماية الجهل والضلال .. فقد قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في السنة الثالثة من الهجرة ، رهط من قبيلتي عضل والقارة فقالوا : يارسول الله ، إن فينا اسلاما ، فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام وهم : مرثد بن أبي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت ، وخبيب ابن عدى ، وزيد بن الدثنه ، وعبدالله ابن طارق ، كانوا ستة من الصحابة ، وجعل أميرهم أولهم وهو مرثد بن أبي مرثد — رضي الله عنهم أجمعين —

وخرجوا مع القوم ، يبتغون وجه الله ، وتركوا أهلهم وديارهم في سبيل دينهم حتى إذا كانوا على الرجيع — والرجيع مكان به ماء لقبيلة هذيل في الحجاز — حاولوا الغدر بهم ، وأدرك الصحابة المكيدة ، والشرك الذي وقعوا فيه ، فاستلوا أسيافهم واستعدوا للقتال ، وعندما رأى القوم منهم هذا الاصرار ، قالوا لهم انا والله ما نريد قتلكم أو القضاء عليكم ، ولكننا نريد أن نأخذكم الى أهل مكة لنصيب بكم شيئا من مال أو متاع مقابل تسليمكم إليهم — وهم أهل لكم — وهنا تظهر شجاعة المسلم ، فقد قال مرثد بن أبي مرثد وتابعه خالد بن البكير ، وعاصم بن ثابت : والله لا نقبل من مشرك مخادع عهدا ولا عقدا أبدا وأنشد عاصم :

ما علمي وأنا جلد نابل
والقوس فيها وتر عنابل
تزل عن صفحتها المعابل
الموت حق ، والحياة باطل
وكل ما حم الاله نازل
بالمرء والمرء اليه آئل

ثم قاتلوا القوم حتى قتل مرثد وصاحباه خالد وعاصم .. ومن الطريف انه عندما قتل عاصم ، أرادت « هذيل » ان تأخذ رأسه لتبيعها الى سلافة بنت سعد ، وكانت قد نذرت حين اصاب عاصم ابنيها في احد ، لئن استطاعت أن تحصل على رأس عاصم لتشربن الخمر فيها ، وحاول رجل من هذيل أن يحمل رأس عاصم اليها ، وإذ هو في طريقه خرجت عليه أسراب من النحل في الطريق ، ومنعته من الوصول ، وضاعت منه رأس عاصم أو أعماه الله عنها .. وكان عاصم قد أعطى الله عهدا ألا يمسه مشرك أو يمس مشركا أبدا ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين بلغه ما حدث : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم قد نذر ألا يمس مشركا في حياته ، فمنعه الله وحفظه بعد مماته ، كما حفظه في حياته .

وأما الثلاثة الذين لم يقتلوا وهم : زيد بن الدثنة ، وخبيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ، فقد أسروهم ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، ولكن عبدالله بن طارق استطاع أن يفك نفسه من حبال قيده ، ولكنهم تابعوه وقتلوه رميا بالحجارة ، فقبره هناك في الظهران رحمه الله رحمة واسعة ، وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة ، فقدموا بهما الى مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هنيل كانا بمكة ، فاشترى خبيبا حجير بن أبي أهاب وسلمه لعقبة بن الحارث ليقتله بأبيه الحارث — وأما زيد بن الدثنة فاشتراه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، وقد شهدت قريش كلها مقتل زيد بن الدثنة عندما خرج به صفوان إلى التنعيم بأرباض مكة ليقتص منه .. وبعث به صفوان مع مولى له يقال له « نسطاس » إلى التنعيم ، وأخرجوه هناك ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش فيهم سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين تقدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن يكون محمد في مكانك ، وأن تكون الآن بين أهلك هنا — ويقصد أبو سفيان من قوله هذا ان يعرف رأي زيد في محمد ومدى حبه له ، بعد أن صار إلى هذه الميتة بسبب إسلامه — فقال زيد والله ما أحب أن يصاب رسول الله بالأذى ، ولو كانت شوكة تؤذيه — قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدا يحب غيره كحب أصحاب محمد لمحمد .. ثم قتله نسطاس يرحمه الله ، أما خبيب فتقول ماوية مولاة حجير بن أبي اهاب — وكانت قد أسلمت — قالت :

كان خبيب عندي ، وحبس في بيتي ، فلقد اطلعت عليه يوما ، وفي يده قطف من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه ، قال لي حين حضره القتل : ياأمة الله ، ابعثي إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، فأعطيت غلاما من الحي الموسى ثم قلت له : ادخل بها على الرجل البيت .. قالت : فأخذها الغلام وأسرع بها إليه ، ثم إنني لمت

نفسي على هذا الفعل ، فماذا يكون من أمري إذا اقتص من الغلام وقتله واقتص لنفسه قبل موته .. فلما ناوله الموسى أخذهـا من يده ثم قال : لعمرك ، أما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الموسى إلي ؟ ثم أخلى سبيله .

ثم خرجوا بخبيب ، كما خرجوا بزيد قبله إلى التنعيم بحضور رجالات قريش فقال لهم : إن رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا .. قالوا دونك فاركع ، فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : إنا والله لولا أن تظنوا أنني أطلت جزعا من الموت والقتل لاستكثرت من الصلاة ، فكان خبيب ابن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين .

ثم رفعوه على خشبة وأوثقوه قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، ثم قتلوه رحمه الله .

يقول معاوية بن أبي سفيان بعد أن دخل في الاسلام : لقد حضرت خبيبا حين اقتص منه أهل مكة ، وكان في جملة الحاضرين أبو سفيان ، فرأيته يلقيني على الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دعى عليه ونام على جنبه لم يلحقه الأذى .

وكان سعيد بن عامر رضي الله عنه عاملا لعمر بن الخطاب على بعض بلاد الشام ، فكانت تصيبه غشية فيقع وهو جالس أو سائر بين الناس ، فذكر الناس هذا لعمر بن الخطاب — رضي الله عنه — فقال عندما سأله عمر لما قدم عليه : ياسعيد ، ما هذا الذي يصيبك ، ويلم بك ؟

فقال سعيد : والله ياأمير المؤمنين ، وياصاحب رسول الله ، ما بي من بأس ، ولكني كنت ممن حضر خبيب بن عدى حين قتل وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبي ، أو تذكرتها وأنا في مجلس من المجالس إلا غشى علي .

قال ابن عباس : لما أصيب مرثد وعاصم بالرجيع قال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذي هلكوا هكذا ، فلا هم قعدوا في أهلهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ، فأنزل الله فيهم أي المنافقين قوله تعالى : **(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا)** أي يتظاهر بالاسلام وقلبه ملئ بالنفاق ... **(ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)** البقرة/ ٢٠٤ . وهو أشد الناس كرها للاسلام وإن حاول أن يخفي ما في نفسه ، ويحاول تغطية هذا بالجدال والمحاجة ، ويقول حسان بن ثابت راثيا خبيبا من قصيدة طويلة نجتزئ منها :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها
سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا
لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الجور في الرفق

وهكذا لم تكن الأرض التي سار عليها الاسلام مفروشـة بالزهـور والورود ، بل انها كانت في كثير من الأوقات ملأى بالأشواك ، وتكتنفها الصخور والجنادل ، وما أصحـاب الدين الذين تحدثنا عنهم في الحديث السابق إلا مثالا من الأمثلة الهينة الدالة على صدق هذه الدعوة ، وصحة هذا القـول ، فهـذا شأن النـاس دائما ، فالف الأمور وتعودها يجعل منها ركائز ثابتة في حياتهم ، ومحاور لفكرهم لا يخرجون عن سلطانها ولا يحيدون عن دورانها ولا يستطيعون منها فكاكا وان أرادوا ، لقد كان كثير من الكفار يعرفون أن رسالة السماء وما جاءت به هو الحق ، ولكنهم غير قادرين على الخروج على عاداتهم وما ألفوه في حياتهم ولا يقتصر الأمر عند حد الوقوف موقفا لا يتقبلون فيـه الجديد ، ولكنهم يحاولون طمسـه والعدوان عليه ، ومن ذلك ما حدث عند بئر معونة بعد ثلاثة أو أربعة أشهر من أحد ، فقد قدم أبو براء عامر بن جعفر ـ ملاعب الأسنة ـ على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلـم ـ في المدينة ، فعرض عليـه الدخـول في الاسلام ودعاه إليه ، فلـم يرفض وإنما قال :

لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد ، فدعوا الناس هناك إلى دينك رجوت أن يستجيبوا لك .. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إني أخشى عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك .

فاختار رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المنذر بن عمرو ـ أخا بني ساعدة ـ مع أربعين رجلا من خيرة أصحابه فمنهم الحـارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعروة ابن أسماء ، ونافع بن بديـل بن ورقاء ، وعامر بن فهيرة مولي أبي بكر الصديق وغيرهم من رجال مشهود لهم بالسبق في الاسلام ، فساروا حتى نزلوا بأرض تسمى بئر معونة ، وهي بين مضارب بني عامر ، وبين بني سليم ـ فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه بكتاب رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم ينظر حتى يقرأه بل قتله قبل أن يفض خطابه ، ثم استصرخ عليهم بنـي عامر ، فأبو أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه وقالوا :

إن أبا براء ـ ملاعب الأسنة قد عقد لهم عقدا وجوارا وانا لن ننقض عهده معهم ، فاستصرخ عليهم بني سليم فأجابوه إلى ذلك .. وخرجوا حتى أحاطوا بصحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاستعـدوا لقتالهم ، ودارت معركة غير متكافئة انتهت بقتل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إلا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق ، وعاش حتى قتل في غزوة الخندق ومات شهيدا .

وتصادف أن كان قريبا من المكان عمرو بن أمية الضمري ، ورجل من الأنصار ، فرأوا طيورا تحـوم على

موضع من الأرض فقالا : لا شك أن لهذه شأنا ، ثم انطلقا حيث تحلق الطيور ، فوجدا أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تسربلوا بدمائهم قد لحقوا بأهل الشهادة ، واستقر رأيهما على اللحاق برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليخبراه بما رأياه ، ولكن لحقهما عامر بن الطفيل ، ورجاله ، فهرب الأنصاري ولكن عمرو بن أمية وقع أسيرا ، فلما أخبرهم أنهما من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته ، واعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

وسار عمرو بن أمية بعدها حتى إذا نزل بمكان في الطريق نزل به رجلان ، ولما سألهما عرف أنهما من بني عامر ، فتحين الفرصة وقتلهما ، وهو لا يعلم أن بين بني عامر ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عهدا ، وهو يرى أنه قد أخذ ببعض ثأر المسلمين بفعلته هذه ، فلما قدم عمرو ابن أمية على الرسول ، وأعلمه الخبر قال له : ياعمرو ، لقد قتلت اثنين قد عاهدناهما ، وعلينا ديتهما ، ولما بلغ أبو براء ما حدث ، شق عليه إخفار عامر بن الطفيل له ، واستعانته ببني سليم للقضاء على صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ثم خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بني النضير : « يستعينهم في دية هذين الرجلين اللذين قتلا من بني عامر ، وقد قتلهما عمرو بن أمية الضمري ، وكان أيضا بين بني النضير وبين بني عامر حلف وعهد فلما أتاهم قالوا : نعم ياأبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، وما استعنت بنا عليه .

ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إن هذه فرصة مواتية ، فمن يجلس إلى جنب جدار من جدرنا ، فما علينا إلا أن يقوم رجل منا فيلقي حجرا على رأسه فيموت لساعته ، وبذلك يأمن اليهود على أنفسهم بعده ، ويريحنا منه .. وانتدبوا لهذا العمل عمرو بن حماش بن كعب ـ أحدهم ـ فقال : أنا لذلك .

فصعد ليلقي عليه الصخرة ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نفر من أصحابه ، وفيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ

فعلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أتاه الخبر من السماء بما يدبر من خلف ظهره ، فقام على الفور ورجع صلى الله عليه وسلم ـ ومن كان معه ، ولما سأله أصحابه عن الأسباب التي دفعته على القيام ومغادرة المكان ، فأخبرهم الخبر ، وأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالتهيؤ لهم والسير إليهم ثم سار بالناس حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه بالحصون .

وأرسل المنافقون وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول ـ زعيم المنافقين ، ومالك بن أبي قوقل ، وسويد ، وداعس ، أرسلوا إلى بني النضير يقولون لهم مشجعين : اثبتوا وتمنعوا ، فانا لن نسلمكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم

خرجنا معكم ، ولكنهم خافوا مغبة فعلهم وفشلوا في محاولة نصرتهم ، وقذف الله في قلوب بني النضير الرعب ، وسألوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يجليهم وأن يكف عنهم وعن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الابل إلا السلاح ، فقبل ، وخرجوا من ديارهم يحملون أموالهم ومتاعهم بقدر ما استطاعت الابل أن تحمل ، ثم خرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى بلاد الشام .

يقول ابن هشام ، إن عبدالله بن بكر قال : إنهم خرجوا بالنساء والأموال والأولاد ، معهم المزامير والدفوف وما بقي من الأموال وضعت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليضعها في بيت مال المسلمين ، ثم قسمت على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا أن سهل بن حنيف ، وأبا دجانة ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونزلت في بني النضير آيات بينات من سورة الحشر ، يذكر فيها ما أصابهم من نقمة الله عز وجل ، وما سلط عليهم من العذاب فقال تعالى :

(هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار) الحشر/٢ ، هذه بعض صور مما لاقاه المسلمون على أيدي أعداء الاسلام من المنافقين واليهود وغيرهم ، الذين وقفوا من النور موقف المعاند المعارض ، الذي يرى الحق بعينيه ، ويسمعه بأذنيه ، ويمحصه بعقله ، ولكنه يأبى أن يستجيب لداعي الحق كبرا وعنادا وصلفا واستعلاء ، وكم في حياة الناس من هؤلاء من يرون الحق ولكنهم ينكرونه ، ومن يسمعون دعوته ولكنهم يضعون أصابعهم في آذانهم ، ويستكبرون استكبارا ، ولكن النصر يأتي في أعقاب الهزيمة ، والنجاح الذي يأتي في أعقاب كل عمل مخلص يقصد به وجه الله إنما هو من أعظم الأعمال أجرا ، وأرفعها قدرا عند رب العالمين ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

لم يكن ممكنا والحال هكذا أن يتوقف القتال ، أو يهدأ الطرفان ، فالدين القادم من السماء قوة تحاول الانطلاق بما تحمل من مبادئ وقيم ومثل ونظم فيها صلاح للبشر في حياتهم ومماتهم ، ودنياهم وأخراهم ، أما العبادة القديمة فهي قائمة على الوهم ، ولا بد لها أن تصارع لتبقى فهذه سنة الحياة ، فان الفناء فكرة لا تتقبلها الحياة إلا مرغمة ، ولا تستسيغها إلا مكرهة ، مهما كان نوع هذه الحياة ، حتى لو كانت طفيلية لاقيمة لها ولا وزن .. فما بين السنة الثالثة والخامسة للهجرة حدثت حوادث وغزوات صغيرة متفرقة ، كغزوة بدر الآخرة ، والتي لم يحدث فيها قتال أو لقاء ، لأن أبا

سفيان كان قد قال مقالة عقب خروجه من ميدان أحد ، وهي : موعدنا معكم العام المقبل ، ورد عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالقبول للقاء ، في نفس الموعد ، فخرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بارا بوعده ، وبقى هناك أياما ، رغم أن أبا سفيان وقريشا لم يبرا بوعدهما ..

وكذلك غزوة ذات الرقاع في غطفان ، ولم تحدث بها حرب كذلك ، كما قام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بغزو دومة الجندل ، ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، وهي موطن حديثنا اليوم ، والتي سوف يتضح منها أنها كانت قمة لتلاحم أئمة الكفر والمنافقين واليهود للوقوف في وجه الدين الجديد ، والنور الوليد ..

فقد اجتمع نفر من زعماء اليهود ، منهم سلام بن أبى الحقيق النضرى ، وحيى بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبى الحقيق النضري وغيرهم من بني النضير وبني وائل ، وقاموا بتحزيب الأحزاب وتجميعهم ، فقد خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ودعوهم إلى حرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكدوا لهم أنهم سيكونون في مقدمة هؤلاء المحاربين بعد مالقوا من محمد ، وقالوا : إنا سنكون معكم حتى نستأصله فأجابتهم قريش أو أجابهم سادتها بأن قالوا : يامعشر اليهود ، إنكم أهل الكتاب الأول ، وأنتم تعلمون أننا نختلف مع محمد ، وأن ديننا يختلف مع دينه ، فمن على حق منا ، أهو أم نحن ؟ فقال لهم زعماء اليهود : بل أنتم على حق ، ودينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ..

ولما سمعت قريش ، أو سمع زعماء قريش مقالة اليهود سرهم ماسمعوا ، ونشطوا وخفوا وتسارعوا إلى دعوة رءوس اليهود لقتال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وترك زعماء اليهود مكة وانطلقوا إلى غيرها يؤلبون الكفار والمنافقين على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى دينه الجديد ، ويبينون لهم الأخطار التي ستحيق بزعامتهم إذا هم لم يقاتلوا محمدا وينتصروا عليه ، فذهبوا إلى غطفان ، وقالوا لهم ما قالوه لزعماء قريش ، ولم يخرجوا من ديارهم إلا وغطفان قد انضمت لجموعهم ، واستعدت لحرب المسلمين والقضاء عليهم ، وعلى الدين الجديد ، وذهبوا إلى فزارة ، وبني مر وغيرهم ، فخرجت قريش يقودها ويحمل لواءها أبو سفيان بن حرب ، كما خرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن ، وخرجت بني مرة يقودها الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى في بني مرة ، ومسعر بن رحيلة فيمن تابعه من أشجع ، خرجت هذه الجموع التي بلغت عشرة آلاف مقاتل ، يملكون عدد الحرب والقتال ، ومعهم مايحتاجونه من الطعام والزاد لمدة طويلة ..

ولما بلغ الخبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جمع أصحابه واستشارهم ، واستقر رأيه ورأيهم على حفر خندق حول المدينة ـ وكان اقتراحا من رجل فارسي مسلم ، هو

سلمان الفارسي - رضى الله عنه - وأجمعوا أمرهم على مباشرة الحفر على الفور ، حتى لا تسبقهم أحزاب الكفر في الوصول إلى المدينة ودخولها ، وهنا ظهرت المساواة بين الناس في حفر هذا الخندق ، فقد أشترك في حفره جميع المسلمين وفيهم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فقد كان يشارك في الحفر بيديه الكريمتين كأقل رجل في المسلمين ، ولكن المنافقين اتضح موقفهم ، فهم لا يرفعون رءوسهم إلا في مثل هذه الظروف العصيبة ، وأخذوا يتباطئون في عملهم ، ويعتذرون بالضعف وعدم القدرة على تحمل مشقة العمل ، ويتسللون إلى أهليهم بغير إذن أو علم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الوقت الذي كان لا يستطيع فيه أحد من المسلمين أن يترك مكانه حتى لقضاء حاجته الا باذن من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فيأذن له ، ويعود بعدها ، رغبة في الخير واحتسابا في الأجر . يقول سبحانه وتعالى :

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) النور /٦٢

وقال تعالى في المنافقين : **(قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)** النور /٦٣

وعندما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمون من حفر الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم من بني كنانة وأهل تهامة كما أشرنا من قبل ، وكانت فيهم غطفان ومن تابعها من أهل نجد ، ونزلت بجانب أحد ..

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثلاثة آلاف من المسلمين ، وعسكر خلف الخندق ، أما النساء والأطفال فقد أودعوهم حصون المدينة ..

وأخذت الفتنة تلعب بقرونها ، وحاول - عدو الله - حيى بن أخطب النضرى أن يغرى كعب بن أسد زعيم بني قريظة ، وكان قد وادع - رسول الله صلى الله عليه وسلم - وعاهده ، فلما جاءه حيى بن أخطب يطرق بابه قال له : اذهب عني فأنت رجل مشئوم .

ولكن هذا لم يثن حيى بن أخطب فقد كان داهية في المكر والخديعة ، والقدرة على إقناع الناس بما يريد ، وظل ينادي كعب بن أسد زعيم بني قريظة ، ويتوسل إليه حتى فتح بابه له ، فقال : تغلق بابك دوني وقد أتيتك بالخير وعز الدهر ، جئت بجيش لا قبل لمحمد به ، ولن يستطيع أن يصمد في وجهه مهما حاول ، لقد جئتك بقريش وقادتها وذوى الرأي والبطش وأصحاب الثراء والمال فيها حتى أنزلتهم هناك بمجتمع الأسيال من رومة - مكان يسمى بهذا الاسم ،

وهو الذي عسكرت فيه قريش .
وجئتك بغطفان ومعها سادتها وأرباب الرأي والشرف فيها ، وأنزلتهم إلى جانب أحد ، لقد عاهدوني وعاقدوني على ألا يبارحوا هذا المكان حتى يستأصلوا شوكة محمد ، وينهوا الأمر فيعود إلينا سلطاننا وحياتنا التي ألفناها .
ولكن كعب بن أسد القريظي قال له : جئتني والله بذل الدهر ، وبسحاب جهام لا ماء فيه ولا خير ، فهو يبرق ويرعد وليس فيه شيء ، ويحك ياابن أخطب ، فدعني وشأني ، فأنا لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا وبرا .
ولكن حيي لم يسلم بالأمر ولم يزل بكعب حتى أعطاه عهدا وميثاقا بأنه إذا رجعت قريش دون أن تقضي على محمد ، فسوف يدخل بقومه معه في حصنه ، وليحدث لهم ما يحدث ، وليصيبهم ما يصيبهم سويا ... ولما بلغ الأمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم بعث إليهم سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة وهو يومئذ سيد الخزرج ، ومعهما عبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير وقال لهم : اذهبوا وانظروا .. أحقا ما بلغنا من أمر هؤلاء القوم .

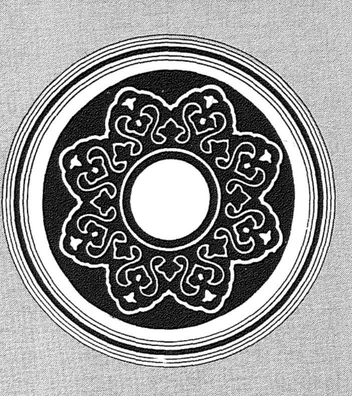
عسكر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بجنده خلف الخندق في ثلاثة آلاف في غزوة الخندق ، وكما سبق أن ذكرنا في الحديث ، أن المشركين من قريش وأنصارهم ومن تابعهم قد جاءوا بعشرة آلاف مقاتل ، وعسكروا في أماكن أحاطوا بها بالمدينة ، وقد جمع أشتات هذا الجيش الكبير يهود بني النضير وحرضوهم على قتال المسلمين ، وحاولوا ضم بني قريظة إلى هذا الجمع المعادي للمسلمين ، وعرفنا أن حيي بن أخطب استطاع أن يجعل كعب بن أسد ينكث وعده مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأرسل الرسول جماعة من أصحابه لاستقصاء هذا الأمر ومعرفة مايدبر بنو قريظة ، وليتأكد من صحة ما وصله من أخبار عن اتصال الأعداء بهم ..
ولما وصلت الجماعة المكونة من سعد ابن عبادة وعبد الله بن رواحة ، وخوات بن جبير إلى بني قريظة وسألوهم عما بلغ المسلمين من نكثهم لعهدهم واتصالهم بأعدائهم ، فوجدوهم على أخبث مما سمعوا أو بلغهم من نبئهم إذ قالوا : من رسول الله هذا ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه صرامة وحدة ، ولكن سعد بن عبادة قال له : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا أكبر من المشاتمة ثم أقبلا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعهم بقية من ذهب إليهم .. ولما سألهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن القوم قالوا : عضل والقارة ــ أي كغدر أصحاب الرجيع بأصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .
ولكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم : قال باطمئنان : ابشروا يامعشر المسلمين ..

وعظم عند ذلك البلاء واشتد الكرب ، وأتاهم العدو من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق عن بعض المنافقين حتى قال أحدهم لائما ومثبطا :
لقد كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا يأمن اليوم على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال أوس بن قيظي : يارسول الله : إن بيوتنا عورة ، فهي خارج المدينة ، وإنا نخاف أن يدخلها الأعداء فأذن لنا أن نذهب إليها لحمايتها ..
وقد نزلت فيهم آيات كريمة من القرآن الحكيم وحاصر الكفار والمشركون المدينة ما يقرب من شهر ، ولم تكن هناك حرب سوى المبارزة والرمي بالنبال ، ولما اشتد على الناس البلاء ، وعظم الخطب ، أرسل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى رجلين من قادة أعدائه وهما عيينة بن حصن ، والحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ، وقبل الرجلان الصلح على هذه الشروط ، وقبل أن يشهد على إقرار الصلح طلب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وهما سيدا الأوس والخزرج فاستشارهما في الأمر ، ولكنهما قالا له :
يارسول الله ، أهو أمر تحبه فنصنعه ؟ أم شيء أمرك الله به ؟ ، فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم : بل هو أمر أصنعه لكم .. ثم قال : والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وأتوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما .
فقال سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا نحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وكانوا لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعا ، فكيف وقد أكرمنا الله وشرفنا بالاسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك نعطيهم نخيلنا وأموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .
فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنت وذاك ، وتناول سعد بن معاذ الصحيفة ومحا ما فيها من الكتابة .
وحاولت مجموعة من فرسان العدو أن يقتحموا المدينة على المسلمين ، فاختاروا مكانا ضيقا ، وحاولوا عبوره بخيلهم وقد تصدى لهم علي بن أبى طالب وجماعة من المسلمين فردوهم على أعقابهم .
ومن المبارزات الشهيرة في تاريخ الاسلام ما حدث بين علي بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ وبين عمرو ابن ود ، وهو أحد أبطال العرب الذين شهدت لهم ميادين القتال بالفروسية والشجاعة فقد وقف في مواجهة المسلمين أمام الخندق وسار راكبا فرسه مختالا قائلا :
ــ ألا من مبارز ؟ ..ألا من مبارز ؟ أنا عمرو بن ود لا ينكرني أحد من العرب ، وكلهم يخافني ويرهبني فبرز

له علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ وقال : ياعمرو ، إنك كنت قد عاهدت ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذتهما منه .
فقال عمرو : أجل .. فقال له علي : فاني أدعوك إلى الله ورسوله والى الاسلام .. ولكن عمرا أجابه بقوله : لا حاجة لي بذلك .. ثم أتبع علي مقالته بدعوته للنزال .. فأجابه عمرو قائلا : ولم يا ابن أخي تدعوني إلى ذلك ؟ فو الله ما أحب أن أقتلك ، ولكن عليا أثاره بقوله : ولكني أحب أن أقتلك .. والحقيقة أن علي بن أبي طالب كان يود أن ينازله فاستثاره لذلك ، لأن قتل رجل مثل عمرو بن ود بمثابة هزيمة لجيش كبير ، وإن كانت الأخرى فهي الشهادة ، وهي إحدى الحسنيين ، وكان قصده من هذه المبارزة رفع الروح المعنوية لدى جند المسلمين بعدما لا قوه من العنت والبلاء بسبب الحصار ، إنها مواقف مضيئة في تاريخ الاسلام ، يجب ألا تمر بسهولة حين نسمعها أو نقرؤها فهي مواقف بطولة خالدة على مر الدهور ..
ولما سمع عمرو بن ود كلام علي بن أبي طالب وتحديه السافر ، وكان علي ـ كرم الله وجهه ـ لازال حدثا صغيرا نزل عن فرسه ، وعقره على مرأى ومسمع من الجيشين ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على ناحية علي بن أبي طالب شاهرا سيفه فتنازلا ، وتبارزا ، ودارت معركة شرسة بين رجلين ، رجل قوي مارس الحروب وله شهرة في عالم السيف وشاب لازال في مقتبل عمره يحاول بشجاعته وإيمانه أن ينتصر على هذا الخصم القوي ، ويثبت الله فؤاد علي ، ويحدث مالم يتوقعه الناس من كلا الجيشين ، ويقتل علي بن أبي طالب عمرو بن ود فارس العرب ، وابرع من أمسك سيفا في جزيرة العرب في هذا الوقت .. كان مقتل عمرو بن ود فألا سيئا للأحزاب الذين اجتمعوا لقتال المسلمين في هذه الغزوة المشهورة في تاريخ الاسلام ، فقد رأى الكفار أعظم محارب في تاريخ العرب يخر صريعا تحت أقدام غلام صغير من رجال محمد ، ليست له خبرة طويلة بعد بفنون الحرب والقتال كما كان عمرو .. ولقد هلل المسلمون وكبروا الله عز وجل الذي هزم وقتل عمرو بن ود على يد علي بن أبي طالب ، والذي كان منذ وقت قصير يمشي مختالا متبجحا مغرورا ، وهللوا وكبروا لأن الله قد وهبهم بطلا ترهبه الأبطال ، وتخافه الشجعان ، فلقد عوضهم انتصاره عن المشقة التي لاقوها في حفر الخندق ، وما سمعوه وتناقلته الأخبار عن انضمام بني قريظة لأعدائهم ، حتى أن عكرمة بن أبي جهل عندما رأى مصرع عمرو ألقى برمحه على الأرض وهو في أشد حالات الغيظ والاحباط هربا ، ويقول في هذا حسان بن ثابت شاعر الاسلام والمسلمين :

فر وألقى لنا رمحه
لعلك عكرم لم تفعل
ولم تلو ظهرك مستأنسا
كأن قفاك قفا فرعل





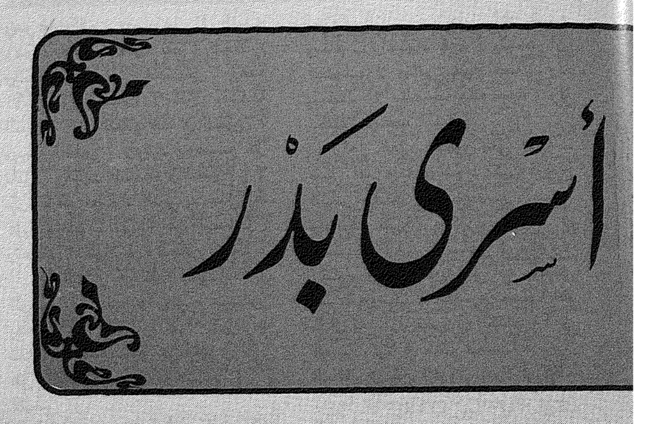
تشبث بعض الذين كتبوا في فقه السيرة وغيرها ، بقصة أسرى بدر ، ورأوا فيها مجالا ودليلا على اجتهاد النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم انتهوا من ذلك الى تقرير انه : « اذا صح للرسول – صلى الله عليه وسلم – ان يجتهد . صح منه بناء على ذلك أن يخطىء في الاجتهاد ويصيب غير ان الخطأ لا يستمر بل لا بد أن تنزل آية من القرآن تصحح له اجتهاده » .

ولم نشته هذا المس لمقام النبوة ، وتسوية اجتهاده – عليه الصلاة والسلام – في الأصل ، باجتهاد غيره ، بحيث يخطىء كما يخطىء غيره ويصيب فمثل هذا القول لا يصح ان يطلق على سيد اهل الدنيا والآخرة ، وسيد ولد آدم ، وسر هذا الكون ومعناه .

وكنا نود ان يفرق في اجتهاده – صلى الله عليه وسلم – بين ما يتصل بشئون الدنيا ، وهذا لا نزاع فيه ، وبين ما يتصل بأحكام الشرع ، وهذا محل نزاع قديم معروف – مع ذلك – في الاصول : فمنعه ابن حزم ، واقره آخرون ، وتوقف فيه حجة الاسلام الامام الغزالي – رحمه الله تعالى ..

ومع ذلك فلن نخوض في هذا المبحث الاصولي الآن : وهو يستحق ان يفرد بالبحث : لكنا سنناقش فكرتين :

الأولى : تشبيه اجتهاده – عليه الصلاة والسلام – وتسويته باجتهاد غيره ، كما يفهم من النص الذي



أشرنا اليــه : إذ قضيــة الخطــأ والصواب في الاجتهاد ، هي شأن المجتهدين والحكام .

الأخرى : فكرة اجتهاده في أسرى بدر ، فهل كان قبوله الفداء منهم اجتهادا ، وهل كان مخطئا في هذا الاجتهاد ، حتى ترتب عليــه نزول الوحي بالقرآن مصححــا خطــأه ، معاتبا له فيما وصل اليه فيه من حكم ؟

ونقول في تسوية اجتهاده ــ صلى الله عليه وسلم ــ باجتهاد غيره : ان اجتهــاد غــيره قد يكون في تفهــم النصوص التي بين يديه ، أو في دفع التعارض الذي قد يبدو فيما بينها ، بالتوفيق أو الترجيح أو النسخ أو ما الى ذلك ، أو في القيــــاس على المنصوصات الثابتة .

أما اجتهاد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يكون ــ عند القائلــين به ــ الا في قياس حكم الحوادث التي تجد ولا نص فيها على نظائرها مما نزل عليه فيه الوحي . ومن هنا افترق اجتهاده عن اجتهاد غيره ، لأنه آيل الى الوحي ، وهو بمنزلة الوحــي ، ولهذا يجب الوقوف عند اجتهاده ، والتزامه والايمان به على انه وحي ، وحكم منزل ، لا خيرة لأحد فيه ، ولا تعقيب عليه .. فلا يمكن أن يحتمل الخطأ .

امــا اجتهــاد غــيره ، فيعــروه الخطأ ، من حيث أنه قد ينحرف به فهم النص ، وقد يبدو له التعارض ،

وهو غير واقع ، وقد يذهب الى النسخ وهو غير ثابت ، فلهذا يقع في الخطأ ، ويخالفه غيره من المجتهدين . وهذه الأمور والملابسات لا تنزل بساحة النبوة ، التي تبينت معا في التنزيل ، وبينته للناس ، وعينت موضع كل دليل ، وميزت الناسخ والمنسوخ ، لا جرم ترفع اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا عن الخطأ ، وتعرض اجتهاد غيره لبعض الخطأ .

ان الذي يرتد اجتهاده الى الوحي ، فاجتهاده وحي ، فيكون بمعزل عن الخطأ . فهذا قول الله تعالى : (**وما ينطق عن الهوى . إن هو الا وحي يوحى**) . النجم/ ٣و٤ .

وإن الذي يقلب نظره في معاني النصوص والتنزيل ، وتتعارض بين يديه الأدلة . ويحاول التوفيق بينها قد يخطئه الحمل والتوفيق ، لا جرم كان هو الذي قد يخطىء في اجتهاده ويصيب . وقضية هذا الخطأ ومبعثه انه لا يعتمد على الوحي مباشرة . اما اجتهاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلا مصدر له الا الوحي ، نصا أو قياسا والوحي منزه عن الخطأ فكذا الاجتهاد الذي يبتني عليه .

وليس من الحق بعد هذا البيان ـ وهو الحق ـ أن يقال : « اذا صح له ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يجتهد صح منه بناء على ذلك ان يخطىء في الاجتهاد ويصيب » فسقطت فكرة الخطأ في اجتهاده ، وسقطت تبعا لها فكرة التسوية بين اجتهاد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ واجتهاد غيره . وثبت ان اجتهاده لا يتأتى عليه خطأ ، ولا يوصف الا بالصحة والعصمة . ولا يختلف في هذا المسلمون .

وأهل العلم متفقون على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان أرجح الناس عقلا ، وأفضلهم رأيا ، وأبعدهم نظرا ، وأكثرهم عبرا ، في سائر أحواله ، لا يناغي في ذلك ولا يجاري وهم متفقون على انه ـ صلى الله عليه وسلم ـ معصوم بعصمة الله تعالى له ، ولا نص في الكتاب ولا في السنة ، ولا في كلام الصحابة ، ولا السلف في خير القرون ، ولا في كلام الأئمة المقتدى بهم ، يشير الى نسبة الخطأ اليه .

هذا ما يتعلق بفكرة اجتهاده ، ونسبة الخطأ اليه .

أما ما يتعلق بفكرة اجتهاده في قبول الفداء من أسرى بدر ، فقد تعلق بها أيضا بعض الكاتبين ، وانتهوا إلى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أخطأ في قبول الفداء منهم ، وانه نزلت فيه الآيات معاتبات .

والثابت من الروايات في هذه الواقعة ، هو : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استشار أبا بكر وعمر ـ واستشار الناس في الأسرى يوم بدر :

فقال أبو بكر : يا نبي الله : هؤلاء هم بنو العم والعشيرة والاخوان ، وإني أرى أن تأخذ منهم الفداء ، فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على

الكفار ، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا .

وقال عمر : والله ما أرى رأي أبي بكر : ولكن أرى ان تمكنني من فلان ، قريب لعمر ، فأضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم .

قال عمر : فهوي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، وأخذ منهم الفداء .

فلما كان من الغد ، قال عمر : فغدوت الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والى أبي بكر ، وهما يبكيان ، فقلت : ما يبكيك أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت ، وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما !

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » رواه مسلم لشجرة قريبة منه ـ وانزل الله ـ عز وجل ـ : **(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله إن الله غفور رحيم)** الانفال/٦٧/٦٩ .

ونحن نتساءل فنقول : هل في هذه القصة ما يدل على خطأ النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الاجتهاد ؟ وهل فيها ما يدل على عتابه في اجتهاده هذا ؟

والواقع انه ليس في هذه القصة المذكورة ، ما يدل على اجتهاده مطلقا ؟ فلا تدل على انه اخطأ بالضرورة ، كما لا تدل على عتابه في اجتهاده لزوما : وذلك للأمور الآتية :

١) ـ إن حكم الاسرى معروف في الاسلام ، وهو تخيير الامام بين الفداء والقتل فاطراح المسألة على الصحابة للاستشارة والاستشارة في ترجيح احد الامرين . « رواية الامام احمد : « استشار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس في الاسرى يوم بدر » . فالاستشارة لبيان اي الوجهين اقرب الى المصلحة فقدم رأيان مدعمان بالدليل ، وبدا له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان قبول الفداء أرجح وأصلح ، فأخذ به . فليس في القضية اجتهاد ، وانما هي الاستشارة ، واختيار احد حكمين معروفين وللحاكم ـ من قبل ومن بعد ـ حق الخيرة منهما ـ فأين هذا من الاجتهاد ؟

٢) ـ ان اختياره ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبول الفداء ، جاء موافقا لما في أم الكتاب ، بتفسير ابن عباس قوله تعالى : **(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم)** ، فقد روي عنه ان المراد :

لولا ما ثبت في ام الكتاب من ان المغانم والاساري حلال لكم ، لمسكم فيما اخذتم من الاسرى فداء عذاب عظيم . والفداء في معنى الغنائم ، من حيث انه مال مأخوذ من الكفار .

٣) ــ انه ما يكون لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمقتضى كمال فطرته ، وعظيم خلقه ، وبالغ رأفته ورحمته بأمته ، وقد خير بين القتل والفداء ، ان يختار الا الفداء . فهذا من تطبيقات ما صح في الحديث : « ما خير رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين أمرين الا أختار أيسرهما ، ما لم يكن اثما » رواه البخاري فكيف يوصف اختياره لامر منسجم مع طبيعته وسلوكه انه مخطئ فيه ؟

٤) ــ ان قوله تعالى بعد ذلك : **(فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا)** اقرار له عليه الصلاة والسلام ــ على ما فعله ، وهو اختيار الفداء ، وهل يمكن ان يقر على ما اخطأ فيه ؟ وكيف ينكر عليه ما وافق المكتوب في ام الكتاب ؟

٥) ــ ان قضية الخطأ ولازمه ان يؤمر ــ لو حدث ــ برد الفداء على الأسرى ، لا ان يقال له : (**فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا**) اذ كيف يعتبر لازم الخطأ واثره حلالا طيبا ويباح تناوله بعد العلم ؟

٦) ــ لو كان اختياره هنا خطأ نبه عليه ، لما امتدح باحلال الغنائم له ، بقوله في الصحيح : « وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » .

٧) ــ قد كان فعله احتياطا وحكمة ، وتوقفا وانتظارا ــ كما يقول الامام ابن العربي ــ ، وليس معصية غير معنية ، كما رأى بعض الناس ــ وحاشاه من ذلك ــ فالقتل لا يفوت بأخذ الفداء ، اذ يمكن رده وتنفيذ الاثخان : بخلاف ما لو وقع الاثخان أولا ، فانه يفوت قبول الفداء . ورشح هذا الانتظار قتل سبعين من المشركين ، فيهم الصناديد والاكباش : فهل كان ذلك كافيا في الاثخان ؟

٨) ــ أن قبول الفداء حكم شرعي ثابت قبل غزوة بدر : فقد فدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عثمان ابن عبد الله ، والحكم بن كيسان ــ حين أسرا في سرية عبد الله بن جحش ، التي خرجت تعترض عيرا لقريش . كل واحد بأربعين اوقية . ولم يخطأ وقتئذ ولم يعاتب ، فكيف يخطأ هنا ويعاتب ؟

٩) ــ ورد « عن علي قوله : جاء جبريل الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم بدر ، فقال له : خير أصحابك في الاسارى : إن شاؤوا القتل ، وان شاؤوا الفداء ، على ان يقتل منهم ــ يعني من الصحابة ــ في العام المقبل مثلهم . فقالوا : نختار الفداء ، ويقتل منا » . وذلك رغبة منهم في الشهادة في سبيل الله تعالى ــ .

فيقول الحافظ ابن حجر معلقا على هذا الحديث : وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه . وعلى هذا

يكون العتب موجهـا اليهـم ، لاختيارهم غير الاولى .

١٠) ــ يبدو من مراجعة كتب السيرة والروايات في هذه القصة ، ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ استشار عامة الناس بشأن الاسرى ! واستشار ايضا الشيخين وعليا أيضا في كبار القوم فكان الاتجاه الى الفداء . فالعتاب النازل لم يكن موجها الى النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وانما كان موجها الى الذين ، مالوا الى الفـداء ، بالمال واقترحوه عليه عندما استشار عامة الناس .

ويستحيل أن يظن بالنبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه يريد الدنيا ، وهو الذي أبى أن تكون له جبال تهامة ذهبا ، وقال : « مالي وللدنيا ؟ ما انا والدنيا الا كراكب استظـل تحـت شجرة ، ثم راح وتركها » رواه احمد والترمذي كما يستحيـل ان يظـن بالصديق ذلك ، وهو الذي وهب نفسه وماله كله ، في سبيل الله ، ورسوله ، ودعوة الاسلام .

بل إن سياق قصة الاسرى والفداء في الحديث الشريف الذي رويناه ، وقول النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيها مجيبا عمر ــ رضي الله عنه ــ : « للـذي عرض علي أصحابـك من أخذهم الفداء ؟ لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة » . يدل على أن البكاء كان من أجل العتاب ، لا على أنه هو المعاتب ، بل هو الذي عرض على أصحابك وهو أخذهم الفداء ، لا أخذه هو .

وكذلك قوله : « لقـد عرض علي عذابهم » فهو يبكي للعتاب اللاذع ، والعـذاب الواقـع ، الـذي كان يهددهم ، وكاد يحيق بهم .

والخطاب في الآية : (**لمسكم فيما أخذتم**) موجه الى الجماعة لا الى النبي ــ صلى الله عليه وسلم .

واذا فالمخاطب والمعاتب ، والذي تعرض للعذاب ، هو ذلك الفريق من الصحابة ، الذي اقترح في المشورة أخذ الفداء . وهذا هو الحق الظاهر .

ولا أدري بماذا يجيب الذين يرون في الحادثة ضربا من الاجتهاد ، عما ثبت من أن المجتهد اذا أصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر .. فهل يرون ان العتاب من الاجر أيضا ؟

ويتلخص من هذا العـرض السريع ، لقصة الفداء في أسرى بدر : انا لم نكن حيال اجتهاد من قبل النبي ، صلى الله عليه وسلم ــ ولا في نزول الوحي بخلاف اجتهاده بل كنا بصدد حكم شرعي ، يخير فيه حاكم المسلمين بين أمرين : الفداء أو القتل فاستشـار الصحابـة في الاخـذ بأحدهما ، وترجيحه على الآخـر ، بحسب الحكمة والمصلحـة . فلـم يجتهـد ، ولـم جتهـدوا ــ لأن الاجتهـاد ــ كمـا هو معـروف ــ « استفراغ الوسـع لتحصيـل ظن بحكم شرعي مجهول » . والحكم هنا معروف ، وإنما وقعـت الشـورى لاختيار الاولى من جهتـي الحـكم والأنسب لظروف المسلمين وقتئذ .



لقد بات معلوما من الدين بالضرورة أن القرآن الكريم معجز ، بل ان بعض اعداء الاسلام في القديم والحديث لا ينكرون تلك الاعجاز للقرآن ، ووجوه الاعجاز متعددة النواحي ومن ثم وجدنا بعض المفسرين يركزون على الناحية التي تبرز آراءهم ازاء تفسير آي القرآن الكريم ، ولكنهم ــ وهذا حق لا مرية فيه ــ لم يستطيعوا حتى الآن ان يأتوا على كل اوجه الاعجاز بالتجلية والتوضيح ، واني لهم ذلك والمعين لا ينضب ، وبواعث البهر لا تفتأ تهز القلوب والألباب ؟!!

على ان اهم اوجه الاعجاز ــ وربما اكون على صواب ــ هي تغلغل القرآن الكريم في نفوس البشر لكشف ما انطوت عليه الجوانح ، وكتمته السرائر والضمائر حتى يغدو الباطن كالظاهر امام العيان لحكمة ربما نوفق الى اظهارها في ثنايا هذا المقال .

فلما كان الناس معادن في تباين طباعهم فقد عنى القرآن الكريم في عرض بليغ جانب بكشف الستار عن نماذج من الناس تخفت وراء البهرج الزائف ، والتصنع الخبيث ، ففي سورة البقرة تطالعنا آيات بينات لتضع أيدينا على نموذجين متقابلين من البشر ، أحدهما مسف هابط في موازين الناس ، والثاني تسنم ذروة القبول والرضا من الله ، واستحوذ على قمة الاعجاب من الغير ، لتوضيح النمط الأول تقول الآيات : (**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى**



في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) البقرة/ ٢٠٤ ــ ٢٠٦ . فقد ذكرت هذه الآيات في إيجاز مبين ، وبيان كاشف كل ما يتسم به هذا النمط البشري من صفات وطبائع حتى عرته من غلائل المداهنة والنفاق ، ولو حاول الباحثون أن يجدوا في هذا النمط صفة أخرى فوق ما أتت به الآيات لأصابهم العجز والكلال .

فنحن في رحاب الآيات أمام بشر يود أن ينسلخ من إنسانيته ليدخل حظيرة الحيوان ، ويلبس جلود الثعالب آنا ، والثعابين آنا آخر ، وقد ركزت الآيات اولا على الاشارة الى غطائه السميك : (**يعجبك قوله**) ، (**ويشهد الله على ما في قلبه**) .

فالغطاء من طبقتين ، الاولى قول معسول ، ولفظ لين ، ومنطق معجب آسر ، والثانية أيمان مغلظة كاذبة على صفاء القلب ، ونقاء السريرة ، .

والى هنا كان من الممكن ان يحرز هذا النموذج نجاحا امام الدهماء من الناس ، وربما استطاع جذب كثير من العقلاء أيضا ، ومن ثم كانت عناية القرآن بكشفه وتجليته حتى لا يقع في أحابيله أحد ، ثم تأخذ الآيات بعد كشف الغطاء عن هذا النمط في بيان الطبائع والسمات ، فهذا الذي يقسم ويشهد الله على ما في قلبه من حب للناس هو المترع القلب بالبغض ، والسعاء دائما حيث الفساد ، فقلبه المغيظ المحنق يحرك جوارحه الى مباءات الشر : (**واذا**

تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) ، ولام التعليل هنا تفيد أن هذا النمط الآدمي لم يخط الا الى فساد ، وكأنه قد عمى تماما عن كل جهات الخير والاصلاح ، أو أن ينابيع الحب والرحمة التي يولد بها الانسان قد نضبت من قلبه حتى انه اذا ذكر بعمله بعد فضحه ليرجع ويثوب لم يسمع في داخله أي نداء للخير ، ولم يستجب الا لنواقيس الكبر والعناد ، والايغال في الفساد : **(وإذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم)** فعناد هذا النمط وتأبيه عن الانصياع لدعاء الهدى والخير دليلان على تأصل الخبث عنده ، وانقطاع الامل في اصلاحه ، ومن ثم ختمت الآيات التي تتحدث في شأنه بمصيره المؤلم : **(فحسبه جهنم ولبئس المهاد)** .

وبينا نحن مع الآيات أمام خبث البشر وفسادهم وعنادهم اذا بالآيات تصعد بنا الى جو ملائكي ، فتقفنا أمام نمط آخر من الناس يتفجر الخير منه أنى سار .

ولما كان إيصال الخير يتطلب الجهد والعمل ، وربما الفداء والتضحية ، فقد وجدنا هذا النمط الآدمي الخير يضحي بنفسه ـ وهي أغلى ما يملك ـ في سبيل إرضاء الله ، أي في سبيل الخير على تعدد مناحيه ، وتباين مسالكه ، فالخير هو الهدف الاسمى عنده ، خير في العقيدة ، وخير في العبادة ، وخير في المسلك ، والمعاملة ، تقول الآية موضحة هذا النمط البشري في ايجاز معجز : **(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد)** البقرة/٢٠٧ فهذا النمط من البشر نموذج فذ للانسان المتكامل الذي يستأهل الوصف بالانسانية في أبر طباعها ، وأقوم نزعاتها ، ولقد ضغطت الآية الكريمة كل مميزات هذا النمط الأريحي في هذه الجملة القصيرة : **(يشرى نفسه)** ، ثم ضغطت الاتجاهات النبيلة لهذا القصد في جملة أخرى يتلخص فيها على قصرها كل ما يعن للفكر الانساني من اوجه الخير ، وزوايا البر والرحمة : **(ابتغاء مرضاة الله)** فلقد اصبح ارضاء الله امام هذا النمط المعيار السليم لكل ما يأتي او يدع ، وغدت اهداف حركاته وسكناته تنحصر في ذلك الارضاء .

والى هنا نجد أنفسنا ـ ونحن نستطلع هذا النمط من البشر ـ ننظر من شاهق ذروته انسانية نبيلة ـ الى حضيض بؤرته حيوانية خسيسة ، اذ المقابلة بين النمطين الآنفين كالمقابلة بين الاوج والحضيض رفعة وخسة .

واذا تركنا هذا المجال : مجال المعاملة والاحتكاك الى مجال العقيدة طالعتنا آيات اخر من سورة الحج متضمنة نمطين من البشر يكاد تفكيرهما العقائدي أن يخرجهما من زمرة البشر ، الاول جاهل مغرور ، يجادل في صلف عيي وكبر مأفون دون اعتماد على علم أصيل ، أو فكر ناضج ، يجادل في كل ما يتصل

بالعقيدة – وهي اساس الايمان – تاركا هدى الانبيـــاء ، وكتـــب المرسلين ، هذا مجال جداله ، اما هدفه فهو الاضلال ، والصرف عن عبادة الله ، فهو باختصار نمـــوذج متعجرف خاو مضل ، تقول الآيات في توضيحه : (**ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله**) الحــج/٨و٩ ، وفي مقابــل عجرفته الخاوية وإضلاله المبين كان جزاؤه المناسب الخزي في الدنيا والنار في الآخرة : (**له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق**) الحج/٩ هذا النموذج الذي تصوره تلك الآيات يوجد في حياتنا كثيرا ، ولشد ما يصيبنا بلاؤه ، هو نموذج بشري يهوى الجدال غير معتمد على علم أو ثقافة عامة ، ويزداد غرورا وصلفا كلما وجد بيئته تصغى اليه جبنا أو جهلا ، وكأن الأديان الكريمة تشير إلى أنجع طريقة لمعاملة هذا النمط من الناس حينما تقول : (**له في الدنيا خزى**) . اذ ينبغـــي أن يخزى ذلك الصنف بأية وسيلة تسبب له الخزي والهوان حتى يفيــق الى رشده ، ويعرف مكانته بين جماعته ، فعدم ترصده بالخزى تقصير ممـــن يعايشونه لما يترتب على ذلك من إيغاله في الغرور والجدال الاعمى .

بعد هذا النموذج المتعالي على خواء تصور لنا سورة الحج نموذجا آخر كالهباء ، أوكالريشة في الهواء ، هو نموذج ضعيف واه لا يرتكز على ركائز قوية من الايمان العميق ، واليقين الثابت والاطمئنان القلبي للحق ، فهو نمط ابرز ما يتميــز به الزعزعــة والتردد ، اذ هو دائما وكما تبين الآية في ايجازهـــا البديـــع على حرف ، والتعبير القرآني في وصف هذا النمط بالتأرجح على حرف اروع وأحكم مما يتشدق به علماء النفس حديثـــا في وصفهـــم هذا التأرجـــح باهتـــزاز الشخصية ، فكل ما يأتي به هؤلاء العلماء من اوصاف وسمات لهـــذا النمط البشري – وان ملأ الصفحات من كتبهم – لا يفي بما يفيده هذا التعبـــير القرآنـــي المعجـــز : « على حرف » !! ، فالتعبير لم يتعد الجار والمجرور ، ولكنه بمجرد وصوله الى الاذن الواعية يسكب في العقل شحنة من المعاني التي تصور هذا النموذج الآدمي تصويرا يفوق كل تصوير دقة وإحكامـــا واستيعابـــا لكل أجـــزاء الصورة .

والآيات وان كانت تصـــور هذا الصنف في مجال العبادة فانها ترسم لنا النهج المنحرف الذي يسلكه هذا النمط من الناس : نهـــج النفعيـــة الشخصية ، وحصر دائـــرة الافـــق الذهني والنشاطي في هذه النفعية ، فهذا النمـــوذج وصـــل في تسفلـــه العقائدي الى أن يعبد الله لا لأن الله يستحق العبادة بل ليفيض الله عليه الخير والنعم ، فان وجد غير ذلك لم يتحرج من ان ينخلع من الايمـــان بسهولة ويسر يدلان على ان ايمانه لم يعد لسانه .

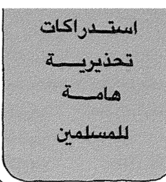
وهذا النموذج في واقعنا كثير ، فمن منا لم يصادق في حياته من صاحبه لمأرب ذاتي ، ولا يفتأ يؤكد عرى الصداقة طالما تسح سحائب النفع ، فان ونت اليد الممدودة بالخير انصرمت أواصر الصداقة ، ولا اقول نضب الحب من القلب اذ لم يكن في قلبه حب !!

وكأن الآيات في توضيحها لهذا النمط النفعي تحذرنا مغبة صداقته ، فضره اكثر من نفعه ان تصور ان فيه نفعا ، وهو دائم القلق والاضطراب ، ولا يعرف الثبات والاستقرار ، اذ هو يجري دائما وراء النفع الذاتي حتى من وراء العبادة التي ينبغي ان تكون خالصة لله تعالى : (**مخلصين له الدين**) . ولكنه لا يعرف القيم ولا المبادئ فهو يدوسها في طريق الوصول الى هدفه الهابط .

واذا كانت الآيات قد رسمت في النهاية جزاء هذا النمط والذي يناسب مبدأه الوضيع ، ذلك الجزاء الذي يتضح من قوله تعالى : (**خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**) ـ فانها تنبهنا الى ما ينبغي ان يعامل به في مجتمعه ، فينبغي ان يمني ذلك الصنف الآدمي المزعزع العقيدة بخسارتين تفوتان عليه غرضه ، وتوصدان في وجه نفعيته الأبواب ، فهو في عبادته الزائفة من أجل النفع الشخصي يستدرج بافاضة الخير حتى يفتن في حياته فينقلب على وجهه ، معاديا ربه ، ونابذا دينه ، فيخسر الدنيا والآخرة ، وبمثل هذا خليق بالناس أن يعاملوه ما داموا يشمون في صداقته رائحة النفعية ، فيحرموه متعة الصداقة ، ونعيم النفع ، ولعل في ذلك الجزاء جنبا له الى الاستقامة المطبة لشخصيته ، وانقاذا له من وهدة البوار في الدارين إن وجد عنده استعداد فطري لذلك .

هذا ، ولقد الفينا الآيات التي تعرضت لتصوير النماذج البشرية ـ قد اكثرت من نماذج الفاسدين ، موضحة طباعهم وسماتهم ومناهجهم ، ولم تذكر من نماذج الصالحين سوى نموذج واحد ، وأرى التعليل (والله أعلم بمراده) ـ يكمن في أن أتباع الفساد فعلا كثرة ، وأتباع الصلاح قلة ، ويشهد لذلك قول الله سبحانه وتعالى في كثير من الآيات : (**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**) ، (**ولكن اكثر الناس لا يؤمنون**) (**ولكن اكثر الناس لا يشكرون**) ـ غافر/٥٧و٥٩و٦١ .

وقوله في شأن الصالحين : (**الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم**) ، وبعد ، فاخالني لست محتاجا الى توضيح الهدف من هذا التطويف في رحاب تلك الآيات بعد أن برزت امامنا صور تلك النماذج البشرية ، خيرة وشريرة ، لنقتفي اثر الاولى ، ونحذر الاخيرة ، فنحظى بسعادة الدارين ويصدق فينا قول الله تعالى : (**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب**) الزمر/١٨ .







والیهود

للاستاذ / محمد عزة دروزه

في القرآن الكريم بعض آيات فيها تنويه ببني اسرائيل وايذان برعاية الله لهم وتفضيلهم على العالمين . وكتابته لهم الأرض المقدسة . وتوريثه اياهم مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها . وايجاب على المسلمين بالجنوح للسلم معهم اذا جنحوا اليه .

ومع ان في القرآن الكريم آيات كثيرة تنسخ ذلك ، فان اليهود يستغلون تلك الآيات لخداع بسطاء المسلمين واقامة الحجة عليهم من قرآنهم ، ليجعلوهم يسيغون ما كان منهم من عدوان وبغي وظلم واغتصاب ، وما يدعون اليه من الصلح على اساس الأمر الواقع الذي يؤيده القرآن الكريم في زعمهم .

ولذلك صار من واجب علماء المسلمين ونبهائهم توضيح الأمور ووضعها في نصابها الحق ، لتنوير عامة المسلمين وتحذيرهم من خداع اليهود وتضليلهم . وفي ما يلي شيء من ذلك بسبيل القيام بهذا الواجب :

أولا : في القرآن الكريم هذه الآيات :

١ ـ (**يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين**) البقرة/٤٧

٢ ـ (**ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل . وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**) السجدة/٢٣ و ٢٤

٣ ـ (**ولقد اتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب . هدى وذكرى لأولى الألباب**) غافر/٥٣ و ٥٤

٤ ـ (**ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين . من فرعون انه كان عاليا من المسرفين . ولقد اخترناهم على علم على العالمين . وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين**) الدخان/٣٠ ـ ٣٣

٥ ـ (**ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين**) الجاثية/ ١٦

وفي القرآن آيات اخرى فيها اشارة لتفضيل بني اسرائيل على العالمين . فاكتفينا بما تقدم .

وقبل كل شيء نقول ان المفسرين متفقون على ان ما ورد في هذه الآيات من تنويه وتفضيل هو منحصر بالظرف الذي منحوها فيه وليس على التأبيد .

ولقد احتوت اية سورة السجدة تعليلا لما كان من جعل الله من بني اسرائيل أئمة يهدون بأمره وهو : (**لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**) وهذا التعليل ينسحب على جميع ما في الآيات أيضا . ولقد حكت آيات كثيرة جدا بغيهم وعدوانهم وعصيانهم وتكذيبهم للانبياء وقتلهم اياهم وتحريف كتب الله وارتكاسهم في الكفر والشرك وعبادة العجل وأكلهم السحت وعدم تناهيهم عن المنكر ومخالفتهم لشرائعهم . ومكابرتهم في الحق . وصدهم عن سبيل الله وسعيهم بالفساد في الارض ونقضهم ميثاق الله المأخوذ عليهم . وخياناتهم لعهودهم واماناتهم . واستحلالهم اموال الغير ، واعراضهم عن الانضواء في الدين الاسلامي القرآني ، الذي دعوا اليه ، وتآمرهم على الاسلام والمسلمين مع الاعداء . وقررت ان الله تعالى عاقبهم على كل ذلك ، فضرب عليهم الشتات والذلة والمسكنة ، وحرم عليهم ما احل لهم من الطيبات ، ومنحه لهم من الخيرات وأدخلهم في وصف (شر البرية) الذي وصف به الكافرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وصب عليهم الغضب ، ولعنهم وجعل منهم القردة

والخنازير ، وآلى على نفسه ان يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب . واذن لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقاتلهم ، وينكل بهم ويطهر الأرض من رجسهم ، على ما جاء في آيات كثيرة جدا منها قوله تعالى : (**يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا .**

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) النساء/١٥٣ ـ ١٥٦ و : (**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما**) النساء ١٦٠ و ١٦١ ومنها : (**ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلاة واتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل . فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم**) المائدة/١٢ و ١٣ .

ولقد وصف الله المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (**كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) آل عمران/ ١١٠ ووصف الله المؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يعملون الصالحات بانهم (**خير البرية**) في الاية السابعة من سورة البينة فيكون هؤلاء هم المفضلون على غيرهم من جميع اهل الملل والنحل والاديان الاخرى قاطبة منذ الرسالة المحمدية الى الأبد وانهم الناجون وحدهم يوم القيامة .

والآيات القرآنية التي اوردنا نصوصها تربط بين اخلاق ومواقف وانحرافات وتحريفات الاسرائيليين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وبين اخلاق مواقف وانحرافات وتحريفات ابائهم كجبلة واحدة يرث الخلف السلف في كل ذلك . وفي الاسفار التي يتداولها الاسرائيليون ويقدسونها والتي كتبها كتاب اسرائيليون قدماء . صور لا تحصى عن سوء أخلاق ومواقف وتحريفات

وانحرافات الاسرائيليين القدماء بأوسع نطاق وأشمله تتطابق مع ما وصف القرآن به الاسرائيليين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وحسب ما جاء من تفصيل في كتاب **تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ،** فصاروا بذلك أسوأ جيل بشري وما زال ذلك مستمرا في أجيالهم جيلا بعد آخر ، على ما هو مشهور معروف منشور في جميع لغات العالم وكتبهم . واستحقوا من اجل ذلك ما قررته الأسفار ثم القرآن من غضب الله ولعنته وعذابه وبلائه والتشتت في أنحاء الارض وسومهم العذاب الى يوم القيامة من غيرهم . ونسخ بذلك بطبيعة الحال ما أغدقه الله عليهم من صفات ونعمة وميزات حينما صبروا واستقاموا لفترة فلم يعد لليهود اي حق بدعوى ذلك ولم يبق لهم أي مجال لتضليل الناس به .

وثانيا : في سورة المائدة هذه الآيات : (**وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين**) ٢٠ و ٢١ وفي سورة الأعراف هذه الآية : (**وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون**) ١٣٧ .

ولقد جاء بعد آيتي المائدة آيات تحكي موقف اللجاج والتمرد والجبن الذي وقفه بنو اسرائيل وايجاب الله عليهم التيهان في الأرض وعدم دخول تلك الارض المقدسة بسبب فسقهم وهي : (**قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين**) ٢٢ ـ ٢٦ وهكذا يكون الأمر من ناحية النص القرآني قد وقف عند هذا الحد وانتهى مدى حكاية قول موسى ان الله كتب لهم الارض المقدسة . هذا فضلا عن ان المفسرين متفقون على ان ذلك هو بالنسبة للظرف الذي كان وانقضى وليس على التأبيد . وجاء مصداق هذا فيما قرره القرآن عليهم من تشتت في أنحاء الارض ومن استمرار اللعنة والذل والمسكنة والغضب عليهم الى يوم القيامة .

ومن الجدير بالذكر ان الاصحاح (٢٦) من سفر الاحبار احد اسفارهم التي يتداولونها انذرهم انذارا رهيبا بالنكبات والضربات والشتات وتسلط الأغيار عليهم واذلالهم وتدميرهم اذا هم انحرفوا عن وصايا الله وشرائعه . ولقد سجلت اسفار عديدة من اسفارهم مثل اسفار القضاة وصموئيل والملوك واخبار الايام وحزقيل ودانيال انحرافات دينية وأخلاقية ارتكسوها فيها ففقدوا من وجهة نظر اسفارهم ما أنذرهم الله من تفضيل وإرث ايضا .

ثالثا : في سورة الانفال هذه الآيات : (**ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون . فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون . واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون . واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون . وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم**) ٥٥ ــ ٦١ ومعظم المفسرين وروايات النزول على ان هذه الآيات في صدد الاسرائيليين الذين كانوا في المدينة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي مضامينها قرائن أو دلائل على صحة ذلك . وينطوي في الآيات صورة قوية لما كان عليه اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من كفر وفسق وخيانة وتآمر على المسلمين وايجاب على المسلمين باعداد كل قوة لكفاحهم والتنكيل بهم وتشريدهم . والنقطة المهمة في بحثنا في هذه الفقرة هي جملة : (**وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله**) واليهود اليوم في فلسطين يعلنون من آن لآخر رغبتهم في الصلح مع العرب مع اعتراف العرب بدولتهم في فلسطين والصلح معهم على هذا الاساس .

والجملة القرآنية انما تنطبق عليهم حين نزولها حيث كان ارض ومنازل وحقول ومزارع خاصة بهم غير مغتصبة من غيرهم . وتنطبق على كل عدو آخر للمسلمين له دار ودولة خاصة من غير اغتصاب من الغير ثم أراد مسالمة المسلمين والانتهاء من عدوانه وعدائه . اما اليهود في فلسطين فهم أعداء معتدون على دار المسلمين والعرب . مغتصبون لما احتلوه من فلسطين اغتصابا بمساعدة طواغيت الاستعمار اعداء المسلمين والعرب بعد ان حاربوا المسلمين والعرب فيها اشد حرب وآذوهم اشد أذى وطردوهم من مدنهم وقراهم واستولوا على بيوتهم ومزارعهم وبساتينهم وكرومهم وثرواتهم المنقولة وغير المنقولة

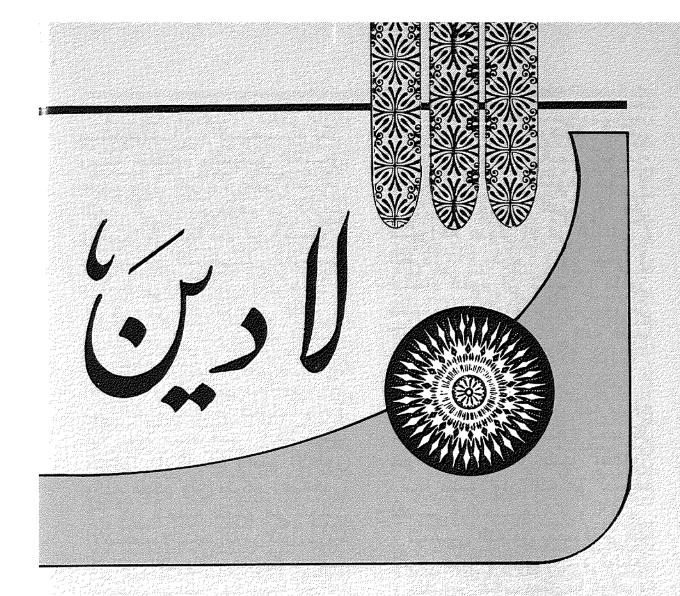
وحوانيتهم ومصانعهم وقتلوا عددا كبيرا من رجالهم ونسائهم وأطفالهم وشيوخهم ، وهتكوا حرماتهم ودنسوا مقدساتهم وهدموا مساجدهم وأزالوا معالم الاسلام والعروبة من البلد المسلم العربي المقدس . ولم يتوقفوا لحظة واحدة عن كل ذلك بعد قيام دولتهم المجرمة في قسم من فلسطين ، حيث ظلوا يطاردون من بقي من العرب فيه ، ويصادرون اراضيهم وينشئون عليها المستوطنات ، ويمنحونها لمهاجرين من شذاذ الآفاق ، ويسلحونهم ويحرضونهم على العرب الذين يسكنون في الاراضي المجاورة ، ويسنون القوانين العنصرية ضدهم ، ويضيقون عليهم الرزق والأنفاس ، ويعاملونهم معاملة العدو والدون في التعليم والمرافق الاخرى ، بينما يتقاضون منهم الضرائب الباهظة ، ويعتقلون من يتحرك منهم بأي حركة سياسية او اجتماعية ، ويحاكمونهم ويحكمون عليهم بأشد الأحكام ، ويسومونهم في السجون سوء العذاب والارهاب ، وحيث ظلوا يعتدون على البلاد العربية المجاورة ، ويقصفون مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويمعنون فيهم قتلا وتدميرا بدون تفريق بين رجل وامرأة وطفل وشيخ . وقد حرقوا المسجد الأقصى ، ونسفوا حيا كاملا امام حائطهم المسمى بحائط المبكى ، وفيه زاوية ابي مدين ومئات البيوت الوقفية . وفرضوا قوانينهم على بيت المقدس ، واحاطوه بالعمارات الضخمة بقصد تهويده وازالة معالمه الاسلامية العربية ، واستولوا عنوة على قسم من الحرم الابراهيمي في الخليل وهو مسجد اسلامي منذ مئات السنين وحولوه الى كنيس لهم . ولم يكن بينهم وبين المسلمين والعرب سابق عداء قبل تفكيرهم في غزو فلسطين وانشاء دولة لهم فيها على انقاض اهلها العرب والمسلمين . بل كان المسلمون والعرب والسلطان الاسلامي يمنحون كل ما كان عندهم من الحرية والأمن والطمأنينة في حين كانوا وظلوا معرضين للاضطهاد والمطاردة والمصادرة بسبب من سلوكهم واخلاقهم الفاسدة في جميع البلاد التي كانوا يقيمون فيها . فلا ينطبق عليهم معنى الجنوح الى السلم اذا اعلنوا انهم يريدون الصلح مع المسلمين والعرب مع احتفاظهم بما اغتصبوه من دارهم وبالدولة التي اقاموها بغيا وعدوانا على انقاضهم ، وبقاء اهلها الاصليين مشردين عنها في انحاء الارض ، يحيون حياة البؤس والشتات والحرمان ، ولا يجوز للمسلمين والعرب اجابتهم الى ذلك .

حتى لو تركوا بعض ما اغتصبوه واكتفوا بالقسم الذي قررته لهم هيئة الأمم . لأنه دار المسلمين والعرب وليس لهيئة الأمم ان تمنحهم جزءا مهما كان صغيرا من هذه الدار . وليس لأحد من المسلمين والعرب حق في قبول ذلك . واي تساهل في ذلك هو خيانة لله ولرسوله وللمسلمين . وعلى المسلمين واجب اعداد كل قوة

يستطيعونها ، والاستعداد بكل وسيلة لمقاتلتهم وتضييق الخناق عليهم بدون كلل ولا فتور كما امر الله ، الى ان يخرجوهم من دارهم ويطهروا كل بقعة منها من رجسهم ، وتعود الى السلطان العربي والاسلامي كما كانت . وكل تهاون في اي شيء من ذلك اثم ديني عظيم .

ويحسن ان ننبه في هذه المناسبة على نقطة هامة . وهي ان الجنوح للسلم يجب ان يكون من العدو . وقد نهى الله المسلمين عن ذلك كما جاء في آية سورة محمد هذه : **(فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم)** ٣٥ لأن الجانح للسلم هو الجانب الأضعف ولا مناص له من قبول شروط الجانب الأقوى . وقد كرم الله المسلمين عن ذلك . ولا سيما انه انما شرع الجهاد عليهم للدفاع ، ويكون المسلمون فيه في موقف المدافع المقابل بالمثل ، ويكون الكفار في موقف العدوان عليهم . وقد قال الله عز وجل : **(ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل . انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم)** الشورى/٤١ و ٤٢ وهذا حال المسلمين والعرب واليهود اليوم . فهؤلاء هم الظالمون الباغون ، وأولئك هم المنتصرون المتصدون لدفع الظلم .. ولقد امر الله تعالى المسلمين بعدم التهاون في قتال اعدائهم الى ان ينتهوا من عدوانهم ، حتى ولو كان في ذلك مشقة عليهم لأنهم على الحق . وعدوهم هو الباغي عليهم ، وقد وعدهم بالنصر كما جاء في قوله تعالى : **(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)** البقرة/١٩٣ وقوله : **(ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما)** النساء/١٠٤ وقوله : **(وكان حقا علينا نصر المؤمنين)** الروم/٤٧ وقوله : **(ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)** الحج/٣٨ و ٣٩ و : **(لينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز)** الحج/٤٠ و قوله : **(ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور)** الحج/٦٠ . ولقد آن للمسلمين من عرب وغير عرب ، ان ينتهوا من موقف العجز والتمزف الذي ارتكسوا فيه سنين طويلة ، والذي جعل أذل أمة في الأرض تذلهم وتستهين بهم وتفعل بهم وبمقدساتهم من الأفاعيل ما يحرك الحجر . ولهم من العدد العظيم والطاقات الهائلة ما يضمن لهم النصر الساحق عليهم وعلى انصارهم ، واسترداد الحق المهضوم والوطن السليب المقدس اذا ما صدقوا العزم ونصروا الله . ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز .

والحمد لله رب العالمين .



أنزل الله سبحانه وتعالى الأديان السماوية لهداية الناس الى طريق الايمان والعلم والخير والحق ، ولاصلاح احوالهم وتنظيم حياتهم ليحيوا حياة حرة كريمة طيبة ، قوامها الاخاء والوئام والسلام والعدل والتعاون والتعارف ، والسبيل الى ذلك كله الايمان بالله تعالى والاعتصام بحبله وطاعته والامتثال لأوامره ونواهيه . واذا ما تفكر الانسان في الله وادرك وجوده وعرفه ، آمن به وحده لا شريك له واطاعه واتقاه . لكن الانسان في حاجة دائما الى روابط تربطه بالله وتشده اليه كلما سولت له نفسه الامارة بالسوء ان يخرج عن طريق الله وينحرف عن صراطه المستقيم ، والى ما ينبهه الى الله ان غفل عنه وما يذكره به عز وجل ان نسيه ، فيبقى قلبه عامرا بتقوى الله ومعاني الحق والعدل والفضيلة . وما يربط الانسان بالله تعالى ربطا وثيقا ويشده اليه شدا محكما . كلما زين له الشيطان الابتعاد عنه تبارك وتعالى ، وخير منبه ينبهه اليه واقوى مذكر يذكره به عز وجل كلما غشيه غاشي الاغفال والنسيان العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر وتسبيح . شأنه في ذلك شأن المتعلم ، يبقى حافظا واعيا لما تعلم بدوام المطالعة والمذاكرة



للدكتور / فؤاد محمد محمود العارضة

وينساه بالاهمال والهجر او مثل السلاح الذي يعتريه الصدأ ويعلوه الغبار اذا اهمل ولم ينظف باستمرار . فبالعبادات يبقى المرء متصلا بالله معتصما بحبله ومتبعا سبيله وبانقطاعه عنها ينقطع عن الله ، وينحرف عن صراطه المستقيم وينسى تقواه وطاعته .

وذلك يعني ان الحكمة من العبادات كلها من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحو ذلك ، والهدف من فرضها على الانسان طاعة الله وتقواه ، واتباع شريعته والتحلي قولا وعملا بأخلاقه السماوية وفضائله السامية من حق وعدل وشرف وصدق وامانة وتواضع وتضحية وايثار وما الى ذلك من مكارم الاخلاق ، وبذلك تصلح احوال الناس وتستقيم امورهم وتطيب حياتهم ويظلهم التعاون والتآخي والتعايش السلمي . وتتجلى هذه الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . ومن ذلك قوله تعالى : **(اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)** العنكبوت/ ٤٥ .

وان ثمرة الصلاة تهذيب النفس وسمو الروح واجتناب الفاحشة والمنكر ، فمن لم تنهه صلاته عن ذلك فلا صلاة له عند الله تبارك وتعالى ،

وفرض على المسلم ان يصلي ويجتنب الفحشاء والباطل ، ومن لم يفعل ذلك بطلت صلاته وسقط ثوابها .

ومثل الصلاة الصوم فمن صام عن الطعام والشراب ولم يصم عن الشر والأذى فلا صوم له عند الله تعالى . فحكمة الصوم العليا هي تقوى الله ونبذ الشر والزور كما قال الله عز وجل : (**يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**) البقرة/١٨٣ فالتقوى هي حكمة الصوم السامية وثمرته الطيبة المرجوة .

ويوضح ذلك رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه** » .. رواه البخاري .

والزكاة والصدقة تزكيان النفس من داء الشح والبخل وتمحوان صور البؤس والفقر والجوع الذي يدفع احيانا الى اقتراف الشرور والآثام . وينالها المحتاج العاجز عن السعي والعمل ولا عائل له ولا منفق عليه ، ويرمز الاحسان والانفاق في سبيل الله والزكاة للتراحم والتكافل الاجتماعي بين عباد الله اقوياء وضعفاء واغنياء وفقراء . قال الله تبارك وتعالى : (**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم**) التوبة/١٠٣ .

وكذلك الحج فهو رحلة روحية الى بيت الله الحرام والديار الاسلامية المقدسة تعمق الايمان بالله في نفس المسلم وتزيده نورا وسناء وتوثق صلته بربه وطاعته له . وتثمر له توبة نصوحا تنفعه في الدنيا والاخرة . ويمكن ان يكون موسم الحج مؤتمرا اسلاميا ، يتلاقى فيه المسلمون ويتعارفون ويتدارسون شؤونهم المختلفة ، ويتعاونون على ما فيه الخير والعزة لهم .

والمتأمل المتفكر في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ، يتبين له ان الحكمة العليا والغاية المثلى من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة ، ان يتخلق المسلمون باخلاق الاسلام الفاضلة وادابه العالية وفضائله السامية ، ومنبع ذلك كله الايمان بالله وحده وطاعته قولا وعملا ظاهرا وباطنا . فمعظم الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة تدور حول الاخلاق والفضائل والسلوك ، وتغري بالتحلي بمكارم الاخلاق وحميد الخصال من صدق وامانة وشجاعة وتضحية وايثار وشرف وطهارة وتواضع ونحو ذلك . وتنهي عن الرذائل والمفاسد من كذب وخيانة وجبن وأثرة وأنانية وغش وخداع واستغلال واحتكار وزنى وربا وما الى ذلك من رذائل ودنايا . ويوضح ذلك هذه الآية الكريمة : (**لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**) الحديد/٢٥ وقال عز وجل : (**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا**) الملك/٢ .

ولن يقوم الناس بالقسط ولن تستقيم امورهم ولن تصلح احوالهم ولن يخيم عليهم العدل والوئام والسلام الا بتقوى الله والعمل بشريعته الغراء والتحلي بمكارم الاخلاق والفضائل التي امر الناس ان يتحلوا بها في اقوالهم وافعالهم وحياتهم وسلوكهم . وذلك يعني ان جوهر الدين وثمرته الطيبة الخلق الكريم والسلوك القويم . وتتجلى هذه الحقيقة في أحاديث شريفة عديدة منها قوله صلى الله عليه وسلم : « **انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق** » رواه البخاري والحاكم والبيهقي .

وقال صلوات الله عليه وسلامه : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » رواه أحمد والترمذي .

ونتعلم من الآيات الكريمة فضيلة التواضع والتسامح والاعتدال في الانفاق كما يقول الله تعالى : **(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)** الفرقان/٦٣

وقال عز وجل : **(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)** الفرقان/٦٧ وبالايمان والتقوى يجتنب المؤمن الشرك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا عملا بقوله جل جلاله : **(والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما)** الفرقان/٦٨

ويأبى عليه ضميره شهادة الزور والخوض في اللغو كما قال عز وجل : **(والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما)** الفرقان/٧٢

وتحثنا الآية الكريمة الآتية على الصدق وتنهانا عن رذيلة الكذب والنفاق : **(ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما)** الاحزاب/٢٤ ونتعلم من هذه الآيات الكريمة ادب التواضع وغض الصوت : **(ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير)** لقمان/١٨و١٩

وينهانا الله تعالى عن العدوان : **(ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)** البقرة/١٩٠

ويأمرنا جل شأنه بالعفو والصفح اذ يقول : **(وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم)** النور/٢٢

ولا تصفو الحياة الانسانية ولا تطيب ولا تنمو علاقات المودة والصداقة ولا تثمر الا بالتسامح ومقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان وهذا ما يدعونا اليه الله تبارك وتعالى فيقول : **(ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)** فصلت/٣٤ والحياة الآمنة تتطلب استئصال شأفة الظلم والفساد والاجرام لذلك

نهانا الله تعالى عن ذلك فقال : (**انه لا يفلح الظالمون**) الانعام/٢١ وقال عز وجل : (**وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين**) الأعراف/٨٦ وقال جل وعلا : (**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين**) النمل/٦٩

ومن اسباب الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة ازدهار الأمانة والعدل في المجتمع لذلك امرنا الله تعالى بالتحلي بهما فيقول : (**ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذاحكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل**) النساء/٥٨

ويأمرنا كذلك عز وجل باصلاح ذات البين والصلح بين المسلمين الذين يقتتلون ويتنازعون والوقوف الى جانب الحق ليبقى المسلمون صفا واحدا كالبنيان المرصوص . يقول الله جل شأنه : (**وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله**) الحجرات/٩

ويعلمنا الاسلام الحنيف التعاون على الخير والحق وعدم التعاون على الشر والباطل إذ يقول الله تعالى : (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) المائدة/٢

ويشربنا الاسلام رحيق العزة والقوة الرحيمة العادلة كما يقول الله عز وجل : (**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**) المنافقون/٨

والدين لا يصان والوطن لا يحمى ولا يتحرر اذا اغتصب ، والحق المسلوب لا يسترد الا بالجهاد الصادق بالمال والنفس والقول والعمل والعلم ، وما تقاعس قوم عن الجهاد الا ذلوا وهانوا وتعرضوا للغزو والعدوان ، لذلك امرنا الله تعالى في آيات كثيرة بالجهاد بالمال والنفس . ومن ذلك قوله تعالى : (**انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون**) التوبة/٤١ .

وقال جل جلاله : (**ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**) الصف/٤ .

وقال تبارك وتعالى : (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون**) آل عمران/١٦٩ .

والأعمال الصالحة الطيبة من ثمرات الايمان الصادق بالله كما يقول الله سبحانه وتعالى : (**والعصر . ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) سورة العصر .

وآفة التعاون والاتحاد الأثرة والأنانية ولا وحدة ولا اتحاد ولا ائتلاف الا تحت مظلة التضحية والايثار اللذين هما من اسمى اخلاق المؤمنين الصادقين كما يقول عز وجل : (**ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة**) الحشر/٩ .

وكذلك السنة النبوية المباركة محورها وملاكها الأخلاق والآداب والفضائل ، ومن ذلك هذا الحديث

الشريف : « **آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان** » (رواه البخاري ومسلم) . فهو ينهي عن الكذب وخلف الوعد والخيانة . وجوهر الايمان بالله ومكارم الاخلاق ان يحب المرء لغيره ما يحب لنفسه وان يتحلى بالتضحية والايثار . وهذا ما حث عليه رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله : « **لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » . (رواه البخاري ومسلم وأحمد) .

والمؤمن أخ للمؤمن يشعر بشعوره في السراء والضراء وفي اليسر والعسر كما يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » . (رواه أحمد ومسلم) .

والمؤمنون الصادقون يتعاونون على غرس الخير واقتلاع الشر يدا واحدة وقلبا واحدا كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا** » (رواه البخاري ومسلم) .

ومن الاخلاق الكريمة اللازمة لصنع الحياة الطيبة الجميلة الصدق والنصح وفي ذلك قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « **ان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة . ثم يختم له عمله بعمل اهل النار . وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار . ثم يختتم له عمله بعمل اهل الجنة** » . (رواه النسائي) . وقال عليه الصلاة والسلام : « **من غش فليس منا** » (رواه الترمذي) .

والاخلاص في العمل واتقانه من عماد الايمان بالله ومكارم الأخلاق كما قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « **ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه** » (رواه ابو يعلي وابن عساكر عن عائشة) والأمانة خلق عظيم وفضيلة سامية وهي عماد الايمان بالله فلا ايمان لخائن غادر كما قال الرسول صلوات الله عليه وسلامه : « **لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له** » (رواه احمد والبزار والطبراني في الأوسط) ومن الأمانة تحمل المسؤولية والقيام بالواجب كما قال عليه الصلاة والسلام : « **كلكم راع ومسؤول عن رعيته** » (رواه البخاري) .

والشجاعة من الايمان والاخلاق العظيمة . فبالشجعان يحق الحق ويقام العدل وتظهر الحقيقة ويقوم الاعوجاج ويتحرر الوطن المحتل وفي ذلك يقول رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) « **اذا رأيت امتي تهاب ان تقول للظالم : يا ظالم فقد تودع منهم** » (رواه الحاكم) .

والسماحة خلق طيب كريم كما قال صلوات الله عليه وسلامه : « **رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى** » . (متفق عليه) .

وخير الناس وأحبهم الى الله ورسوله أحسنهم عملا واكثرهم نفعا وخيرا للناس كما قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) : « **خير الناس أنفعهم للناس** » وقال : « **أحب عباد الله الى الله أحسنهم خلقا** » (رواه الطبراني) . وقال : « **ان احبكم الي احسنكم اخلاقا** » (رواه البخاري) .

ومن اجمل الاخلاق وأسماها عزة النفس ، وان يكون المرء منعما متفضلا لا سائلا مستجديا والى ذلك يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **اليد العليا خير من اليد السفلى** » . (رواه البخاري) .

والمسلم الحق يأنف من التقليد الأعمى ويأبى التبعية والانجرار لغيره فلا يكون ذيلا لأحد ولا ظلا لشخصية أخرى ، بل تراه حر التفكير والارادة مستقل الشخصية كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « **لا يكن أحدكم إمعة يقول انا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساءوا اسأت ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس ان تحسنوا وان اساءوا ان تجتنبوا اساءتهم** » (رواه الترمذى) .

وهكذا نرى ان معظم الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تدور حول الاخلاق والآداب والفضائل والعمل والسلوك ويوضح ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « **انما بعثت لأتمم صالح الاخلاق** » . (رواه البخاري والحاكم والبيهقى) . وقوله : « **اتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : ان المفلس من امتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار** » **(اخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب من صحيحه) وذلك يعني ان جوهر الاسلام الحنيف ولبابه مكارم الاخلاق والسلوك القويم الكريم والعمل الطيب المثمر فدين المرء أخلاقه وأعماله ولا دين ولا ايمان لمن لا أخلاق له .**

ولنا ان نتساءل هنا : لماذا كانت الأخلاق والآداب جوهر الاسلام الحنيف وسائر الاديان السماوية وثمرتها وغايتها العليا ؟ لانه بمكارم الاخلاق والآداب العالية والفضائل السامية ينهض الانسان ويرتقي روحيا وماديا وعلميا وحضاريا وفي شتى نواحي الحياة . وبها تطيب الحياة الانسانية وتسمو على الحياة الحيوانية ، ويعيش الناس في امن وسلام واخاء وحرية ومساواة وبها تزدهر العدالة الفردية والاجتماعية ، ويعلو الحق على الباطل ويصفو الجو ويحلو العيش . وبانتكاس الاخلاق والفضائل واضمحلالها تنتكس الحياة البشرية ، وينحط البشر

ويرجعون القهقرى ، ويفسد الفرد والمجتمع ويسود الناس التنافر والتباغض والتعادي ، وتتحكم فيهم الشهوات والغرائز والأطماع وتسودهم شريعة الغاب .

فالمرء الذي يفتقر الى مكارم الأخلاق من جد واجتهاد وصدق وأمانة ورحمة وعزيمة وإرادة وصبر ومثابرة وشجاعة ونحو ذلك ، يسفل ولا يفلح في حياته ولا يؤمن جانبه . أما الشخص الذي يتحلى بالاخلاق الكريمة والفضائل السامية فانه يعلو ويسمو ويبلغ اوج العلى ويحلق في السماء . وكذلك المجتمع الذي تطغى عليه المفاسد والرذائل ، يمرض ويضعف ويهبط الى الحضيض ويتفسخ ويفتقد السعادة والعيشة الآمنة الراضية والحياة الحرة الكريمة . اما المجتمع الذي تظلله المثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة فانه يتمتع بنعمة الصحة والعافية والقوة والحياة الطيبة الجميلة ، ويعيش حرا عزيزا سيدا ويرتقي في جميع ميادين الحياة من علمية ، وحضارية ، وثقافية ، واقتصادية ، وعسكرية ، واجتماعية ، وصناعية . وقد أدرك ذلك احمد شوقي ووعاه فقال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

وقال :

وليس بعامر بنيان قوم
اذا اخلاقهم كانت خرابا

وأوضح من ذلك ان البلدان التي دخلها العرب المسلمون فاتحين ، وهداة مصلحين أيام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين والأمويين والعباسيين ، وجدت منهم الرحمة والعدالة والرفق والانسانية ، ولم يستعبدوها ولم ينهبوا خيراتها وثرواتها ولم يسفكوا دماءها ، لانهم كانوا حملة رسالة انسانية اخلاقية ، ودعاة الى دين الله سبحانه وتعالى ، وأصحاب مبادىء سامية ومثل عليا ، ولم يكونوا استعماريين ماديين ، وهذا ما حدا بالفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون الى ان يقول : « ان التاريخ لم يعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب » . اما البلاد التي غزاها الاستعمار الغربي قديما وحديثا في الحروب الصليبية والعصر الحديث ، فقد استرق شعوبها وسخرها لخدمة مصالحه الاستعمارية اللئيمة ، ونهب خيراتها وثرواتها وحكمها بالحديد والنار ، وأعمل فيها حمامات دم غزيرة وارتكب مجازر بشرية رهيبة ، ولا ينتظر غير ذلك من غاز مستعمر مجرد من المبادىء الانسانية والقيم الاخلاقية ، ولا هم له الا النهب والسلب والاستغلال والاحتكار والسيطرة .

والقاضي الذي يفتقر الى الخلق الكريم والضمير الحي ولا يتقي الله ، يمكن ان يرتشي ويتلاعب بالقانون

وفق الهوى والغرض ، وينحرف عن جادة الحق والعدل .

ونرى اصحاب المثل العليا والقيم الأخلاقية ، يسلكون طريق الحق والعدالة والاستقامة والشرف ، ونرى اللا أخلاقيين اللا إنسانيين يتبعون طريق الباطل والجور والانحراف والخسة .

والقوانين والدساتير والقرارات المكتوبة الموضوعة ، تبقى حبرا على ورق مطوى ، وتظل مجمدة معطلة ، ويمكن ان يتلاعب بها ويتحايل عليها وتحرف حسب الهوى والمصلحة ، ما لم يقم على تنفيذها وتطبيقها ناس أولو ألباب وأخلاق وضمائر . فميثاق الأمم المتحدة ينص على حق تقرير المصير لجميع الشعوب والأمم وعلى حق الانسان في الحياة الحرة الكريمة في وطن حر مستقل ، ويحرم التدخل في الشؤون الداخلية للدول والشعوب . ومع ذلك نرى الدول الكبيرة القوية ، تتقاسم فيما بينها مناطق النفوذ في العالم وتتدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الضعيفة ، ولا تتورع عن تسخيرها لتحقيق مصالحها الاستعمارية الخبيثة . ولم لا نقول ان الشعوب التي نالت حريتها واستقلالها ، لم تنلها وفق ميثاق الأمم المتحدة . بل نالتها بعد كفاح مسلح مرير وتضحيات بشرية ومادية جسيمة ، وانتزعتها من براثن الاستعمار انتزاعا بقوة السلاح .

وذلك يعني انه لا فائدة من اصدار القوانين والقرارات والدساتير العادلة المنصفة ، ما دامت النفوس والعقول والقلوب خالية مقفرة من معاني الحق والعدل والفضائل السامية ومكارم الأخلاق . ومنبع ذلك كله الايمان بالله وتقوى الله عز وجل ، ومن لا يعرف الله لا يعرف الحق والعدل .

ومصدر الأخلاق والفضائل والآداب ومنبعها الصافي الثر المتدفق الأديان السماوية والثقافات الانسانية المستوحاة من السماء . ولا شيء يجعل سلوك المرء طيبا مستقيما وأخلاقه كريمة حميدة كالايمان بالله وتقوى الله تبارك وتعالى ، واذا ما تحلل المرء من طاعة الله ومخافته انساق مع نفسه الأمارة بالسوء ، وجرفه تيار شهواته البهيمية وغرائزه الحيوانية . ولنا ان نتساءل هنا هل التحلي بمكارم الأخلاق يغني عن أداء العبادات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحو ذلك .

أجل ! إن بلوغ الغاية لا يتحقق الا بتوفر الوسيلة المناسبة ، والوصول الى الهدف لا يكون الا بسلوك الطريق الموصل اليه . والانسان ينسى ما لديه من الوان المعرفة والثقافة بالاهمال والانقطاع عن قراءة الكتب ومطالعتها , ولا ينساها بالمواظبة على النظر في الكتب ومراجعتها ، وكذلك العبادات تهذب نفس المرء وتطهر قلبه وتسمو بروحه وتعلمه الأخلاق الفاضلة والآداب العالية وتبعث فيه ضمير الانسان وتشحنه بتقوى الله ما دام مواظبا على ادائها وداعيا

لحكمتها ومدركا لثمرتها ومستضيئا بأنوارها . فالنفس البشرية امارة بالسوء بطبعها وطبيعتها والعبادات الخالصة لوجه الله تعالى تضبط النفس وتكبح جماح الشهوة والغريزة وتحبس الأهواء والنزوات وتتحكم بها .

لذلك كانت العبادات فرامل للنفس توقفها عند الحاجة ولجاما للغريزة يلجمها ويحول دون جموحها وانفلاتها وهي حبل للمرء يربطه بالله تعالى ويشده دائما اليه كلما زين له الشيطان الخروج عن حده . وهي ضرورة حياتية لا غنى عنها وحاجة انسانية تلزم للناس جميعا على اختلاف درجاتهم ومستوياتهم العقلية والثقافية والاجتماعية . فلذا فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم جميعا لخيرهم ومصلحتهم وهدايتهم وصلاح أمرهم في الدنيا والآخرة . فمن عبد الله تعالى صادقا مخلصا واستقام أمره وصلح حاله ، نفع نفسه في الدنيا والآخرة . ومن لم يعبد الله عز وجل أضر بنفسه وأساء اليها وجنى عليها . وفي الحقيقة ان الله سبحانه وتعالى ليس في حاجة الى صلاة الناس وصيامهم وعباداتهم له بل هم في أمس الحاجة الى ذلك كله . فهو تبارك وتعالى غني عن العالمين ، والناس هم الفقراء اليه فتعالى الله وهو الغني الحميد أن يكون فقيرا الى الناس كما قال جل شأنه : (**يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**) فاطر/ ١٥ .

وفرض على الانسان ان يصلي ويصوم ويزكي ويحج ويعبد الله صادقا مخلصا وفرض عليه كذلك ان يتعلم من عبادته لله ويستضيء بأنوارها الهادية وينتهي عن الفحشاء والمنكر ويهجر الباطل والشر والأذى قولا وعملا ظاهرا وباطنا . فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عبادة لا تنهي صاحبها عن الشر والرذيلة ولا تحليه بالخير والفضيلة .

وذلك يعني ان التحلي بمكارم الأخلاق وحسن السلوك وصالح العمل لا يغني أبدا عن اداء العبادات كاملة متقنة ، فقد فرض الله تعالى على عباده أن يصلوا وينصرفوا عن الفاحشة والمنكر وان يصوموا عن الشر والباطل كما يصومون عن الطعام والشراب وان يزكوا ويحجوا ويتقوا الله ويطيعوه وينفعوا الناس بما اعطاهم تبارك وتعالى من علم وحكمة ومال وقوة وسلطان .

فالعبادة شجرة طيبة والعمل الطيب ثمرتها وكما انه لا نفع في شجرة لا تثمر ولا ثمرة بلا شجرة لا ثواب كذلك لعبادة لا تقترن بالعمل الصالح وتقوى الله . وكما انه لا بد من توفر الوسيلة والطريق لبلوغ الغاية والهدف ، كذلك لا بد من العبادة الصادقة الخالصة لوجه الله تعالى لظهور العمل الصالح المثمر والحياة الطيبة الراضية وفي ذلك قال الشاعر الباكستاني :

إذا الايمان ضاع فلا أمان
ولا دنيا لمن لم يحي دينا

القرآن ... والانسان

الناس في موقفهم من القرآن الكريم صنفان : صنف أنعم الله عليه فرأى الايمان والنور فاهتدى .. وصنف أمعن في الفساد والشر فأصابه العمى .. قال تعالى : « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا . وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا . قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ من سورة الاسراء .**

تلاوة القرآن .. والمسجد

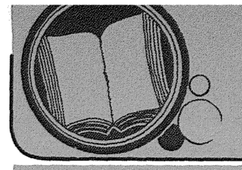
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتوم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم .

دعاء

يعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء عند النوم : « اللهم اني أسلمت وجهي إليك ، وفوضت امري اليك ، والجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت » .

امرأة

كانت عاتكة بنت عمرو بن نفيل ، امرأة جميلة ،
تزوجت عبدالرحمن بن ابي بكر فقتل عنها ، ثم تزوجت عمر بن الخطاب فقتل عنها ، ثم تزوجت الزبير بن العوام فقتل عنها ، ثم تزوجت محمد بن ابي بكر فقتل عنها .



رجل كريم

حكى الأصمعي : أنه قصد رجلا مشهورا بالكرم ، فلما جاءه منعه البواب من الدخول وقال له : ما أوقفني على بابه لأمنع مثلك الا لرقة حاله ، وقصور يده .
فكتب الأصمعي في ورقة دفعها إلى البواب هذا البيت :

اذا كان الكريم له حجاب   فما فضل الكريم على اللئيم

فأخذها البواب وأعطاها لصاحبه ، فوقع على ظهرها بهذا البيت :

إذا كان الكريم قليل مال   تحجب بالحجاب على الغريم

وعاد بها البواب الى الأصمعي ومعها صرة فيها خمسمائة دينار .

بين رجل وولده

أرسل رجل ابنه إلى السوق ليشتري له رشاء للبئر ، طوله عشرون مترا فوصل الولد إلى منتصف الطريق ، ثم رجع الى والده فقال : يا أبت ! عشرون مترا في عرض كم ؟ فقال الوالد : في عرض مصيبتي فيك يا بني .

موقف الكلاب

قال ابن الأحنف :

يمشي الفقير وكل شيء ضده   والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب   ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة   خضعت لديه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوما فقيرا عابرا   نبحت عليه وكشرت أنيابها



للأستاذ / علي عبدالله طنطاوى

أتخذ اعداء الاسلام من حاضر المسلمين وتخلفهم عن ركب الحضارة وسيلة لنشر سمومهم ، وتشكيك المسلمين في دينهم ، زاعمين أن أحكام الاسلام لا تساير المدنية الحديثة ، وأنها سبب تأخر المسلمين وتخلفهم .

وقد اتخذت هذه الفرية الخبيثة أوجها كثيرة ، وكان لكل وجه منها قناع ، فمن عدو حاقد قائل : إن القوانين الاسلامية لا تتمشى مع روح العصر الحديث ، وذلك مثل المستشرق « بروكلمان » الذي يقول : إن القانون الجزائي في الاسلام قد ظل على مستوى يقرب من السذاجة ، وهو لا يمثل إلا تقدما ضئيلا بالنسبة إلى مفاهيم القوانين الوثنية القديمة .

ويقول « وليم جيفورد » متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا ان نرى العربي يندرج في سبيل الحضارة التي لم يباعدها عنه إلا محمد وكتابه .

ومن جاهل بأحكام الشريعة لا يعرف شيئا من ضخامة ثروتها التشريعية فيصفها بالجمود ، ومن قائل أو قائلين : إن الحدود وإن صلحت في الماضي لأنها شرعت لنفوس قاسية ، فانها لا تصلح ولا تتمشى مع طباع الحاضر لعلو نفوس الناس ، وإرهاف مداركهم .

واليقين الذي لا شك فيه أن هذه المفتريات والأباطيل لا سند لها إلا الحقد والجحود ، وسنتاولها في إلمامة عاجلة .

فبالنسبة للفرية الأولى القائلة بتخلف التشريعات الاسلامية فانها جاءت من قائلها بلا سند او دليل سوى الحقد الأعمى الدفين ، بقصد التطاول على التشريع الاسلامي ، ويكفينا للرد عليها أقوال أبناء جلدته ودينه من المستشرقين المنصفين ، الذين لا يمكن لأحد أن يرميهم بالتعصب للاسلام أو الدفاع عنه ، كما أنه لا يمكن رميهم بالجهل أو قصور العلم ، لأنهم من أساطين الفقه والقانون .

فيقول العلامة الكاثوليكي « شيرل » عميد كلية الحقوق بفينا : « إن محمدا الذي تفخر البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتي قبل بضعة عشر قرنا بتشريع سنكون ـ نحن الأوروبيين ـ أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفى عام .

ويقول الفقيه الكبير « فمبري » : إن فقه الاسلام واسع إلى درجة أنني أعجب كل العجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم .

ويقول الدكتور « هوكنج » أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد : « إن في نظام الاسلام كل استعداد داخلي للنمو ، بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيرا من النظم المماثلة ، والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الاسلامي ، وإنما في انعدام الميل إلى استخدامها ، واني أشعر بأني على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض » .

ويقول العلامة الكبير « سانتيلانا » : إن في الفقه الاسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل فيه ما يكفي الانسانية كلها .

ويقول العلامة الألماني « كهلر » معلقا على رسالة الدكتور محمود فتحي في نظرية التعسف في استعمال الحق : « إن الألمان كانوا يتيهون عجبا على غيرهم في ابتكار نظرية الاعتساف ، والتشريع لها في القانون المدني الألماني الذي وضع سنة ١٧٨٧م ، أما وقد ظهر كتاب الدكتور فتحي ، وابان لنا أن رجال الفقه الاسلامي تكلموا فيه طويلا ابتداء من القرن الثاني للميلاد ، فانه يجدر بالعلم القانوني الألماني أن يترك مجد العمل بهذا المبدأ لأهله الذين عرفوه قبل أن يعرفه الألمان بعدة قرون » .

ويقول العلامة « ليفي أولمان » في تقديم رسالة الاثبات للدكتور محمد صادق فهمي : إن في هذه الرسالة ما يكفي للاعتقاد بأن التشريع الاسلامي كاف لأن يكون تشريعا عاما ، وعلى ضوء هذه الرسالة يجب اعتبار الشريعة الاسلامية

مصدرا حيا للقانون العصري ، ومناطا للحق في أدواره المختلفة .

كما شهد بسمو الشريعة الاسلامية وتقدمها المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد بلاهاي عام ١٩٣٧ ، والذي قرر أن الشريعة الاسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن .

وقد اعرب كبار رجال القانون الغربيين المشتركين في هذا المؤتمر عن بالغ تقديرهم لمبادىء الشريعة الاسلامية ، ومن هؤلاء العميد الايطالي « دل فكيو » الذي شهد بمرونة الشريعة ، « وايفارستوكا روزى » أستاذ القانون الروماني ، والعميد الامريكي « ويجمور » والفقيه الفرنسي « لامبير » .

وقد قرر المؤتمر الثاني المنعقد بلاهاي سنة ١٩٣٨ أن الشريعة الاسلامية تحمل العناصر الكافية التي تجعلها صالحة للتطور مع حاجات الزمن والمدنية .

ويتبين من شهادة كبار رجال الفقه والقانون في العالم ، وما قررته المؤتمرات الدولية بشأن الشريعة الاسلامية أن ما قرره « وليم جيفورد » و « بروكلمان » وامثالهما ليست إلا مفتريات أملاها عليهم الهوى ، قصد بها تعمية الحقائق والصد عنها ، إذ أن التشريعات الوضعية إنما تقتفي في رقيها وتقدمها أثر الشريعة الاسلامية ، ولا أدل على ذلك ــ على سبيل المثال ــ من أنه من المبادىء المقررة في الاسلام انه لا يبطل دم في الاسلام ، فلا تذهب جريمة قتل بغير عقوبة أو تعويض أسرة القتيل ، فاذا كان القاتل لا يملك مالا لدفع الدية فانها تجب على عاقلته ، فان عجزت فإنها تجب على بيت مال المسلمين .

وفي حالة القسامة إذا لم يعرف القاتل فان الدية تكون على بيت المال ، وقد كان للشريعة السبق في هذا المضمار لجميع الشرائع والقوانين ، إذ أن هذا المبدأ القائل بتعويض المجنى عليه لم تعرفه القوانين الوضعية إلا حديثا ، وقد طالب به « جارو فالو » و « أنريكومتري » ثم أوصى به المؤتمر الدولي لقانون العقوبات المنعقد في بروكسل سنة ١٩٠٠م ثم نشطت هذه الفكرة « مارجري فري » التي طالبت به سنة ١٩٥٧ في مقال نشر بجريدة الاوبزر فر البريطانية .

وقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر الدولي لقانون العقوبات المنعقد في بودابست سنة ١٩٧٤ .

ومن الدول التي أخذت بمبدأ مسئولية الدولة في تعويض المجنى عليه نيوزيلاند سنة ٦٣ وانجلترا سنة ٦٤ وولايات كاليفورنيا ونيويورك وماساسوستش بالولايات المتحدة الامريكية وفنلندا وهولندا وثماني محافظات كندية ، وكما هو معروف فان هذا المبدأ الحديث ليس إلا قبسا من نور الشريعة الاسلامية ، والذي سبقت به جميع الشرائع والقوانين منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

وأما الفرية الثانية القائلة بأن القرآن ومدينة مكة هما سبب تخلف المسلمين عن الحضارة ، فانها يقينا أكذوبة جاهل وليست سقطة عالم .

والتاريخ خير شاهد على أن القرآن هو الذي قاد العالم إلى المدنية التي يزعمون أنه لا يسايرها ، إذ أنه لم يقترب القرن الهجري الأول على تمامه ، إلا ودولة

المسلمين التي كانت محصورة في حدود جزيرة العرب قد أصبحت تمتد من حدود الصين شرقا الى جبال البرانس غربا ، وتنتظم معظم أقاليم آسيا وإفريقيا وأضحى البحر الابيض المتوسط بحيرة إسلامية يضيء الاسلام بنوره شواطئه وثغوره وجزره .

وأن هذا الذي بلغه المسلمون لم يكن يمر بخلد أحد ، فقد كانوا أقلة تحارب كثرة ، ومجموعة من البدو تحارب دولتين حضاريتين هما دولتا فارس والروم ، ولا مراء في أن عظمة المسلمين وحضارتهم التي شيدوها في هذا الوقت إنما ترجع إلى صدق إيمانهم ، وتمسكهم بقواعد دينهم ، وأن في قيام هذه الدولة الاسلامية قرونا طويلة على العزة والمنعة والعدل وفي ظل شريعة القرآن ، لهو خير دليل ، وأسطع برهان على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وفي ذلك يقول « ادموند بيرك » : « إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه ، وهو قانون نسج بأحكم نظام حقوقي ، وهو أعظم قضاء علمي ، وأعظم تشريع عادل ، لم يسبق قط للعالم إيجاد مثله ولا يمكن فيما بعد » .

وحضارة الاسلام التي قادها القرآن وأثرها على العالم حقيقة لا تقبل المناقشة ولا الجدل أقر بها العدو قبل الصديق ، وهذه هي آراء بعض مفكري رجال الغرب وعلماؤهم في هذا الشأن ، واني لا أقصد بها تقديم برهان أو دليل لصالح شريعة الاسلام وإنما أوردها لهؤلاء المفتونين بآراء الاجانب علهم يؤمنون بقيمة شريعتهم وتراثهم .

يقول جوستاف لوبون : كان تأثير العرب في الغرب عظيما للغاية فأوروبا مدينة للعرب بحضارتها ، ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب في الغرب إلا إذا تصورنا حالة اوروبا عندما أدخل العرب الحضارة إليها .

ثم يقول : « ... فتحوا لأوروبا المعرفة العلمية والأدبية والفلسفية التي كانت تجهلها ومدنوها وظلوا أساتذة لنا لمدة ستة قرون » .

وتقول الدكتورة « سجريد هونكة » : حين كانت اوروبا غارقة في ظلمات العصور الوسطى وجهالتها ، وقف العرب على أبوابها يرفعون مشعل الحضارة طوال سبعة قرون .

ويقول مونتيه : والاسلام في الواقع حضارة قائمة بنفسها ، حضارة ترجع أصولها إلى قديم الزمان ، فقد بلغت تلك الحضارة أوج مجدها في الشرق والغرب في الزمن الغابر ، ثم أخذت في الهبوط والانحطاط ، ولكنها لم تنعدم قط في وقت ما .

ويقول سارتون : حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى ، فكتبت أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأغزرها مادة باللغة العربية ، حتى لقد كان ينبغي لأي كائن إذا أراد أن يلم بثقافة عصره ، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية .

ويقول العلامة « دريبر » في معرض دفاعه عن الحضارة الاسلامية وسر إخفاء

الأوروبيين لها : « ينبغي أن أنعي على الطريقة المحكمة المنتظمة التي تحايل بها الأدب الأوربي ليخفي عن الأنظار مآثر المسلمين العلمية علينا » .

أما هذه المآثر فانها على اليقين سوف لا تظل كثيرا بعد الآن مختفية عن الانظار ، وأن الغرور المبنى على الحقد الديني ، والغرور الوطني ، لا يمكن أن يستمر إلى الأبد .

نعم لقد صدق هذا العلامة وأنصف إذ أن غمط الاسلام فضله وتشويه حقائقه ، ومحاولة النيل منه ، والاقلال من شأنه إنما مبناه الحقد الديني من هؤلاء المتعصبين الذين يلبسون حقدهم الدفين ثوب البحث العلمي .

وليس القول بجمود الشريعة الاسلامية إلا فرية من هذه المفتريات قصد بها تعمية الحقائق والصد عنها ، ذلك أن الشريعة الاسلامية جاءت بنصوص عامة ، وقواعد مجملة ، وتركت لأولى الامر سلطة استكمال ما يلزم من تشريعات سكتت الشريعة عن رسم قواعدها ، شريطة أن تكون هذه التشريعات متفقة مع مبادىء الشريعة وروحها ، وإلا كانت تشريعات باطلة ، وهذا إن دل على شيء فانما يدل على خصوبة الشريعة الاسلامية في مجال التشريع .

ولقد شهد بذلك « لامبير » كبير أساتذة القانون المقارن بفرنسا بقوله : « من ضروب الخطأ الاعتقاد أن الشريعة الاسلامية في حالة سبات ، يذكرنا بسكون المقابر وجمودها ، والحقيقة هنالك غير ذلك ، فالشريعة الاسلامية لا تزال تعد من الانظمة القانونية العظيمة في العالم الحديث » .

اما الزعم بأن العقوبات في الشريعة الاسلامية لا تصلح للحاضر ، لعلو المشاعر والأحاسيس ، خلافا لما كان سائدا وقت تشريعها ، فانه كذب وبهتان ، وواقع الحال ينطق بفريته ، إذ المتتبع لاحصائيات الجرائم في بعض الدول ، يلمس أنها في زيادة مضطردة ، فضلا عن اتسامها بطابع العنف ، وعلى سبيل المثال لقد بلغ عدد الجنايات التي أبلغ عنها في جمهورية مصر العربية سنة ٧٣ (٣١٨٥) جناية منها (١٢٤١) جناية قتل ، (٢٠٣) سرقة باكراه ، والعدد الباقي مختلف الأنواع . وبلغت عدد جرائم الجنح المبلغ عنها (١٠١٦٠١٤) ، ولقد سبق أن أوضحنا أن هذا العدد لا يمثل الواقع الفعلي للجريمة في مصر ، أما جرائم الاختلاس فحدث عنها ولا حرج ، إذ طالعتنا الجرائد بأن قيمة المبالغ المختلسة بلغت مليون و٨٣٤ ألف و ١٦٣ جنيها ، هذا غير عدد القضايا التي ما زالت قيد التحقيق ، وعددها (٢٤٩٤) قضية .

وليست زيادة الجرائم قاصرة على الدول العربية ، وإنما قد تكون بصورة أكبر وأشد عنفا في غيرها من الدول المتقدمة ، ولقد طالعتنا الصحف أن الرئيس الامريكي طلب من الكونجرس إجراء تغييرات واسعة في القوانين الجنائية الفيدرالية ، وتشديد العقوبات في بعض الجرائم ، وذلك لمواجهة هذا النوع من الجرائم العنيفة والوحشية التي تجعل الامريكيين مذعورين ، ويخشون الخروج من منازلهم ليلا .

ولو ان هناك علوا في المدارك والأحاسيس كما يزعم البعض ، لما ارتفع معدل الجريمة الى هذا الحد ، لا سيما في بلد متقدم كالولايات المتحدة ، والتي جعلت بعض مواطنيها يخشون من خروجهم ليلا ، وكما يقول الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله : « استبحر العمران ، واتسعت الحضارة ، وتعددت معها ضروب الاجرام ، واتسعت معها أبوابه ، ذلك أن النفوس قد انحرفت ، فكبرت العقول ، وضعفت القلوب ، وكبرت أدوات الشر بمقدار كبر العقول ، واستمكنت من الناس بمقدار ضعف القلوب » .

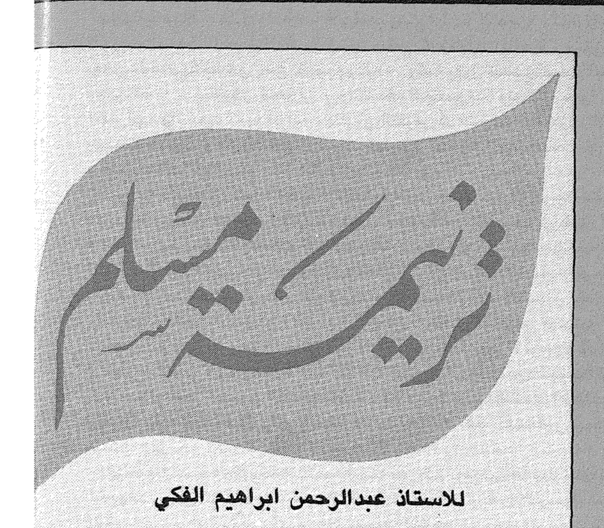
وجدير بالذكر أن شدة العقوبة الاسلامية وإن قصد بها الزجر إلا أنها وليدة تشدد الشريعة في شروط وأركان كل جريمة فضلا عن تشددها في طرق الاثبات فحصرته في وسائل معينة لا يمكن تجاوزها ، حتى ولو من أمير المؤمنين نفسه ، المنوط به توقيع العقوبات ، ويروى في هذا الشأن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أثناء فترة خلافته رجلا وامرأة يأتيان الفاحشة فجمع الناس ، وقال لهم : « ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلا وامرأة على فاحشة ؟؟ » .

فقال علي كرم الله وجهه : يأتي أمير المؤمنين بأربعة شهود ، أو يجلد حد القذف إذا صرح باسمي من رآهما ، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين ، ثم تلا قوله عز وجل : (**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**) النور/ ٤ فسكت عمر ولم يعين شخصي الزانيين .

إن مبعث شدة العقوبة الاسلامية أيضا هو عدم توقيعها إلا بعد انتفاء جميع الشبهات ، فان قامت شبهة ولو تافهة سقط بها الحد ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم » رواه ابو داود والترمذي ومن ثم كان لزاما إزاء هذه الضمانات أن يؤخذ العابث المنحرف بما يقومه ، ويحمي المجتمع من آثامه وشره .

ولقد أثبت الواقع والتاريخ أن شدة العقوبة كافية لاستتباب الأمن في المجتمعات ، فقد روى أن هشام بن عبدالملك عطل حد السرقة سنة فتضاعفت الحوادث ، وصار الناس غير آمنين على أنفسهم ، ولا أموالهم من الغصب والنهب ، فلما تفاقم الأمر واضطربت الأحوال ، أعاد العقوبة كما شرعها الله تعالى ، فكان الأعلام بالأعادة وحده كافيا لصون الحقوق وحفظ الأموال والنفوس .

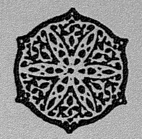
والحال في المملكة العربية السعودية خير دليل على ذلك فقد سادها الأمن والهدوء والنظام بعد تطبيقها شريعة الله ، فأصبحت الجرائم فيها لا تتجاوز أصابع اليد ، بعد أن كان الناس قبل ذلك لا يأمنون فيها على أرواحهم ولا أموالهم ، وإن دل ذلك على شيء ، فانما يدل على أن ما أصاب المسلمين من انحلال وتخلف ، إنما كان أثرا من آثار انصرافهم عن اعتبار دينهم نظاما اجتماعيا ، فضلا عن تقليدهم الأجانب ، واعتبارهم المثل الأعلى في نظام الحياة والسياسة والحكم والتشريع .



للاستاذ عبدالرحمن ابراهيم الفكي

أمـــة الاســـــلام أيـــن الحـــكم بالشرع القويم
أيـــن منـــا يوم كنـــا عابـــدي اللـــــه العظيم
فاذكروا عهـــد الرضـــا عهـــد جهـــاد وإباء
حـــين كان الحـــب للـــه جميعـــا .. بصفاء
نتبـــع الايمـــان بالصـــدق .. وبالعهـــد الوفاء
وعـــدو اللـــه .. والشيطـــان .. نوليـــه العداء
رب فاجمعنـــا على نهجـــك وارزقنـــا الثبات
كي نعـــد ماض به كنـــا عبـــادا أتقياء
إذلنـــا في ذكرك الطاهـــر نور وهناء

ويقـــين يغمـــر النفس . وفيض من ضياء
ومسرات على القلـــب تغذيـــه مساء
حـــين يأتـــي الليـــل والنـــاس نيـــام وهجوع
نقطـــع الليـــل قيامـــا وسجـــودا .. وركوع
نذرف الدمـــع وندعـــوك .. وفي العـــين دموع
ونعـــي قولك بالعقـــل وبالقلـــب المطيع
أيـــن مناتلـــكم التقـــوى وذيـــاك الخشوع
إننـــا ندعـــوك ربـــاه .. فعـــل الخيرات
قد تغشانـــا من الأعـــداء .. إعصـــار أليم
وضعونـــا في متاهـــات بهـــا الشر مقيم
قد تولى الخـــير عنهـــا ليغذيهـــا الجحيم
إذ بهـــا من خلقـــك الضالـــين أكداس تروم
كل ما يبعدهـــا عنـــك لتشقـــى .. وتهيم
جهلـــوا سر الحيـــاة الضخـــم بل كنـــه الوجود
عدلـــوا عن شرعـــك السمـــح لتشريـــع العبيد
ودعـــاة النـــار والفتنـــة يابئس الدعاه
يهدمـــون الخـــير بالشر ومـــا كانـــوا بناه
أعرضـــوا عن محـــكم الشرع لأحـــكام الطغاه
كل ما أنتجـــه العقـــل ضلال .. وتياه
وظـــلام لا ترى فيـــه إلى عدل نجاه
إنمـــا التشريـــع والأحـــكام من حق الاله
وعقـــول النـــاس لا ترقـــى لتشريـــع الحياة
هي للعلـــم إذا كانـــت تؤدي مبتغاه
إيـــه ياقـــوم أفيقـــوا .. بلـــغ السيـــل زباه
واعلمـــوا أن طريـــق اللـــه مفض لرضاه
كل من يبغـــي سواه ضل عن هدى وتاه
كل من لم يعبـــد اللـــه . فعبـــد لسواه



إنفاق الزكاة

للاستاذ عبدالرزاق نوفل

كما حرص الاسلام بمصدريه .. القرآن والسنة .. عند الدعـوة الى الصـلاة أن ينص على اقامـة الصلاة .. فلقد حرص كذلك عند الأمر بالزكاة على نص لم يتغير ولفظ لم يتبدل هو إيتاء الزكاة .. ففـي الدعوة إليها يقول القرآن الكريم :

(فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) الحج/ ٧٨ .

وفي الحديث عن المؤمنين والمؤمنات الذين يؤدون ما فرضه الله عليهم نجد النص الشريف :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعـون اللـه ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) التوبة/ ٧١ .

وهكذا في كل الآيات القرآنية التي ذكرت الزكاة .. ووجوب أدائها وبيان فضلها تذكر الـزكاة بلفـظ إيتـاء الزكاء ..

ولما تحدث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين اركان الاسلام فقد أوضح في نص حديثه الشريف : « بنـى الاسـلام على خمس : شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وإقام الصلاة وإيتاء الـزكاة وحـج البيـت ، وصـوم رمضان » رواه احمد .

ولا شك أن التأكيد والاجماع حلا ذكر ايتاء الزكاة .. وهذا أمر لابد ان يتدبره كل مسلم ويتذكره لعله يهتدي اليه .. ويتعرف عليه ..

إن الـزكاة .. معناهـا لغويـا النماء .. فايتاء الزكاة .. يكون من معانيها .. اتخاذ الانسان السبيل الى النماء .. فعلى الانسان ان يتدبر ويبحث عن أهداف الزكاة ..

لقد قرر القرآن الكريم في كثير من آياته أن انفاق الانسان هو سبيل زيادة ماله وتحسين حاله فيقول الله جل شأنه :

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فإن الله به عليم) آل عمران/ ٩٢ .

هـكذا تشتـرط الآيـة على الانسـان .. أن ينفق حتـى ينـال البر .. والبر يشمل الخير كله من مال وولد وبركة وفضل في الدنيا والرحمة والمغفرة والأجر والثواب في الآخرة وتقول الآيات الكريمة :

(وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) سبأ/ ٣٩ .

فان الله سبحانه وتعالى يخلف على الانسان ما انفق .. وحرصت الآية على ذكر الرزق فيها بل تقرير الحقيقة ان الله هو خير الرازقين ليتأكد في وجدان الانسان ان الانفاق يعوضه الله بزيادة رزق المنفق .

بل إن القرآن طالب صاحب الرزق المحدود بالانفاق كصاحب الرزق الواسع فان المعسر اذا انفق .. سيجعل الله له بعد العسر يسرا .. اذ يقول عز من قائل :

(لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) الطلاق/ ٧ .

وتتكرر آيات الانفاق والبذل والعطاء في القرآن الكريم لتقرر ما للانفاق من فضل على الفرد والمجتمع .. وفي ضوء هذه الحقائق القرآنية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(حصنوا أموالكم بالزكاة) .

وقال (ما نقص مال من صدقة)

فالزكاة اذا لا تنقص المال بل تحصنه .. أي تحفظه وتنميه ..

وقد تكرر الأمر بالانفاق والصدقات .. وحبب القرآن اليها .. ولكن لأن الانسان بطبيعته يحب المال .. فهو من ضمن زينة الحياة الدنيا إذ يقول الحق تبارك وتعالى :

(المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) الكهف/ ٤٦ .

وقرر حقيقة من حقائق الخلق الانساني .. الا وهي حب المال .. حبا شديدا اذ تقول الآيات الكريمة :

(وتحبون المال حبا جما) الفجر/ ٢٠ .

لذلك فقد فرض الاسلام على كل مسلم ان يخرج قدرا مما يملك ومما يرزقه الله به .. هذا هو الحد الأدنى للانفاق .. وجعلها حقا مكتسبا لمن تجب عليهم الزكاة فيقول القرآن الكريم :

(وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) الاسراء/ ٢٦ .

وأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم .. ومن يخلفه في ولاية أمر الناس بأن يأخذ هذا النصيب المفروض اذا لم يخرجه المسلم طواعية واختيارا فقد قال الله ولم يزل قائلا :

(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة/ ١٠٣ .

ودراسة ايتاء الزكاة .. أي سبيل النماء .. قد أوضحت في ضوء العلم الحديث ما للزكاة من افضال على شخص الفرد الذي يزكى فيتزكى .. والمجتمع الذي يضمه والدولة التي يعيش في كنفها . فالزكاة ليست نوعا من الصدقة او الاحسان يدفعه المسلم وانما هو حق معلوم وفي ادائه على هذا النحو صون لكرامة الفقير وحفظ لماء وجهه . فلا يحس الفقير بأنه موضع الصدقة والاحسان .. إنما يشعر ان

الزكاة ضريبة الأخوة .. وحق المسلم الفقير على المسلم القادر فهي ليست وسيلة لمحاربة الفقر .. قدر ما هي وسيلة لمحاربة جرائم الفقر إذ أن الفقر أساس جرائم الفرد وثورات الجماعات .. واداء الغنى للزكاة يكسبه حب الفقير وتقديره ويعمل على الحرص عليه وعلى ماله ..ولذلك فان الزكاة .. كما قدرت الدراسات الاقتصادية والاجتماعية اكبر عامل على منع انتشار المبادىء التي تثير الحقد على الاغنياء .. كما انها تعتبر من اهم وسائل تحقيق تداول المال بين أفراد المجتمع ، وتحد من قيام طبقة الأغنياء الذين يستغلون بمالهم كل مقدرات المجتمع وافراده .. فهي من أهم عوامل توزيع الثروة وانتقالها بين ايدي مختلف طبقات الشعب وهي كذلك سبيل قيام ثروات جديدة تنشأ من الزكاة وترفع بذلك من دخل الافراد المحدودي الدخل . وتحد من الفوارق الشاسعة التي قد توجد في المجتمع الذي استغل فيه بعض الاغنياء ثرواتهم .. فزاد ثراؤهم .. وزاد فقر الفقراء .. وهنا تدخل الزكاة كوسيلة من وسائل ضغط هذه الفوارق واذابتها ..

وتتميز الزكاة عن كافة ضروب الاداء بموعد ادائها .. فأوجب الاسلام الزكاة مرة كل عام ما عدا الثمار والزرع فموعد زكاتها تمام نموها وهذا أفضل الآراء . فان وجوب الزكاة كل يوم اوكل اسبوع او كل شهر يضر برأس المال ولا يدفعها الدافع عن سماح وتراض .. كما ان وجوبها مرة واحدة في العمر يضر بمن وجبت لهم الزكاة من المساكين والفقراء فليس اعدل من مواعيد الزكاة .. وكذلك الأمر بالنسبة لحدودها فان العدل هو اساس هذا التحديد .. ففي الزرع نجد انها نصف العشر منه اذا كانت الأرض المزروعة تروى بالآلات وتحتاج لذلك الى كلفة ونفقة .. واما اذا كانت الأرض تسقى بدون انفاق كالمحاصيل التي تنمو على المطر، أو من عيون ترسل الماء الى الأرض فلا كلفة من صاحبها فيجب اخراج العشر من محصولها .. كما أعفى الاسلام دور السكن الخاصة والثياب وأدوات الركوب وأدوات الزينة التي لا تتخذ للتجارة .. وآلات العمل اليدوية التي يحتاج اليها المتكسب بيده من الزكاة .

وأثبتت الدراسات الحديثة ان الزكاة تغرس الامانة المطلقة في نفوس الناس .. وتربي ضمائرهم .. وتثير فيهم نزعة الايمان بمراقبة الله لهم . فالانسان يقدر بنفسه مقدار زكاة ماله ولا حسيب عليه غير ضميره ـ ويخرجها من الصنف ولا رقيب عليه إلا الله .. فان شاء أخرجها أقل مما يجب ـ ومن أسوأ مما انتج .. ولكن احساسه وايمانه بأن الله هو الرقيب عليه وأنه تركه يقدر ما يستحق عليه من زكاة يجعله أمينا في التقدير . سخيا في الانفاق عادلا مع نفسه ومع الناس .

وتؤكد الدراسات النفسية على أن الزكاة تحدد الانسان من سيطرة حب

المال على نفسه . تلك السيطرة التي تؤدي بالانسان دائما الى المرض بل الى الانتحار احيانا .. اذ ان جمع المال والحرص عليه والبخل به هو السبيل الى سيطـرة حب المال على الانسان وما من طريـق ايجابـي لمحاربة هذه السيطرة الا البذل والجود والعطاء .. وتأتي الزكاة .. وفرض إيتائها .. في قمة وسائـل وقايـة الانسان وعلاجه من اخطر أمراض النفس المدمرة .. مرض سيطرة حب المال على الانسان .

والمتدبر لآية مصارف الزكاة وهي : **(إنمـا الصدقـات للفقــراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من اللــه واللــه عليـــم حكيـــم)** التوبة/ ٦٠ .

نجد أن **أول سهم** من الزكاة قد خصص للفقراء وهم من لا يملكون كفايتهـم .. **والسهـــم الثانـــي** للمساكين وهم الذين لا يستطيعون السعي والتكسب أو انهم فقراء أهل الكتاب **والسهم الثالث** للعاملين على الـزكاة .. يجمعونهـا ويوحدونهـا ويتابعون توزيعها وبذلك يقوم العامل على الزكاة بعمله نظير أجر حتـى يجتهد في عمله ويخلص له .. **والسهم الرابع** للمؤلفة قلوبهم وهم زعماء غير فقراء بتأليف قلوبهم .. أو قلـوب تابعيهم ونويهم مصلحة للاسلام .. ويتدرج تحت هذا البند ما يطبع من وسائل وما ينشر به من دعوة للاسلام ومحاربـــة للالحـــاد .. **والمصرف الخامس** للزكاة هو تحرير الرقيق .. اي فك الرقاب .. ليصبح المجتمع الاسلامـــي اينمـــا كان حرا .. متحررا .. وبانتهاء الـرق فيمـكن توجيه هذا السهم للتعليم فهو كفك رقبة الانسان من الجهل .. **والسهم السادس** للزكاة يوجه الى الغارمين وهم الذين عليهم ديون اثقلت كاهلهم ولا وفاء عندهم يستطيعون به سداد الديون .. بشرط أن تكون هذه الديون بسبب العمل ولم يكن بسبب سوء أو شر أو حرام .. **والمصرف السابع هو** في سبيل اللــه ويختص بالناحيـة العسكرية والدفاعية للدولة الاسلامية فيصرف منه على المحاربين والمرابطين وكافة شئون الحـرب والدفـــاع .. **والمصرف الثامن** هو ابن السبيل وهو من انقطع عن بلاده بالسفر بحيث لا يستطيع الوصول الى ماله ومهما كان غنيا فهو في غربته في حاجة الى مال .. ينفق منه على غذائه وكسائه ومبيته وسفره ..

وهذه كلها ما نسميه في عصرنا الحديث بالشئـون الاجتماعيـة .. واعمال البر .. والدفـــاع والدعـوة الاسلاميـة وكل مختلـف نواحـي المجتمـع والدولـة .. واحســـاس الانسان بمساهمته في كل ذلك انما هو سبيل الاطمئنان النفسي والصحة العقلية فيقول علم النفس أن اساس الصحة العقلية في اشتراك الانسان في النشاط الاجتماعي وشعـوره بأنـه يؤدي للمجتمع نفعا وانه عضو عامل فيه .. ان افضـال الزكـاة .. للفرد والجماعة حقا . لا نهاية لها ..

صفحة من التاريخ الاسلامي



للاستاذ سيد ناجي

الحديث عن أحد وأهل أحد حديث عن العظمة والبطولة ، عن الشهامة والرجولة ، عن الشباب وقد شمروا عن ساعد الجد ونحن نتحدث عن معركة من معارك الاسلام التي كان للشباب فيها دور بارز لا نتحدث بالتفصيل ولكنا نلم الماما سريعة مع بعض ابطال الاسلام وشباب الاسلام الذين احدثوا بعد ذلك في تاريخ الاسلام اثرا بعيدا ، لذلك فنحن نستعين الله ، نطلب منه العون ونستلهم منه الرشد والتوفيق .

المسلمون : انتصر المسلون في بدر وكانوا فرحين بهذا النصر العظيم وذلك الفوز الباهر كانت غزوة بدر معركة كبرى حولت تاريخ البشرية خرج المسلمون وهم قلة في العدد والسلاح فلقوا هذا الحشد الهائل والجحفل الضخم من قريش في عدتهم وعتادهم وكتب الله لهم النصر على أعدائهم .

أيقن المسلمون انهم اصحاب دعوة تؤيدها السماء فالنصر حليفهم بل زاد ايمانهم ما تم لهم من نصر على بني

قينقاع بعد بدر بقليل .
قريش : فقدت رشدها بعد الهزيمة النكراء التي لحقتها في بدر فرصدت أرباح القافلة لمحاربة المسلمين .
بدأت قريش في الاعـــداد المادي والعسكري .
عام كامل وقريش في حالة اعـداد واستعداد تحشد الرجـال وتجمـع السلاح وتدرب الشباب وتوقـد نار الحقد في صدور ابنائها .
عام كامل وقريش لا يهدأ لها بال ولا يطمئن لها ضمير الا ان تثأر لقتلاها فتحرز نصرا ينسيها مرارة الهزيمة التي لحقتها في بدر .
ان معركة بدر طأطأت رأس المشركين وعفرت جباههم فارادوا ان يقوموا بمعركة ترد اليهم كرامتهم وتعيد لهم بين الناس هيبتهم .
لقد فقدت قريش كل شيء سياسيا ، واقتصاديا واجتماعيا .
اخذ ابو سفيان بن حرب يؤلب الناس ويحضهم على الأخذ بثأرهم وبذلك استطاع ان يجهز جيشا قوامه ثلاثة الاف مقاتـل بعـد ان ضم اليـه الاحابيش والاحلاف ولما تم ما اراد قاد هذا الجيش ومعه النساء لئلا يفر الرجال من المعركة وتوجه بهم نحو المدينة مدينة الرسول وقلعة الاسلام .
اليهـود : غص اليهـود وشرقـوا بانتصار المسلمين في بدر وارتفـع غليـان حقدهـم واخـذوا ينفثـون سمومهم وافرغوا كل ما يقدرون عليه من دس وكيد وتآمر .
رفضوا ان يشتـركوا في غزوة بدر معللين ذلك بان المعركة تدور خارج المدينة ولم يعاهدوا على ذلك بل صاروا يهونون من شأن نصر المسلمين في بدر واجههم الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ولئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس .
لم يسكت المسلمون على هذا التحدي السافر ووصفهم بالغرور وهو داء وبيل استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم .
لقد تنبه المسلمون على صيحات العدو الغادرة وهم يعلنـون الحـرب فلن يستسلمـوا ويشتـد عواء الذئـاب الغادرة وتنطلق الحناجر الكاذبة لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس ، لم يسكت المسلمون على هذا التحـدي والتهديد بالحرب واظهار المسلمـين بالغرور بالنصر وانهم ـ اليهود ـ هم اهل الحرب والقتال كان لابد ان يقطع هذا اللسان الكاذب وان يخمد هذا الصوت الاثيم فكانـت غزوة بنـي قينقاع وتم اخراجهم من المدينة .

« الخروج للمعركة »

اقبلت قريش يقودها ابو سفيان بن حرب وعلم المسلمون بذلك وهنا تطلع علينا وعلى البشرية كلها صورة رائعة من صور رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفحة مشرقة من صفحاته الكريمة .
ترى كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف اذا هم بأمر له شأنه وخطره هل كان يعمل برأيه وهو

المبصر من الله بالصواب ؟؟
ان الرسول صلى الله عليه وسلم مع انه لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف الا بما فيه مصلحة الاسلام والمسلمين ومع ذلك كان يستشير اصحابه ولا يقطع امرا دونهم وكما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه يوم بدر وعمل برأيهم استشارهم كذلك يوم احد وعمل بمشورتهم ولم تكن مشورته صلى الله عليه وسلم لهم امتصاصا لغضبهم او ارضاء لعواطفهم وانما كانت مشورة صادقة عمل بها الرسول صلى الله عليه وسلم رغم مخالفتها لرأيه .

عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الرأي على أصحابه أيخرج لقتالهم ام يمكث بالمدينة ؟؟

رأى أهل السن واصحاب التجارب ان يمكثوا بالمدينة فان هاجمهم مهاجم أمطروهم بالنبال وقذفتهم النساء من اعلى المنازل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يميل الى هذا الرأي ويرى فيه الحكمة والصواب اما الشباب الذين لم يشتركوا في غزوة بدر وظاهرهم بعض الشيوخ وكانوا يمثلون الاغلبية كان رأيهم ان يخرجوا للعدو معللين ذلك لئلا يظن العدو ان عدم خروجهم جبن عن لقائهم والحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا كنا نتمنى هذا اليوم وندعوا الله فقد ساقه الينا وقرب المسير يا رسول الله اخرج بنا الى اعدائنا لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا . البداية والنهاية لابن كثير جـ٤ ص١٣ .

ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأيهم ودخل داره ولبس لأمة الحرب واستعد لخوض المعركة فقالوا اكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج وقالوا يا رسول الله ان احببت ان تمكث في المدينة فافعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » وكان اصحاب هذا الرأي اغلبهم من الشباب تجري في عروقهم دماء الشباب وتفيض قلوبهم بالشجاعة والايمان .

قال صاحب الظلال : ان الرسول صلى الله عليه وسلم القى عليهم درسا نبويا عاليا فللشورى وقتها حتى اذا انتهت جاء وقت العزم والمضي والتوكل على الله عز وجل ولم يعد هناك مجال للتردد واعادة الشورى والتأرجح بين الاراء انما تمضي الامور لغاياتها ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء . تفسير الظلال جـ٤ ص٥١ .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض ان يكون مترددا فلا مفر من المعركة حشدت الجياد وعلى ظهورها رهبان الليل وفرسان النهار ودقت الطبول طبول المعركة ونشرت الالوية والشباب في فرح وسرور وشوق الى خوض المعركة فاما نصر يعتز به الاسلام واما شهادة ينالون بها خير الدنيا والاخرة .

ان الشباب الذين تربوا في مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا اكرم شباب الدنيا كانوا اعظم الناس قدرا وارفعهم شأنا نبالة خلق وصفاء

عقيدة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتابعهم بارشـاده ويوجههم دائما الى الخير ، شباب هانت في عينه الحياة فأتوا من ألوان البطولة والفداء ما ادهش العالم وحير الالباب وملأ النفوس اجلالا واعظاما لهذا الشباب المؤمن القوي كان للشباب رغبة ملحة في حضور المعركة بادروا بالخروج فرد الرسول صلى الله عليه وسلم منهم من استصغره رد عبد الله بن عمرو واسامة بن زيد واسيد بن ظهير والبراء ابن عازب وزيد بن ارقم وزيد بن ثابت وعرابة بن اوس وعمرو بن حزام ثم اجاز الرسول صلى الله عليه وسلم من لهم قدرة على حمل السلاح وخوض المعركة فشهود المعارك وصك السيوف وتطاير الرءوس ليس هذا بالامر السهل ورغم هذا فقد اجازالرسول صلى الله عليه وسلم من رآه مطيقا للمعركة سمرة بن جندب ورافع بن خديج وكان سنهما يومئذ خمس عشرة سنة .

حملة اللواء

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف للشباب قدره وينزله المنزلة اللائقة به ويوليه اعظم الاعمال وهو بعد لم يزل في دور الشباب وميعة الصبا فحملة اللواء في احد كانوا شبابا كان يحمل لواء المهاجرين مصعب بن عمير فلما استشهد حمله علي بن ابي طالب وكان يحمل لواء الاوس اسيد بن حضير وكان يحمل لواء الخزرج الحباب بن المنذر . امتاع الاسماع للمقريزي ج١ ص١١٨ .

وحمل اللواء كما يقول الشيخ عبد الحميد الكتاني يفيد انه اذا اجتمع قوم تحت لواء واحد جعل بينهم الاتحاد بمعنى ان هذا اللواء يكون علامة على اجتماع كلمتهم ودلالة على اتحاد قلوبهم فيكونون كالجسد الواحد يألف بعضهم بعضا اشد من ائتلاف ذوي الارحام واذا كانوا في معركة القتال لا ييأسون من الظفر مادام لواؤهم منشورا بل تقوى همتهم ويشتد عزمهم لذلك كان حملة اللواء في أحد من الشباب وبايجاز شديد نتحدث عن حملة اللواء .

١ ـ مصعب بن عمير

شاب من شباب الاسلام مرت به في اسلامه محن قاسية وايام عصيبة تجرع غصص الحياة واصابه شظف العيش فتحمل ذلك بنفس راضية وصدر رحب .

كان مصعب بن عمير رضي الله عنه قبل اسلامه تبدو عليه اثار النعمة وتشيع في جنباته المباهج ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة داعيا الى الاسلام فكان له في نشر الدعوة الاثر الطيب وكان له في احد البلاء الحسن ضرب للشباب اروع الامثال في التضحية والبطولة والفداء حتى شاء الله ان تنطوي هذه الحياة فكانت غزوة احد هي الميعاد الموقوت في صحائف الغيب ليكتب مصعب بن عمير مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وفتحت أبواب السماء لتستقبل افواج

الشهداء .

٢ ـ علي بن ابي طالب

بطل من أبطال الاسلام وشاب من خيرة الشباب كان رضي الله عنه مميزا بين الناس قوة في الخلق وطهارة في النفس وشجاعة في الحرب قلب ثابت لا تستطيره النوائب يرى الموت في المعارك فلا يزعجه ويرى الاسنة فلا تروعه فلا للموت في المعارك سلطان عليه ولا للفزع سبيل اليه ولا عجب فهو ربيب بيت النبوة وغرس الدين الحنيف لما سقط الشاب المسلم المترف الشجاع الابي مصعب شهيدا كان من يحمل اللواء خلفا له من يماثله في شبابه وقوته في إقدامه وجرأته فكان فارس الاسلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب .

٣ ـ اسيد بن حضير

شاب من الانصار اسلم على يدي مصعب بن عمير بالمدينة شهد بدرا وقيل لم يشهدها كان رضي الله عنه احد العقلاء الكملة اهل الرأي وكان ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه واحدا ويقول انه لا خلاف عنده .
كان احد النقباء ليلة العقبة وفي غزوة احد جرح سبع جراحات وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انكشف الناس عنه كان رضي الله عنه من احسن الناس صوتا بقراءة القرآن وقصته في قراءة القرآن ونزول الملائكة لاستماع القرآن وهو يتلوه معروفة .
قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل اسيد بن حضير نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح) وعن عائشة رضي الله عنها قالت ثلاثة من الانصار لم يكن احد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الاشهل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر . اسد الغابة لابن الاثير جـ ١ ص٤٣٦ شعب .

٤ ـ الحباب بن المنذر

شاب من شباب الانصار من اهل بدر قاتل في احد وكان يحمل اللواء ولم يزل شابا حضر بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فيكون سنه في غزوة احد أربعا وثلاثين سنة وكان رضي الله عنه صاحب الرأي يوم بدر الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان قائلا أهذا المنزل منزل انزلكه الله فليس لنا ان نتعداه ام هو الرأي والحرب والمكيدة ومن يومها كان يعرف بين الصحابة بالرجل ذي الرأي .
وحمله اللواء في احد يعني انه قائد قومه والمقدم عليهم اليس في هذا تكريم للشباب واعتماد عليه وتوليته المناصب الكبرى ، ان جميع الذين اشتركوا في احد شيوخها وشبابها ، نساءها . كلهم وهبوا حياتهم لله . لو تتبعنا تاريخهم لضاقت الصفحات .

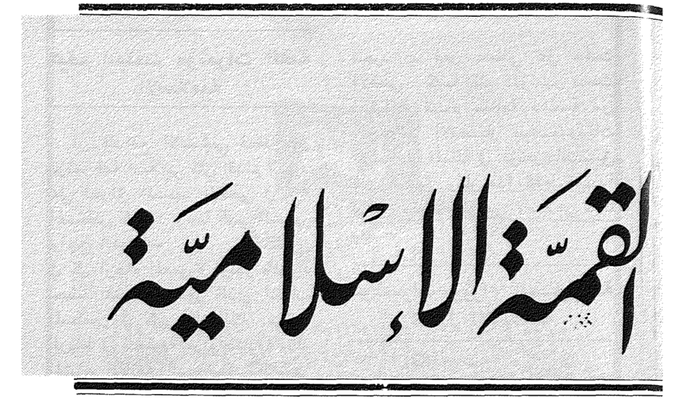


في مهبط الوحي وموطن الرسالة ومنبع النور الالهى و في أقدس بقعة على الأرض حيث نزلت فيها تعاليم السماء فبددت بضيائها دياجير الظلمة والجهالة منذ أربعة عشر قرناً .. انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث في الفترة ما بين ١٩ ـ ٢٢ ربيع الأول ١٤٠١ هـ الموافق ٢٥ ـ ٢٨ يناير ١٩٨١ م .

وقبل ان نستعرض أهم المقررات التى تمخضت عن هذا المؤتمر لابد من العودة قليلا للوراء لنضع بين أيدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها القرارات التى انبثقت عن مؤتمري القمة الأول والثاني اللذين انعقدا خلال السنوات العشر الماضية .

ماذا بعد صدور قرارات القمة الاسلامية الثالثة

لقد انتهت اعمال هذا المؤتمر وصدرت عنه هذه القرارات التى تجسد بعض آمال المسلمين وتضع الحلول لبعض قضاياهم الاساسية ، لقد انتهى هذا المؤتمر والف مليون مسلم كان يملؤهم الرجاء والأمل بأن تكون قرارات المؤتمر فيها عودة الروح للجسد الاسلامي الواهن ليجري الاسلام في عروقه من جديد ، كان



المسلمون يأملون أن يذهب قادتهم واولو الامر منهم الى ابعد مما ذهبوا وتوصلوا اليه ، ومع ذلك فالقرارات قد صدرت وتبنت ما تبنت من امور عديدة والشعوب المسلمة الآن تنتظر الالتزام بهذه القرارات قولا وعملا .

ان الالتزام بهذه القرارات يعني عودة روح الجهاد وبها نحرر الأرض والأوطان والمقدسات ونستجيب لصرخات اليتامى والثكالى والمشردين .

ان الالتزام بهذه القرارات يعني عودة التعاون والتعاضد بين المسلمين والاستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني نبذ الخلافات وتصفيتها بروح الاخوة الاسلامية والمحبة لا بقعقعة السلاح .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني الانتماء الى العقيدة الاسلامية ونبذ ما سواها من عقائد شرقية أو غربية .

ان الالتزام بهذه المقررات يعني حمل الأمانة والمسؤولية بكل اخلاص وثقة بعون الله ، ولا شك ان الشعوب المسلمة لم تجن من المؤتمرات السابقة الا القليل ويحدوها امل كبير بأن توضع هذه القرارات موضع التنفيذ العملي لتتمكن من قطف ثمارها في المستقبل القريب لا ان تكون مجرد قرارات دون تطبيق .

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

كيف انبثقت مؤتمرات القمة الاسلامية

ان الدافع الاساسي لعقد أول مؤتمر قمة اسلامي كان اقدام اليهود على احراق المسجد الاقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩ م مما ألهب الشعور واجج العواطف المسلمون في كل ارجاء المعمورة لمؤتمر طارىء يجسد هذا الشعور الذي انتاب المسلمين في كل مكان فكان مؤتمر الرباط في الحقيقة مرآة صادقة لتلك المشاعر القاتمة والذي انعقد بعد شهر واحد فقط من اقدام اليهود على جريمتهم النكراء .

مؤتمر القمة الاسلامي الأول

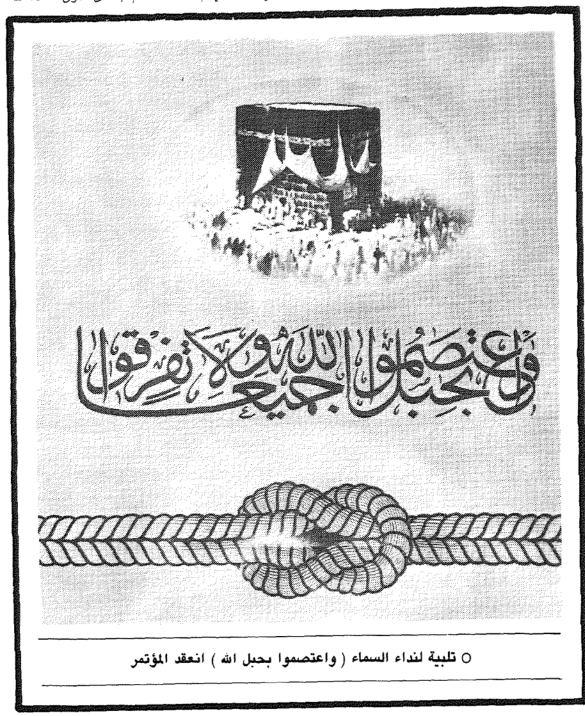
انعقد هذا المؤتمر في عاصمة المملكة المغربية (الرباط) في شهر رجب ١٣٨٩ هـ الموافق سبتمبر ١٩٦٩ م في جو مشحون بالغضب والكراهية لجريمة الصهاينة وصيحات مخلصة تدعو للانتقام وتخليص بيت المقدس من ادران الاحتلال . وحضرت المؤتمر وفود تمثل « ٢٢ » دولة اسلامية . ونظراً لأن الدعوة للمؤتمر كانت مفاجئة دون ان يسبق ذلك تخطيط لجدول الأعمال . لذلك انعقد المؤتمر دون ان يسبقه مؤتمر تمهيدي لوزراء الخارجية (بعكس المؤتمرات التالية) . فجاءت مقررات هذا المؤتمر مجرد رد فعل عاطفي على حادث الاقصى . كما قام المؤتمر ببحث امكانية قيام منظمة دائمة من واجباتها الاتصال بالحكومات الاسلامية الممثلة في المؤتمر والتنسيق بين اعمالها . وكان هذا بالفعل تمهيداً لنشوء منظمة المؤتمر الاسلامي فيما بعد .

مؤتمرات وزراء الخارجية للدول الاسلامية

في السنوات الاربع التالية التى اعقبت مؤتمر الرباط انعقدت اربع مؤتمرات لوزراء خارجية الدول الاسلامية وكانت مقرراتها بصورة عامة اكثر فاعلية ونضجاً وجدية من مقررات مؤتمر القمة الاسلامي الأول وتعد اللبنة الاولى في بناء صرح التعاون الاسلامي ولابد من القاء الضوء قليلا على هذه المؤتمرات وما صدر عنها من مقررات .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الأول

انعقد هذا المؤتمر في جدة (السعودية) في شهر محرم ١٣٩٠ هـ مارس ١٩٧٠ م وكانت قراراته ايضا انفعالية تتماشى مع الحدث المفجع وهو احراق الاقصى والذي كانت آثاره لا تزال باقية في النفوس وكانت اهم قرارات المؤتمر المطالبة



○ تلبية لنداء السماء (واعتصموا بحبل الله) انعقد المؤتمر

بعودة القدس للسيادة العربية وذلك كما كان وضعها قبل حرب يونيو بين العرب واليهود سنة ١٩٦٧ م وقرر المؤتمر اعتبار يوم ٢١ اغسطس من كل عام « يوم التضامن مع الشعب العربي الفلسطيني » .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثاني

انعقد في كراتشي (باكستان) في شهر شوال ١٣٩١ هـ / ديسمبر

١٩٧١ م وكانت قراراته تأكيداً لما سبق ان صدر في المؤتمرات السابقة بشأن فلسطين والقدس والأراضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧ م . وخطا المؤتمرون في هذا المؤتمر خطوة نحو الامام عندما طرحوا فكرة انشاء وكالة للانباء الدولية الاسلامية .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الثالث

انعقد ايضاً في جدة في شهر محرم ١٣٩٢ هـ / مارس ١٩٧٢ م وقد بحثت فيه القضية الفلسطينية عامة والقدس خاصة كما بحثت فيه قضايا الأقلية المسلمة في جنوب الفيلبين وطالب المؤتمر بايجاد حل عادل لهذه المشكلة بينما اغفلت المؤتمرات الاسلامية السابقة مشكلة (ارتيرية) كما وضعت في هذا المؤتمر الاسس الكفيلة بقيام وكالة الانباء الاسلامية عملياً من حيث انشاء الادارات المالية والاقتصادية في اطار المنظمة .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الرابع

انعقد في بنغازي (ليبيا) في شهر صفر ١٣٩٣ هـ / مارس ١٩٧٣ م واصدر المؤتمر عدة قرارات تضمنت نصرة القضية الفلسطينية وتابع الخطوات الجدية في انشاء وكالة الانباء الاسلامية بحث الدول الاعضاء على تسديد اشتراكاتهم في الوكالة بصفة عاجلة وقرر المؤتمر انشاء صندوق مالي تابع للأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي يسمى « صندوق الجهاد » يرصد لحركات التحرر الاسلامي كما أبدى المؤتمر تعاطفه الكامل مع مسلمي الفيلبين وأبدى التعاطف ولأول مرة مع نضال شعب ارتيرية الذي يخوض حرباً تحريرية ضد اثيوبيا من اجل نيل الحرية والاستقلال .

تقييم سريع لما صدر من مقررات

اننا من خلال نظرة سريعة الى ما تم بحثه واصدار قرارات بشأنه في مؤتمر القمة الاسلامي الأول ومؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية الاربع نلمح بأن معظم القرارات ظلت تتعثر في الخروج لحيز التنفيذ الفعلي بسبب الصعوبات التى كان تعترض تنفيذها وعلى سبيل المثال لا الحصر ظلت وكالة الانباء الاسلامية دون المستوى المطلوب كوكالة اسلامية عالمية تساهم في بث الفكر الاسلامي ودعم حركات التحرر الاسلامية وانارة الطريق للشعوب الاسلامية التى تسعى للوصول الى مكانة افضل بين شعوب العالم . ونرى ايضا ان صندوق الجهاد الذي انشيء اصلا لدعم حركات التحرر الاسلامية لم يظهر أثره بشكل ايجابي في الماضي



○ اعلام الدول الاسلامية المشاركة في المؤتمر

والحاضر ولا تزال مشكلات الاقليات المسلمة وخاصة في الفلبين وارتيريه تدور ضمن حلقات مفرغة مكتفية من المؤتمرات الاسلامية بالقرارات فقط .

وما تزال اسرائيل ماضية في مخططاتها الاستعمارية رغم القرارات العديدة التى صدرت عن المؤتمرات السابقة بدعم ونصرة فلسطين مع الاصرار على عروبة القدس .

فمن اجل التخلص من هذه السلبيات ودفع العمل الاسلامي نحو ايجابية أفضل انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثاني .

مؤتمر القمة الاسلامي الثاني

انعقد في مدينة لاهور (باكستان) في شهر محرم ١٣٩٤ هـ / فبراير ١٩٧٤ م وحضرت المؤتمر وفود تمثل « ٣١ » دولة اسلامية . لقد انعقد هذا المؤتمر في جو يختلف تماماً عن جو المؤتمر الأول . كان العرب قبل المؤتمر بشهور قليلة قد حققوا نصراً على اعدائهم الصهاينة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ م / رمضان ١٣٩٣ هـ .

وبرزت من خلال هذه الحرب فائدة التضامن الاسلامي لذلك جاءت الوفود الى مؤتمر لاهور وهي على ادراك تام بأنه لا سبيل لخلاص المسلمين من الواقع السيىء الذين يعيشونه الا بالوحدة الاسلامية . وهذا ما ظهر جلياً واضحاً اثناء المناقشات التى دارت في المؤتمر . وكان مؤتمر لاهور قد سبق بمؤتمر تمهيدي لوزراء خارجية الدول الاسلامية أعد برنامج المؤتمر (بعكس مؤتمر الرباط) .

لقد اصدر المؤتمر في نهاية اجتماعاته العديد من القرارات



○ وزير خارجية المملكة السعودية يفتتح مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي سبق المؤتمر

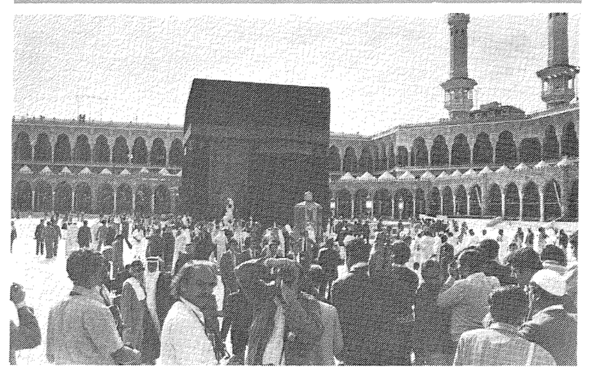
بعضهـا ركز عـلى ضرورة تنميـة العـلاقات الاقتصـادية والثقـافيـة والاجتماعية بين الدول الاسلامية ومن اجـل ذلـك تم انشـاء « صنـدوق التضامن الاسلامي » واكد المؤتمر على عروبة القدس واسلاميتها وحق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه والمطالبة بـانسحـاب اسـرائيل من الاراضي العربية المحتلة ، كما طالب بايجاد حل عادل لقضيـة مسلمي الفلبين .

مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الخامس

عقد في كوالالمبور في يونيو ١٩٧٤ م . بعد فترة قصيرة من مؤتمر لاهور وقد ركز هذا المؤتمر على النواحي الاقتصادية وقرر انشاء « بنك التنمية الاسلامي » كما بحث من جديد قضية مسلمي الفلبين وطالب بايجاد حل منصف لها وانشـأ لمساعـدة مسلمي الفلبين « وكالة غوث وانعاش اسلامي لمسلمي جنوب الفيلبين » ثم تلا مؤتمر كوالالمبور عدة مؤتمرات اسـلامية « دون مستوى القمة » لم تخـرج مقرراتها عن نطاق المقررات التى وردت في المؤتمرات السابقة لذلك كانت الحاجة ماسة لعقد مؤتمر على مستوى القمـة يتخطى السلبيات السـابقة ويحاول بعث الروح والحياة في جسد الأمة الاسلامية ومن هنا كانت القمة الثالثة في مكة المكرمة .

مؤتمر القمة الاسلامي الثالث

هذا المؤتمر يعد من اهم المؤتمرات



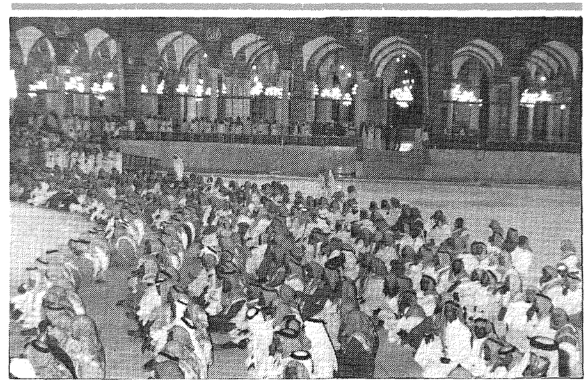
○ حكام المسلمين يطوفون بالبيت العتيق

الاسلامية ، لانه يعقد في ظروف بالغة الاهمية والخطورة تجتاح عالمنا الاسلامي والعربي ففلسطين لا تزال ترزح تحت نير الاحتلال الصهيوني رغم العديد من القرارات المنددة باسرائيل بل توغلت اسرائيل اكثر في مخططها واعلنت مؤخرا بأن القدس هي العاصمة الابدية للشعب الاسرائيلي ، وافغانستان المسلمة تواجه غزواً شيوعياً ملحداً وشعبا الفيلبين وارتيرية لا يزالان يكافحان من اجل نيل الحرية ، والنزيف الدامي من جراء الحرب العراقية - الايرانية لا يزال مستمراً ينشر الخراب والدمار في كلا الدولتين المسلمتين الجارتين والنزاعات الجانبية المتجددة باستمرار بين الدول الاسلامية الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي تحدث شروخا عميقة في كيان المنظمة .

في ظل هذه الاجواء القاتمة يظهر بصيص الأمل ويرنو المسلمون جميعاً بأبصارهم وقلوبهم الى مكة المكرمة داعين ربهم أن يلهم حكامهم لما فيه خير المسلمين .

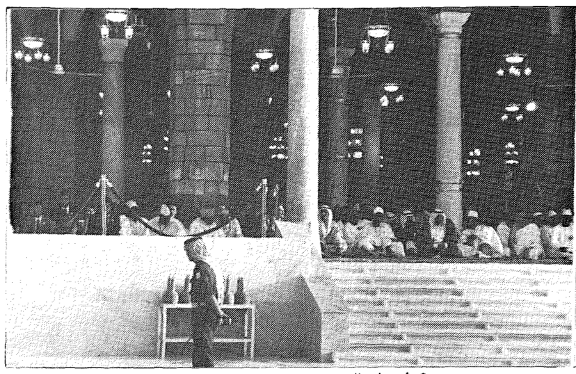
لقد تم انعقاد المؤتمر في الفترة ما بين ١٩ - ٢٢ ربيع الأول / الموافق ٢٥ - ٢٨ يناير ١٩٨١ م بحضور ٣٨ دولة اسلامية وتغيب دولتين هما (ليبيا ، ايران) ولا تزال ايضا عضوية كل من مصر وافغانستان معلقة . كما حضرت المؤتمر وفود عديدة تمثل كثيراً من المنظمات والمجالس والاتحادات الاسلامية والعالمية وكان شعار دورة المؤتمر (دورة فلسطين والقدس الشريف) .

انعقدت الجلسة الافتتاحية



○ قبل تأدية صلاة المغرب

للمؤتمر في رحاب الكعبة المشرفة وفي الشهر الذي ولد فيه منقذ البشرية وهاديها لطريق الخير محمد صلى الله عليه وسلم مما اعطى لهذه الجلسة طابعاً خاصاً تميز بالخشوع والمهابة وجعل قادة المسلمين يحسون بأهمية الموقف الذي وضعوا فيه وثقل الأمانة الملقاة على عاتقهم . وقد ظهر هذا من خلال كلمة الافتتاح الموجزة التى القاها الملك خالد بن عبد العزيز داعياً فيها الله ان يجمع على الحق كلمة المسلمين وان ينصرهم ، ثم القى الامير فهد بن عبد العزيز ولي العهد السعودي خطاب صاحب الجلالة الملك خالد ووضع فيه حكام المسلمين امام مسؤولياتهم واشار للصحوة الاسلامية المباركة المبشرة بالخير ودعا لنبذ الخلافات بروح الاخوة الاسلامية .. ثم انتقل المؤتمر ليعقد جلساته في الطائف وتتابع رؤساء المسلمين في القاء كلماتهم التى تضمنت كافة المسائل الاسلامية كما القى ممثل المجاهدين الافغان كلمة مؤثرة أمام الوفود اشار فيها للغزو الشيوعي لبلاده وما اصاب مسلمي أفغانستان من ذل وتشريد من جراء هذا الغزو الذي يشكل خطراً على العالم الاسلامي كله .. وان المعركة على ارض افغانستان ستكون حاسمة بين الاسلام والشيوعية وطالب بقطع العلاقات بين الدول الاسلامية والاتحاد السوفيتي كما القى الدكتور (فالدهايم) الامين العام لمنظمة الامم المتحدة كلمة في المؤتمر تعرض فيها لمشاكل البشرية ودور الكتلة الاسلامية في المساهمة في حلها .. وقبل ختام المؤتمر بيوم واحد وافق المؤتمر بالاجماع على (بلاغ مكة) .



○ في رحاب البيت الحرام كانت جلسة الافتتاح

لقد تضمن هذا البلاغ عزم وتصميم قادة المسلمين على الجهاد للذود عن حقوقهم واراضيهم المغتصبة وبذل كل الجهود لتحرير فلسطين واستعادة الحقوق الثابتة لشعبها واعربوا عن قلقهم للغزو السوفيتي لأفغانستان وطالبوا بايجاد حل عادل لهذه المشكلة على اساس الانسحاب الفوري لقوى الغزو ..

وفي الجلسة الختامية وافقت الوفود على البيان الختامي لمؤتمر القمة الاسلامي الثالث وقد تضمن هذا البيان الامور الآتية :

في المجال السياسي

● اكد المؤتمر من جديد على عروبة القدس واسلاميتها مع رفض قرار الصهاينة بجعل القدس عاصمة لاسرائيل .

● اكد المؤتمر على الترابط التام بين قضية القدس وقضية الشرق الاوسط ، مع رفض اتفاقية (كامب ديفيد) والمطالبة بتعديل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بشأن الشرق الاوسط .

● المطالبة بانسحاب قوات الغزو السوفيتي من افغانستان .

● تدعيم التضامن بين الدول الاسلامية وفق قواعد الاسلام .

● اعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس والاراضي العربية المحتلة .

● مناشدة كل من ايران والعراق وقف اطلاق النار فوراً وقبول مبدأ الوساطة الاسلامية .

● تقديم المساعدات للسواحل الاسلامية المتضررة بالجفاف .



○ وفد الكويت في المؤتمر برئاسة سمو امير الكويت

● مساندة دولة جزر القمر في استعادة جزيرة مايوت .

● المطالبة بايجاد حل عادل وسلمي لقضية شعب ارتيريا .

● الموافقة على انشاء محكمة عدل اسلامية وتشكيل لجنة لتضع النظام الاساسي لها .

● دعم الشعب الافريقي المسلم في القرن الافريقي وتقديم المساعدات له .

في المجال الاقتصادي

● انشاء « المركز الاسلامي لتنمية التبادل التجاري » على ان يكون مقره (طنجة) من اجل تعزيز التعاون الاقتصادي بين الدول الاعضاء .

● بحث مشروع اتفاقية تشجيع وحماية وضمان الاستثمارات في الدول الاعضاء الاسلامية من اجل بلوغ التقدم الاقتصادي للشعوب الاسلامية .

● بحث مشروع انشاء اتحاد اسلامي للنقل البحري في جدة .

● تقديم مساعدات خاصة للبلدان الاسلامية الاقل نمواً .



○ احدى جلسات المؤتمر في الطائف حيث انتقل المؤتمر الى هناك .

في المجال الثقافي والاجتماعي

- دعم ميزانية صندوق التضامن الاسلامي .
- انشاء وكالة اسلامية للغوث .
- مساهمة الدول الاعضاء في اعادة بناء مدينة الاصنام الجزائرية .
- الالتزام بانجاز مشروع (مركز غينيا بيساو الاسلامي) ومركز أحمد بابا في تونبكتو والجامعتين الاسلاميتين في النيجر واوغندا .
- دعم المؤسسة الاسلامية للعلوم والتكنولوجيا .
- دعم المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة .
- تنظيم دورة التضامن الاسلامي للألعاب الرياضية .
- كما قرر المؤتمر انشاء مجمع يسمى (مجمع الفقه الاسلامي) من العلماء والفقهاء في العالم الاسلامي لدراسة مشكلات الحياة المعاصرة والاجتهاد فيها اجتهاداً اصيلا فاعلا .

الصور عن وكالة كونا

في العدد القادم

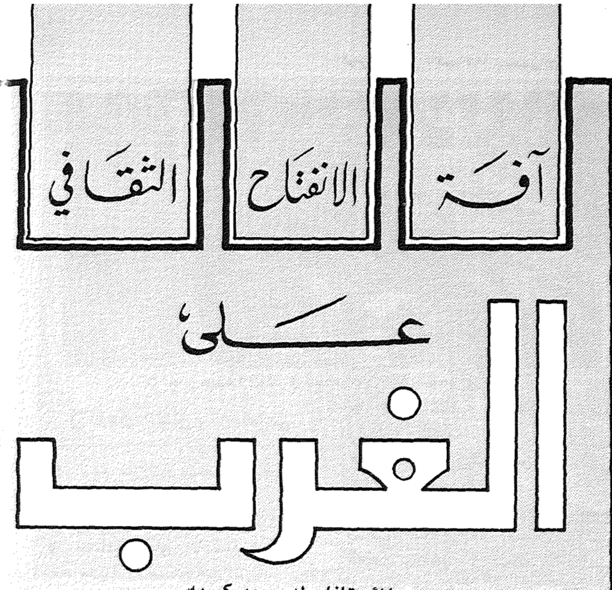
يعيش عالمنا الاسلامي اوضاعا جديدة تتطلب رأيا اسلاميا واضحا .. وحتى نصل الى الحقيقة كان لا بد من عرض الرأي وأدلته .. والرأي الآخر وبراهينه .

ولعلك ـ أخي القارىء ـ تابعت ما نشر حول « الصرف وبيع العملات » وفي عددنا القادم :

○ نواصل الحديث عن « الصرف وبيع العملات » للدكتور علي احمد السالوس .

○ كما ستنشر المجلة دراسة عن عقد التأمين .

○ واستطلاعا عن مؤتمر غرف التجارة الاسلامية .



آفة الانفتاح الثقافي على الغرب

للأستاذ/ طه محمد كسبه

يصاب المتأمل لحياتنا الثقافية والفكرية على امتداد ساحتنا العربية والاسلامية بالدهشة والعجب ، ومبعث هذا كله ذلك التناقض الذي يحدث الآن في فكرنا وسلوكنا ، في قولنا وعملنا ، ذلك التناقض الذي أصبح يمثل ظاهرة تحتل جزءا كبيراً في حياتنا ، وتمثل بعدا من أبعاد شخصيتنا ، في مجتمعنا العربي المسلم .

ذلك أننا فيما بيننا ، لا بين قطر وقطر من اقطار الوطن العربي والامة الاسلامية على نطاق واسع ، ولا بين البلد والبلد او القرية والمدينة ، او الحضر والريف ، ولكن بين ابناء الجيل الواحد ، في البيت الواحد ، نجد ظاهرة الغربة الفكرية والثقافية سائدة وتترسخ الآن ، وهذا في حد ذاته يمثل مسألة من أهم المسائل ، وقضية من اخطر القضايا التي تواجه المجتمع الاسلامي اليوم .

ذلك ان قضية التعليم الذي كان وسيلة التدمير التي اتخذها الاستعمار نحو غزو الشخصية الاسلامية والعربية ليست في وجود التعليم الديني من عدمه ، ولكن الاخطر من ذلك كله وقوع ذلك

التناقض الغريب والمريب في مدارسنا ومعاهدنا ذلك الذي يوجه ضد اجيالنا الشابة والفتية .

وتعلق د . بنت الشاطئ على هذه الحالة الغريبة التي نحياها وتحياها حياتنا الثقافية في مجتمعاتنا الاسلامية حين قالت : واحد تربى في مدرسة فرنسية لا يعرف عن العربية والاسلامية شيئا واخوه الشقيق في مدرسة انجليزية وثقافته انجليزية واخته في مدرسة الراهبات لا تدري شيئا عن الانجليزية او الفرنسية ولا الالمانية ولا العربية ولا الاسلامية ..

والمناهج الدراسية قاصرة لا تكفي ولا تجيب على تساؤلات شبابنا المسلم ولا تسد حاجة هذا الشباب الملحة الى المعرفة ، فأعداء الاسلام اعتمدوا أسلوب « فك العقل الاسلامي واعادة تركيبه وصياغته من جديد لصالحهم وعلى هواهم بعد ان فشلت الحروب الصليبية في تحقيق اهدافها في القرون الوسطى ، وكانت المدارس الاجنبية والتبشيرية هي الساحة الحقيقية التي خاضت منها قوى الاستعمار وارساليات التبشير هذه المعركة ضد أوطاننا وديننا .

إن قضية التعليم قضية من اخطر القضايا التي يمكن ان تعترض مسيرة اي مجتمع مسلم واخطر منها قضية على جانب كبير من الاهمية ــ والتي من الممكن ان تجعل قضية التعليم اكثر ايجابية في الحل او اكثر سلبية ــ الا وهي قضية التربية الاسلامية والمناهج الدراسية ، ذلك ان الاسرة المسلمة والمجتمع المسلم قد وقع في اطار من غيبة الوعي الديني بسبب ذلك الغزو الفكري والثقافي الذي اصبح فريسته وضحيته ، وبالتالي اصبح الشباب المسلم كما مهملا ومتروكا نهبا لكل حملات الاستشراق واعمال التبشير التي تتم يوميا عبر وسائل الاعلام والصحافة في أرجاء وطننا العربي والاسلامي .

ولعل من الاشياء التي يؤسف لها ان التعليم الديني في اوطاننا الاسلامية قد اصيب بالسكتة القلبية وحلت محله مناهج التعليم اللاديني سعيا الى الوصول الى علمنة المناهج الدراسية ولا دينية التعليم وصولا الى علمنة المجتمع الاسلامي ، وهذا بالضبط بعض ما يحدث في اجزاء عزيزة من ارضنا العربية والاسلامية .

واذا جاز لي القول فان حل مشكلة التربية والتعليم الديني ، وحل مشكلة الغربة الفكرية والثقافية التي أصابت شباب جيلنا وأبناءه ، مرجع ذلك كله الى المناهج والى المدرسة والمعلم ، والى المجتمع الاسلامي ذاته ، بكل فئاته وهيئاته وأشكاله وهياكله وعلينا بالاتجاه الى كل هؤلاء بالدراسة والبحث والتحليل حتى نتبين اوجه القصور والخطأ ومن ثم يمكن العلاج والتصحيح .

كما انه لا ينبغي ان يغيب عن فكرنا انه من الضرورة بمكان ان نعيد النظر في حياتنا كلها ، ونستخرج أوجه القصور فيها ونتدارسها ونبحث عن علاج لها جميعا ، فالتربية الدينية مثلا في مدارسنا ومعاهدنا العلمية

بوضعها الحالي مازالت تعاني من الاهمال المخيف والمؤلم ، ومازال بعض الارتجال والعشوائية يسيطران على تدريس هذه المادة في دور العلم عندنا ، ولا تخلو صحفنا ووسائل اعلامنا من الاشارة الى هذه المأساة التي يعيشها أبناؤنا ، هذا الاهمال الذي يتجسد في اشكال الانحراف المختلفة التي تطفو على سطح المجتمع المسلم في اشكال مختلفة ومتعددة الوجوه ، متباينة الملامح .

ومن نافلة القول ان الثقافة التي يتلقاها المرء تطبعه بطابعها ، وتترك فيه بصماتها وآثارها التي تؤثر بالتالي على عقيدته ومعتقداته ، ومن هنا تاتي الدعوة الماسة الان الى بعث ثقافة عربية اسلامية موحدة في ربوع الوطن ، تجعل الاساس المادي للثقافة مرتكزا على اسس وقواعد ثابتة مستمدة من تعاليم الاسلام ، ولا تترك الباب مغلقا امام انواع الثقافات الاخرى التي تأتي بعد ترسيخ الثقافة الاسلامية العربية اولا .

كما أن الحاجة ماسة اليوم الى اعادة النظر في مناهج التربية الدينية واعدادها بحيث تلبي احتياجات الشباب كل في سنه ، وقادرة على ان تعطيه الاجابات المقنعة لما يعن له من تساؤلات ومشاكل يجد نفسه في مواجهتها وحتى لايجد هذا الشاب نفسه مدفوعا الى البحث عن اجابات لما يواجهه في المذاهب والنظريات والفلسفات المعقدة والملحدة التي تسوقه الى اعتناق هذه المذاهب وهذه الفلسفات على اساس انها البديل الطبيعي للدين ومبادئه وقيمه التي يغرسها في نفوس المؤمنين .

وعليه فانه من الضروري ان نوحد المناهج الدراسية لمادة التربية الدينية في كل مدارسنا ومعاهدنا العلمية وحتى يكون المنبع والمصدر الاول للمعرفة الدينية واحدا وثابتا وقويا لا فرق بين مدارس خاصة ومدارس الوزارة ، او مدارس فرنسية او انجليزية وراهبات ومن الضروري ان تتدخل وزارات التربية والتعليم العالي في تحديد مسار ومناهج هذه المادة دائما وباستمرار ومتابعة ذلك كله اولا باول وبالتنسيق مع الهيئات الدينية المعنية .

وخلاصة ذلك انه يجب علينا ان نفهم الاسلام بعقلية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا ان نفهمه بعقلية المستغربين العرب ، ولا بعقلية المستشرقين من ابناء الغرب ، ولا بعقلية ذوي الثقافة العربية المستوردة ، كما ان علينا ان نفهم العلم بعقلية الغد المتفتحة على كل جديد ومستحدث .

ولعلي أتساءل لم لا يكون هدفنا وشعارنا ، إنشاء جيل مسلم لا يعرف الا العربية لغة ، والاسلام دينا ، ثم ينفتح على كل العالم بعد ذلك ، لغة وثقافة وفلسفة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يروج الكثير منا اليوم لدعوى الانفتاح على الغرب وعلى العالم كله سواء اكان شرقا أم غربا ، ونسمع كل يوم صباح مساء عن هذه الدعوات التي اصبحت

تسمم حياتنا ، وكأن كل ما اصابنا لم يكن الا نتيجة لعدم الانفتاح الذي يزعمون لكن هناك كلمة حق يجب ان تقال ، وهي ان مسألة الانفتاح على الثقافة العالمية ـ غربية كانت أم شرقية ـ مسألة واردة في حسابنا لكنا نرى ان ننفتح بعدما تتم عملية الانفتاح على ثقافتنا الاسلامية والعربية اولا ، علينا ان نتسلح بمعطيات ثقافتنا التي هي نحن ، ثم نتجه الى الثقافات العالمية بعد ذلك حتى تتم لنا شمولية النظرة ، وكلية الثقافة والفكر .

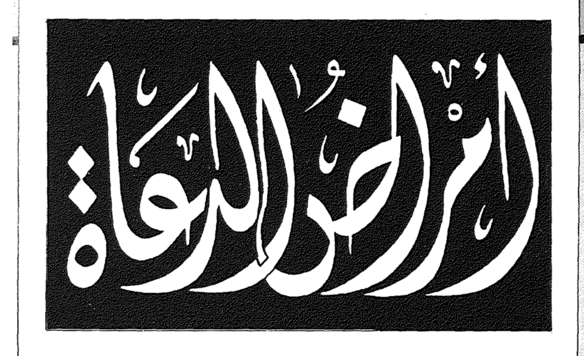
ان من المحزن حقا ان تجلس لتناقش مجموعة من الشباب فتجد انه من العسير جدا ان تخرج براي يتفق عليه او فكرة واحدة ، حيث لكل رايه الذي يتمسك به وثقافته التي يفخر بها والفيلسوف الذي نقل عنه والذي لو اخذ العالم بكلامه لاصبح عالمنا اليوم غير ذلك ، فليس هذا فقط ، لكن الذي يملك ان يقول ، لا يمكن الذي يريد ان يقول من ذلك ، فهم يحاربون بعضهم البعض ، وكأن ايمانهم بالحرية قاصر على حرية انفسهم في ان يقولوا ما يريدون دون حرية الاخرين .

ولعلي اتساءل ، وتساؤلي موجه الى دعاة الثقافة الاجنبية سواء اكانت غربية أم شرقية والى دعاة الانفتاح الثقافي على العالم لماذا نحن ، ونحن دائما ، مبهورون باشياء الغرب والشرق ، مع انها ليست في صدق أشيائنا ؟ ولماذا لا نرى الغرب أو الشرق منبهرا باشيائنا مع انها الصدق والحق ذاته ؟؟

او بعبارة اكثر دقة ، لماذا لا نرى غربيا او شرقيا ينادي بانفتاح قومه على ثقافتنا الاسلامية والعربية التي عاشوا عليها سنين طويلة واخذوا منها كثيرا ، بينما نحن ـ المستغربين منا ومن على شاكلتهم ـ يتنافسون فيما بينهم على الدعوة الى الانفتاح على العالم والاخذ من ثقافته وفكره الذي لا يصل الى قيمة ما عندنا من ثقافة وفكر وقيم .

ولعلنا جميعا ندرك الآن ، أن الاستعمار لم يعد يأتي بجنوده وعتاده وسلاحه ليحتل أرضنا ، فهذا سلاح أدرك الاستعمار انه لا يجدي معنا ، لكنه استحدث سلاحا آخر أقوى وأمضى ، هو سلاح الفكر والثقافة ، فهل لنا أن نتدارك هذا الغزو الفكري الجديد ، وأن نحذر الفكر والثقافة المستوردة ؟ وأن نحذر آفة الانفتاح على بلاد الغرب والشرق .. كما ينبغي لنا ان نأمن على ديننا وفكرنا وثقافتنا وتراثنا وقيمنا ومبادئنا .. ففي هذا كله نجاتنا ، ونجاة أوطاننا من غزو يهدد حياتنا ويهدد كل تراثنا وتاريخنا على امتداد القرون الأربعة عشر ..

ولعل هذا بعض ارهاصات اشم رائحتها ونحن على اعتاب القرن الخامس عشر لنفكر ونتدبر امرنا بعقلية متفتحة ، وفكر واسع ، حتى نتعامل مع العصر بأسلوبه وفكره وثقافته ، وحتى لا تدهسنا متغيرات هذا العصر الذي نعيشه .. بفلسفاته وأيديولوجياته التي ترتدي أردية التقدمية والعصرية .. وهي من كل هذا براء .



ـ وأمراض الدعاة اكبر عقبة ..
إنها نسف من داخل ، والنسف من داخل يأتي على البناء من قواعده ، غير النسف من خارج ..
أو هو السلاح في يدك ، لا تضرب به عدوك ، بل تضرب به نفسك وهكذا ضرب الله المثل : **(يخربون بيوتهم بأيديهم) الحشر /٢**
ـ وهي أمراض تنتاب :
النفس ، أو القلب ، أو العقل ، ونحاول باذن الله أن نعرض لهذه الأدواء .. علّنا نجد لها باذن الله الدواء .. فان نجاح الاستشفاء وقف على نجاح التشخيص .

أولا : أمراض النفس :

وأمراض النفس : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه .. والثلاثة تعني ابتعادا عن أمر الله .. إلى أمر غير الله : من شح ، أو هوى ، أو عجب وغرور .. والشح مرض يصيب النفس فتضن بالتضحية .. وأول صفات الداعية بعد الاخلاص:تضحية .. تضحية بوقته ، تضحية بجهده ،تضحية بماله تضحية بنفسه ..

للدكتور: علي جريشة

فاذا أصابها الشح صارت بكل ذلك أو بأكثره ضنينة ..!

وقد تمضي في طريق الشح .. إلى نهايته ، فتجري وراء كل ما يؤدي إلى الشح ، فتصير طائعة للشح نفسه !

ومن ثم إن سمعت نداء للتضحية ونداء للشح .. كانت استجابتها لنداء الشح ..

وصدق الله العظيم : **(وأحضرت الأنفس الشح)** النساء / ١٢٨

وصدق الله العظيم : **(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)** الحشر / ٩

وعلاج الشح مزيد من البذل ، يتطبع به الداعية حتى يصير طبعا ، ويتعوده حتى يصير عادة !

والهوى المتبع .. هو طاعة كذلك لما تهوى النفس .. وما تهوى النفس كثير : النساء ، البنين ، القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . والخيل المسومة والانعام والحرث .

ولا يزال الهوى يمسك بتلابيب النفس ، ويملك عليها أقطارها حتى يصير لها إلها تعطيه معنى العبادة وتصير له عبدا تعطيه الطاعة وما هو أكثر من الطاعة : **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعدالله)** الجاثية / ٢٣

ولذا كان أنجع علاج لهوى النفس : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

واعجاب كل ذي رأي برأيه :

والاعجاب بالرأي ــ أيا كان ــ مرض نفسي خطير !

يحجب الانسان عن الحق .

ويعتد لنفسه ولرأيه .

وقديما أصيب فرعون بهذا المرض فقال : **(ما أُريكم إلا ما أرى وما أَهديكم إلا سبيل الرشاد)** غافر / ٢٩

وإذا تمكن المرض .. رأى صاحبه الحق باطلا والباطل حقا ، والفساد صلاحا والصلاح فسادا : **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** البقرة / ١١ و ١٢

وهكذا صار الطهر جريمة عند المفسدين: **(أَخرِجوا آل لوط من قريتكم إنهم أُناس يتطهرون)** النمل / ٥٦

وهكذا تصور فرعون في النهاية أن موسى جاء ليظهر في الأرض الفساد : **(ذروني أقتلْ موسى وليدعُ ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد)** غافر / ٢٦

ـ وإذا أصيب الدعاة بهذا المرض .. كان إثمهم أكبر ومصيبتهم أعظم ـ وهم يتلون آيات الله وفيهم رسوله !

وعلاج هذا المرض : تقوى الله أولا .. وتمثل عظمته ، وضعف الانسان امامه ، ثم رد الأمر عند النزاع إلى حكم الله وحكم رسوله في الكتاب والسنة : **(فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)** النساء / ٥٩

(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) الحجرات / ١ .

وعلاجه بعد ذلك أدب تلقيناه عن أئمة الفقه حين كانوا يقولون : « رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب » وسئل أحدهم : « أرأيك عين الصواب ؟ فقال : بل قد يكون عين الخطأ » .. ثم شيء من الايثار المعنوي .. كما يتنازل الانسان عن حقه أو شيء من ماله إيثارا لأخ له ، فليتنازل كذلك عن رأيه أو شيء من رأيه إيثارا لأخيه : فليس بالايثار المادي وحده يكون خلق الاسلام .

ثانيا : أمراض القلب :

صدأ أو صدود . دنيا مؤثرة ، غفلة عن الآخرة ،

أما الصدأ أو الصدود :

فيصيب القلب إذا طال عليه الأمد بغير ذكر الله .. فيصدأ و يقسو ، ويصيبه الجفاف والجفاء .. فاذا به يميل بعد الصدأ إلى الصدود ..

فلا يعود يستريح إلى مجالس العلم والذكر ، بل يميل إلى مجالس اللغو ثم اللهو ..

وعلاج الصدأ والصدود مزيد من ذكر الله مزيد من قيام الليل ، مزيد من مجالسة الصالحين ، والبعد عن الفاجرين والفاسقين !

أما الدنيا المؤثرة :

فالدنيا إن كانت في يد المؤمن أو الداعية ، فهو يسخرها لطاعة الله وفي طاعة الله ، ويعبدها لله رب العالمين مترنما بقول الله : **(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)** الانعام / ١٦٢

لكن الدنيا حين تنتقل من يده إلى قلبه .. تصير مرضا .. ومرضا خطيرا .. قد تتمثل الدنيا في :

الدرهم والدينار ، والريال والدولار !

أو في المرأة حليلة أو خليلة (الأولى بالحاء والثانية بالخاء) ! أو في الجاه والمنصب والامارة !

وكم من الدعاة لم يسقط أمام الطغاة ، لكنه سقط أمام المال والجاه ! وإنها

لمصيبة ومكيدة نجح فيها أعداء الاسلام ..
لكن كما قلت : إن الدعوة لا تضار ، فانها تتخفف من هذا العبء الثقيل الذي تحمله بدلا من أن يحملها ، وإنها لتنفث خبثها في ابتلاء الخير كما تنفثه في ابتلاء الشر .

أما علاجها :

فهو إرجاع الفضل لله في كل شيء :(**ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس**) يوسف /٣٨ :(**قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر**) النمل / ٤٠
(**قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا**) الكهف / ٩٨ :(**سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم**) البقرة / ٣٢ .
ـ : استشعار أن هذا كله إلى زوال مهما طال .. ما لا كان أو جاها . (**حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس**) يونس / ٢٤ (**فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا**) الكهف/٩٨ .
(**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين**) القصص / ٨٣

ـ : ابتغاء الدار الآخرة وتذكرها :

فانها تؤكد المعني السابق وترسخه .
(**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا**) القصص/٧٧

أما الغفلة عن الآخرة :

فقد تكون نتيجة متممة للمرض السابق .. فان الدنيا إذا دخلت القلب طردت منه الآخرة ! فينساها الداعية أو يكاد ! لكن الغفلة عن الآخرة ، ربما كانت بغير دنيا تستحق الذكر من مال أو جاه أو نساء أو بنين !
وهو أمر وارد مع الحياة الرتيبة ، والمشاغل العديدة ، التي معها قد تقل خلوات الداعية مع نفسه .. ومن ثم خلواته مع ربه ، ومن ثم تذكره لليوم الآخر .
وقد يقترن نسيان الآخرة بنسيان الله .. هنا يضطرب حال الداعية ، فينسى نفسه !
(**نسوا الله فأنساهم أنفسهم**) الحشر / ١٩ ، :(**نسوا الله فنسيهم**) التوبة / ٦٧ .
ولأمر ما اقترن الايمان بالله مع الايمان باليوم الآخر .. ليكون من هذين الثقلين

أكبر صقل لقلب المؤمن ! وليتحقق له بهما التوازن الذي يصبغ حياته بالجد ، ويعطيه الميزان الحق العادل .. يزن به الحياة ، والناس ، والأمور !
من أجل ذلك .. كان علاج هذا المرض ..مزيد من الايمان بالله واليوم الآخر . يزيد بالطاعات ، وينقص بالمعاصي ، ومن ثم وجب تغذيته بالطاعات والمسارعة في الخيرات ، ودرء النقص عنه بتجنب المعاصي والابتعاد عنها .
وكان من شأن بعض الدعاة حتى يتذكر الموت والآخرة .. أن يذهب إلى المقابر في جنح الليل ووحشته ، ويفتح قبرا فيضطجع فيه ، ليستشعر رهبة الموت وما بعد الموت ، وليتذكر لقاء الله ، وليتلو إن شاء !
(إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) يونس /٧و٨

ثالثا : أمراض العقل :
وأولها قلة التخطيط :
سمعتها من بعض الدعاة ، « لسنا بحاجة إلى تخطيط ، إنا متوكلون على الله »
قلت : بل متواكلون لا متوكلون !
لأن الله أمركم في كتابه : **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)** الأنفال / ٦٠ .
أليس التخطيط .. إعدادا .. ينبغي أن يرتفع إلى أعلى حدود الاستطاعة **(ما استطعتم)** .
أليس التخطيط جزءا من القوة .. هي قوة الذهن والعقل الذي أنعم الله عليكم وأي قيمة لقوة .. بغير تخطيط وبغير إعداد ..؟!
إنها تؤكل كما أكلت قوى غاشمة اندفعت بغير إعداد ، ولا نظام ، لذا كان من أمراض العقل التي تصيب الدعاة .. قلة التخطيط ويزيد في أهمية هذا المرض وخطورته أن أعداءنا يعدون لنا ويخططون .. على أعلى مستوى .. لهدم بنائنا ، وللقضاء علينا ونحن نقف موقف المتفرج الأبله الذي ينتظر الضربة ، ولا يدافع عن نفسه ، ولا عن عرضه ، ولا عن دينه .. ثم يزعم أن هذا قضاء الله وأننا له صابرون وعلى العهد قائمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ..
ونحن نعترف :
أن الصبر جميل .. وأن الثبات واجب .. وأن انتقام الله من الظالمين وارد .. لكننا في الوقت نفسه لا بد أن نقرر : أن الجهاد أجمل . وأن الثبات والذكر ، وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع ، والصبر .. أسلحة خمسة واجبة مع الجهاد .
وأن الجهاد لا يصح بغير إعداد وتخطيط . ذلك أمر الله ، وتلك سنة رسوله العملية . ولو كان أحد منصورا بغير جهاد وإعداد وتخطيط .. لكان أولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعلاج ذلك :

أن نفيق .. وأن نفهم .. أن نفيق من غفلتنا .. فقد طالت حتى أطمعت فينا كل ضعيف وخسيس ! وأن نفهم ديننا .. ونعترف أن الاعداد بالتخطيط جزء من الجهاد ، وأن على رافعي رايات الجهاد ان يخططوا قبل أن يرفعوا عقيرتهم بهذا الشعار الجميل !

حسن الظن بالأعداء :

وتبلغ السفاهة بنا .. أن نحسن بعدونا .. فنقيسه بمقاييس المحسنين ونزنه بموازين الصالحين ..!!

ومن ثم إذا وقعت منه الضربة خسيسة ولئيمة .. قلنا ما كنا نتوقع منه هذه الخسة وهذا اللؤم .. والقانون لا يحمي المغفلين .. والقرآن من قبله يحدثنا عن : **(كيد الخائنين)** يوسف / ٥٢ ، **(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)** فاطر / ٤٣ ، **(ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم)** النمل / ٥٠ و ٥١

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا . « الحرب خدعة » رواه البخاري ومسلم ، ويجيز لنا الكذب (وهو شعبة من شعب النفاق) على الاعداء . ويجيز لنا الخداع في الحروب بل يسنه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ كان يسير الغزوة ويوري بغيرها ..

وكان يقول للصحابى الذي كان يهوديا وأسلم . « خذل عنا » (كما روت كتب السيرة) وكان يبعث بالعيون ترقب تحركات الاعداء .. الخ .. ومع ذلك : نحسن الظن باليهود .. والقرآن يقول فيهم : **(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا)** المائدة / ٨٢ .

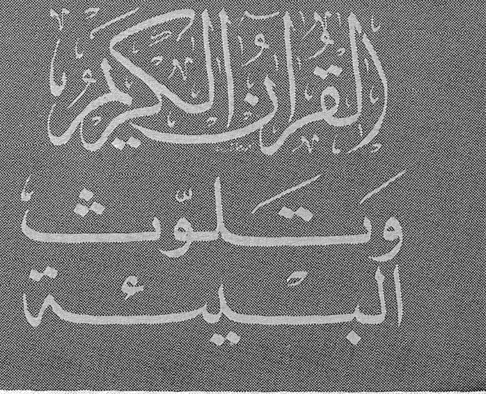
ويقول : **(الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون)** الانفال / ٥٦ ونحسن الظن بالصليبيين والقرآن يقول فيهم : **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** البقرة / ١٢٠ :**(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** البقرة / ٢١٧ ونحسن الظن بعملاء هؤلاء وهؤلاء إذا رفعوا الشعارات ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بتقتيل أمثالهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة وهم فوق عمالتهم .. قتلة .. تقطر أيديهم من دم أطهر شباب الجنة !

نحسن الظن بأولئك وهؤلاء ، والله أنزل فيهم من الآيات ما يكشف خبيئتهم ، وما يهتك نفاقهم وفجورهم وكفرهم فبماذا نحتج عند الله إلا أن نقول : كنا مغفلين !!

وعلاج هذا المرض كذلك :

ان نفيق .. وأن نفهم .. أن نفيق من الغفلة التي نعيشها .. وأن نفهم ديننا .. وسيرة رسولنا (صلى الله عليه وسلم) لنسلك نفس السبيل نحسن الظن باخوتنا ونسيء الظن بأعدائنا ..

(٢)



للمهندس : محمد عبد القادر الفقي

○ جسد الانسان ، وحكمة الله في تخليص هذا الجسد من الرصاص ومركباته السامة
○ الضباب الدخان ، وظلمات البحر الذي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
○ هل كان المطر الذي انزل على قوم لوط مطرا ملوثا بطين مشع ؟
○ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس والسبب : التصنيع !
○ تلوث الهواء يكسر مكونات (السقف المحفوظ)
○ وإذا البحار فجرت ، نتيجة لارتفاع درجة الحرارة ، وانصهار جبال الجليد في المتجمدين : الشمالي والجنوبي .

تلوث الهواء

الهواء هو كل المخلوط الغازي الذي يملأ جو الأرض ، بما في ذلك بخار الماء ، ويتكون اساسا من غازي النتروجين (نسبته ٧٨,٠٨٤٪) والاكسجين (٢٠,٩٤٦٪) ويوجد الى جانب ذلك غاز ثاني اكسيد الكربون (نسبته حوالي ٠٫٠٣٣٪) وبخار الماء وبعض الغازات الخاملة وتأتي أهمية الاكسيجين من دوره العظيم في تنفس الكائنات الحية التي لايمكن أن تعيش بدونه وهو يدخل في تكوين الخلايا الحية بنسبة تعادل ربع مجموع الذرات الداخلة في تركيبها .
ولكي يتم التوازن في البيئة ولا يستمر تناقص الاكسيجين شاءت حكمة الله سبحانه أن تقوم النباتات بتعويض هذا الفاقد من خلال عملية البناء الضوئي ، حيث يتفاعل الماء مع غاز ثاني اكسيد الكربون في وجود الطاقة الضوئية التي يمتصها النبات بواسطة مادة الكلوروفيل الخضراء ولذلك كانت حكمة الله ذات اثر عظيم رائع ، فلولا النباتات لما استطعنا ان نعيش بعد أن ينفد الاكسيجين في عمليات التنفس والاحتراق ، ولا تواجد أي كائن حي في البر أو في البحر ، إذ أن النباتات المائية أيضا تقوم بعملية البناء الضوئي ، وتمد المياه بالاكسيجين الذي يذوب فيها واللازم لتنفس كل الكائنات البحرية .
(هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين)
لقمان ــ آية ١١ .

لكن إنسان العصر الحديث قد جاء ودمر الغابات ، وطغى بالعمران على المساحات الخضراء وراحت مصانعه تلقي كميات هائلة من الأدخنة في السماء ، ولهذا كله أسوأ الآثار على الهواء وعلى توازن البيئة ، و إذا لجأنا إلى الأرقام لنستدل بها ، فسوف نفزع من تضخم التلوث ، فثاني اكسيد الكربون كانت النسبة المئوية الحجمية له حوالي ٠٢٩,٠٪ في نهاية القرن الماضي ، وقد ارتفعت الى ٠٣٣,٠٪ في عام ١٩٧٠ وينتظر أن تصل الى أكثر من ٠٣٨,٠٪ في عام ٢٠٠٠ ، ولهذه الزيادة آثار سيئة جدا على التوازن البيئي .

تعريف تلوث الهواء : ـ

هو وجود أي مواد صلبة أو سائلة أو غازية بالهواء بكميات تؤدي الى أضرار فسيولوجية واقتصادية وحيوية بالانسان والحيوانات والنباتات والآلات والمعدات ، أو تؤثر في طبيعة الأشياء وتقدر خسارة العالم سنويا بحوالي ٥٠٠٠ مليون دولار ، بسبب تأثير الهواء ، على المحاصيل والنباتات الزراعية .

ويعتبر تلوث الهواء من أسوأ أنواع التلوث التي تصيب البيئة ، وتزداد الحالة سوءا كلما ازدادت كمية الملوثات بالجو ، وكلما ازداد عدد السكان في المنطقة الملوثة .

وعلى مدار التاريخ وتعاقب العصور لم يسلم الهواء من التلوث بدخول مواد غريبة عليه كالغازات والأبخرة التي كانت تتصاعد من فوهات البراكين ، أو تنتج من احتراق الغابات ، وكالاتربة والكائنات الحية الدقيقة المسببة للأمراض ، الا أن ذلك لم يكن بالكم الذي لا تحمد عقباه ، بل كان في وسع الانسان أن يتفاداه ، أو حتى يتحمله ، لكن المشكلة قد برزت مع التصنيع وانتشار الثورة الصناعية في العالم ، ثم مع هذه الزيادة الرهيبة في عدد السكان ، وازدياد عدد وسائل المواصلات وتطورها ، واعتمادها على المركبات الناتجة من تقطير البترول كوقود ، ولعل السيارات هي اسوأ أسباب تلوث الهواء بالرغم من كونها ضرورة من ضروريات الحياة الحديثة ، فهي تنفث كميات كبيرة من الغازات التي تلوث الجو ، كغاز أول أكسيد الكربون السام ، وثاني أكسيد الكبريت والأوزون .

طرق تلوث الهواء : ـ

اولا : بمواد صلبة معلقة : كالدخان ، وعوادم السيارات ، والأتربة ، وحبوب اللقاح ، وغبار القطن ، وأتربة الاسمنت ، وأتربة المبيدات الحشرية .

ثانيا : بمواد غازية او ابخرة سامة وخانقة مثل الكلور ، اول اكسيد الكربون ، أكاسيد النتروجين ، ثاني اكسيد الكبريت ، الاوزون .

ثالثا : بالاشعاعات الذرية الطبيعية والصناعية .

رابعا : بالبكتيريا ، والجراثيم ، والعفن الناتج من تحلل النباتات والحيوانات الميتة والنفايا الآدمية .

التلوث الناتج من عادم السيارات : ـ

يمكننا القول ان السيارة ما هي الا مصنع متحرك ، يضر بالصحة ، ويؤثر على

عمر الانسان والنبات والحيوان ، وهذا مرده الى غازات العادم الناتجة عن احتراق الوقود احتراقا ليس مثاليا ، ومن أسوأ الملوثات التي تنتج مع غازات العادم : ـ

غاز أول أكسيد الكربون : وهو يشكل النسبة الكبرى من غازات العادم ، كما انه ينتج ايضا من مواقد الفحم ، وهو غاز عديم اللون ، ذو تأثير سام ، وهو يقلل من قدرة الدم على استخلاص الاوكسيجين من الهواء المستنشق يوما بعد آخر ، وزيادة نسبة امتصاصه تؤدي الى اضطراب في كرات الدم البيضاء والحمراء ، مما يؤدي الى الاصابة بالأمراض الخبيثة ، كما انه يتحد مع هيموجلوبين الدم ، مما يؤدي الى حدوث الاختناق والوفاة .

غاز ثاني اكسيد الكبريت : وهو ايضا غاز عديم اللون ، نفاذ الرائحة وخانق ، له رائحة الكبريت المحترق وهو يخرج مع غازات العادم ويختلط بالرطوبة ، ويكون حامضا مهيجا للاغشية كما يحدث عادة التهابات في الاسطح المخاطية الرطبة ، وله تأثير ناحر في الصدور ، ومثير للسعال ، ومسبب للحساسية ، وهو ذو أثر ضار ايضا على خضرة الاشجار والنباتات .

غاز الأوزون : وهو في منتهى الخطورة وسام جدا وهو اكثر سمية من السيانيد ، وهو عامل مؤكسد قوي يؤدي الى تدمير وهلاك خلايا الرئة وخلايا الاغشية المخاطية ، وهو يؤدي الى هلاك النباتات ، ويزداد تأثيره عليها اذا وجد معه غاز ثاني اكسيد الكبريت .

اكسيد النتروجين : غاز حامضي الخواص ، له تأثير ناحر على الخلايا الحية .

البنزين غير المحترق : له رائحة غير مرغوبة تضيق بها الصدور ، كما انه يهيج الاغشية والشعيرات الدموية .

السناج : ذرات صلبة دقيقة من الكربون ، تنتج عن الاحتراق غير المثالي للبنزين ، أو أي وقود بترولي أو من أصل نباتي .

ويؤدي دخول ذرات السناج صدر الانسان وتراكمها يوما بعد يوم ، الى صعوبة تخلص الجسم منها ، وبذا تتكون بؤر لبعض الامراض الخبيثة .

مركبات الرصاص : تنتج املاح الرصاص من اضافة رابع ايثيلات الرصاص tetra ethyl lead الى البنزين ، وذلك لمنع الخبط فيه ، وتتطاير املاح الرصاص مع غازات العادم في شكل دقائق صغيرة تسبح في الهواء ، ثم تتساقط على الأرض ، واذا تعرض لها الجسد البشري فانه يمتصها ، وجسم الانسان يمتص يوميا ما بين ٠,٢٥ ـ٠,٥ ملليجرام ، وتنتشر تلك الدقائق في العظام وفي الانسجة الناعمة ، وتشاء حكمة الله سبحانه وتعالى ان يطرد الجسم البشري نفس معدله الطبيعي في امتصاص الرصاص ، وهو ٠,٣٠ ملليجرام عن طريق البول والعرق والشعر ، وذلك برهان كبير على قوله تعالى : **(الله لطيف بعباده)** الشورى / ١٩ وقوله ايضا : **(وفي انفسكم أفلا تبصرون)** ؟ الذاريات ـ آية ٢١ .

لكن اذا زاد تركيز الرصاص عن المعدل الطبيعي الذي يمكن لجسم الانسان ان يتخلص منه ، فان ذلك يؤدي الى التسمم بأملاح الرصاص ، والرصاص خطر للغاية اذ انه يهاجم المخ مسببا لبعض الامراض كما يقتحم الصدر ، ويخلق مراكز نشيطة تتجمع حولها ايونات الرصاص الاخرى ليؤدي في النهاية الى بعض الامراض الخبيثة ، البعض منها لايقدر على تحملها الانسان ، وبعضها لايفيد فيه طب ولا علاج .

والنباتات تمتص هي الاخرى املاح الرصاص ، وهي تمتصها بشراهة ومن الطريف بل من المؤسف ان اذكر هنا ان فريقا من الباحثين والعلماء المهتمين بالتلوث قد قاموا باجراء تجارب على النباتات المزروعة حول الطرق العامة ، فوجدوا أن نسبة تركيز الرصاص في هذه الاشجار اكبر من تلك التي تبعد عن هذه الطرق ، ووجدوا انه كلما زاد الابتعاد عن هذه الطرق ، كلما قل تركيز الرصاص ، وفي هذا دليل كبير على ان الرصاص الذي امتصه النبات انما جاء من عادم السيارات لا من مصدر اخر .

الضباب الدخان smog : -

وقد اشتقت تسميته في اللغة الانجليزية من كلمتي دخان Smoke وضباب fog ، وهو يتكون نتيجة لاختلاط الدخان بالضباب ، نتيجة لتأثير ضوء الشمس على الغازات المكونة للدخان ، ويؤدي الضباب الدخان الى حدوث ظاهرة الانعكاس الحراري ، حيث تعلو طبقة من الهواء الدافيء طبقة من الهواء البارد ، على عكس الوضع الطبيعي ، فالمفروض أنه كلما زاد الارتفاع عن سطح الارض كلما قلت درجة الحرارة ، لكن في حالة الانعكاس الحراري هذه يحدث احتجاز للضباب الدخان في طبقة الهواء القريبة من الارض دون ان تتبدد في طبقات الجو العليا مما يؤدي الى زيادة حجم التلوث ، وانعدام الرؤية في بعض الاحيان حيث تزداد الحالة سوءا مع ازدياد التلوث ، وقد حدثت كارثتان بسبب احتجاز الضباب الدخان دون ما تبدد ، الأولى حدثت في مدينة « دورونا » احدى مدن ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، وقد اصيب فيها حوالي نصف السكان بامراض الجهاز التنفسي ، وتوفي حوالي عشرون شخصا ، والثانية حدثت في مدينة لندن عام ١٩٥٢ وانعدمت الرؤية بحيث اصبحت العين لا ترى امامها اكثر من المتر ، وتساقط الناس اطفالا وشيوخا ونساء في الطرقات والشوارع ، وبلغ عدد الوفيات حوالي ٤٠٠٠ بسبب تلك الكارثة .

ويصور القرآن الكريم في اعجاز علمي بياني باهر هذه الحالة التي تنعدم فيها الرؤية نتيجة لتكون سحب الضباب الدخان ، حين يصور اعمال الكفار بانها مثل ظلمات البحر العميق الواسع الهائج الذي تتلاطم امواجه ، ويعلو بعضها فوق بعض ، ويغطي ذلك كله سحاب كثيف قاتم ، يحجب النور عنها ، فاذا اخرج راكب البحر يده فانه لايكاد يراها ، ولعلك اذا قارنت بين حالتي احتجاز الضباب الدخان في مدينتي دورونا ولندن ، والتصوير القرآني ، لاثارك عظمة الاعجاز

القرآني ، وروعة التصوير ، والسبق العلمي في تصوير السحاب المظلم الناتج عن الضباب الدخان ، قال تعالى :

(او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) سورة النور ــ آية ٤٠ .

٢ ــ التلوث بالمواد المشعة :

ظهر هذا التلوث مع بداية استخدام الذرة في مجالات الحياة المختلفة ، وخاصة في المجالين : العسكري والصناعي ، ولعلنا جميعا ما زلنا نذكر الضجة الهائلة التي حدثت بسبب الفقاعة الشهيرة في احد المفاعلات الذرية بولاية « بنسلفانيا » بالولايات المتحدة الامريكية ، وما حادث انفجار القنبلتين الذريتين على « ناجازاكي وهيروشيما » إبان الحرب العالمية الثانية ببعيد ، فما تزال آثار التلوث قائمة الى اليوم ، وما زالت صورة المشوهين والمصابين عالقة بالاذهان ، وكائنة بالابدان ، وقد ظهرت بعد ذلك انواع وانواع من الملوثات فمثلا عنصر الاسترنشيوم ٩٠ الذي ينتج عن الانفجارات النووية يتواجد في كل مكان تقريبا ، وتتزايد كميته مع الازدياد في إجراء التجارب النووية ، وهو يتساقط على الأشجار والمراعى ، فينتقل إلى الاغنام والماشية ومنها إلى الانسان ، وهو يؤثر في إنتاجية اللبن من الأبقار والمواشي ، ويتلف العظام ، ويسبب العديد من الأمراض ، وخطورة التفجيرات النووية تكمن في الغبار الذري الذي ينبعث من مواقع التفجير الذري حيث يتساقط بفعل الجاذبية الأرضية ، او بواسطة الامطار ، فيلوث كل شيء ، ويتلف كل شيء .

وفي ضوء ذلك يمكن ان نقرر او ان نفسر العذاب الذي قد حل بقوم سيدنا لوط عليه السلام بأنه ، كان مطرا ملوثا بمواد مشعة ، وليس ذلك ببعيد ، فالأرض تحتوي على بعض الصخور المشعة مثل البتشبلند ، وهذه الصخور تتواجد منذ آلاف السنين ، وإذا تأملنا قوله تعالى في الآيات التالية ، وكلها نزلت في قوم لوط ، سنجد أن هذا الاحتمال غير بعيد : ــ

ــ **(فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد)** ــ سورة هود ــ الآيتان ٨٢ ، ٨٣

ــ **(فنجيناه وأهله أجمعين . إلا عجوزا في الغابرين . ثم دمرنا الآخرين . وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)** ــ سورة الشعراء ــ آية ١٧٠ ــ ١٧٣

ــ **(وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين)** ــ سورة النمل ــ آية ٥٨

ــ **(إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون)** ــ سورة العنكبوت ــ آية ٣٤

ومما يدعم رأينا ويقويه قوله تعالى : **(جعلنا عاليها سافلها)** ، وهذا لا

يتأتى إلا من زلزال عظيم ، أو تفجير نووي كبير ، وهذا الاحتمال الأخير أرجحه ، خاصة وأن آيات سورة الشعراء التي ذكرتها قد سبق ذكر المطر فيها قوله تعالى : **(ثم دمرنا)** ، فالمطر قد جاء بعد التدمير ، ولم تقل الآية : ثم أهلكنا الآخرين ، وهذا يتمشى مع ما أثبتته التجارب العلمية من أن تلوث مياه الأمطار بالاشعاع الذري ، أو الغبار الذري لا يتم إلا بعد التفجيرات النووية ، كما أن **(الرجز)** في اللغة يعنى القذر ـ بفتح القاف والذال ـ أي المواد الملوثة .

ومن المرجح في ضوء ذلك ، ان يكون المطر الذي نزل عليهم ملوثا بطين مشع ، وهذا يتمشى مع قوله تعالى في آية أخرى : **(لنرسل عليهم حجارة من طين)** ـ سورة الذاريات ـ آية ٣٣

التلوث الالكتروني :

وهو أحدث صيحة في مجال التلوث ، وهو ينتج عن المجالات التي تنتج حول الأجهزة الالكترونية ابتداء من الجرس الكهربي والمذياع والتليفزيون ، وانتهاء إلى الأقمار الصناعية ، حيث يحفل الفضاء حولنا بالموجات الراديوية والموجات الكهرومغناطيسية وغيرها ، وهذه المجالات تؤثر على الخلايا العصبية للمخ البشري ، وربما كانت مصدرا لبعض حالات عدم الاتزان ، وحالات الصداع المزمن الذي تفشل الوسائل الطبية الاكلينيكية في تشخيصه ، ولعل التغييرات التي تحدث في المناخ هذه الأيام ، حيث نرى أياما شديدة الحرارة في الشتاء ، وأياما شديدة البرودة في الصيف ، لعل ذلك كله مرده إلى التلوث الالكتروني في الهواء حولنا ، وخاصة بعد انتشار آلاف الأقمار الصناعية حول الأرض .

تأثير تلوث الهواء على البر والبحر :

تتجلى عظمة الله ولطفه بعباده في هذا التصميم الرائع للكون ، وهذا التوازن الموجود فيه ، لكن الانسان بتدخله الأحمق يفسد من هذا التوازن ، في المجال الذي يعيش فيه ، وكأن هذا ما كانت تراه الملائكة حينما خلق الله آدم ــ قال تعالى : ــ

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم . وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) ــ سورة البقرة ــ الآيتان ٢٩ ، ٣٠

ولعل مما يؤكد وجهة نظرنا أن القرآن الكريم قد عرض وجهة نظر الملائكة بعد أن جاء في الآية السابقة من أن الله قد خلق للبشر كل ما يلزمهم في الأرض ، قبل أن يخلق الله آدم ، كالأنهار والبحار والجبال والاشجار والهواء **(خلق لكم ما في الأرض جميعاً)** .

بيد أن الفساد في الأرض يجب ألا ننظر إليه من وجهة النظر المادية وحدها ، بل هو يتضمن أيضا الطغيان والعصيان والظلم من جانب الانسان ، وآيات القرآن

الكريم تتحمل كلتا الوجهتين ، فالفساد في الأرض قد يكون من ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وقد يكون بعصيانه لأوامر ربه ، وقد يكون تدخل الانسان في مكونات الأرض والسماء ، وإفساد اتزانها على نحو ما نرى في موضوع التلوث البيئي ، وقد يكون التلوث الأخلاقي ، وقد يكون كل ذلك .

وعظمة القرآن في أنه يتحمل كل هذه المعاني ، ويشعها جميعا من كلمة واحدة ، هي **الفساد** ، وتأمل قوله :

– **(ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين)** – سورة الاعراف – آية ٥٦

– **(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** سورة البقرة – الآيتان ١١ ، ١٢

– **(وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)** – البقرة – آية ٦٠

أما الآية التي تجسم التلوث بكل أبعاده فهي الآية رقم ٤١ من سورة الروم : –

– **(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون)** –

حيث تشير إلى التلوث الذي يظهر في البر والبحر نتيجة لما تصنعه يد الانسان ، كما تبين أيضا العذاب والوبال الذي يحل بالانسان نتيجة لفعله هذا **(ليذيقهم بعض الذي عملوا)** .

ومن المؤسف أن تيار التلوث قد وصل إلى أماكن لم يكن يتوقع أحد أن يصل إليها ، فقد وجد العلماء أن هناك نسبة كبيرة من الرصاص في الجليد في جزيرة « جرينلاند » تزيد عن نسبتها منذ عشرات السنين ، وتعجبوا من أين جاء هذا التلوث ، والجزيرة خالية من السكان تقريبا ، وخالية من السيارا ت والمصانع ، وتقع بعيدا عن مناطق العمران هناك في المنطقة المتجمدة الشمالية .

إن الرياح هي المسئولة عن نقل هذا التلوث من مكان إلى مكان ، فالأبخرة والدخان والغازات الناتجة من المصانع التي تنفثها المداخن في اوروبا تنقلها الرياح إلى بلاد نائية في الشرق مثل السويد وشمال غرب روسيا : –

(واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) – الجاثية – الآية ٥

ليذيقهم بعض الذي عملوا :

وجد أن للتلوث آثارا ضارة على النباتات والحيوانات والانسان والتربة ، وسوف نناقش هنا الأثر الناتج عن تلوث الهواء :

أ – صحياً : – تؤدي زيادة الغازات السامة إلى الاصابة بأمراض الجهاز التنفسي والعيون ، كما أن زيادة تركيز بعض المركبات الكيميائية كأبخرة الامينات

العضوية يسبب بعض أنواع السرطان ، ولبعض الغازات مثل أكاسيد غاز النتروجين آثار ضارة على الجهاز العصبي ، كذلك فان الاشعاع الذري يحدث تشوهات خلقية تتوارثها الأجيال إن لم يسبب الموت .

ب ـ مادياً : ـ ١ ـ يؤدي وجود التراب والضباب إلى عدم إمكانية الرؤية بالطرق الأرضية والجوية .

٢ ـ حدوث صدأ وتآكل للمعدات والمباني ، مما يؤثر على عمرها المفيد ، وفي ذلك خسارة كبيرة .

٣ ـ التلوث بمواد صلبة يحجز جزءا كبيرا من أشعة الشمس ، مما يؤدي إلى زيادة الاضاءة الصناعية .

جـ ـ على الحيوانات : ـ تسبب الفلوريدات عرجاً وكساحا في هياكل المواشي العظمية في المناطق التي تسقط فيها الفلوريدات ، أو تمتص بواسطة النباتات الخضراء ، كما أن أملاح الرصاص التي تخرج مع غازات العادم تسبب تسمما للمواشي والأغنام والخيول ، وكذلك فان ثاني أكسيد الكبريت شريك في نفق الماشية .

أما الحشرات الطائرة فانها لا تستطيع العيش في هواء المدن الملوث ، ولعلك تتصور أيضا ما هو المصير المحتوم للطيور التي تعتمد في غذائها على هذه الحشرات ، وعلى سبيل المثال انقرض نوع من الطيور كان يعيش في سماء مدينة لندن منذ حوالي ٨٠ عاما ، لأن تلوث الهواء قد قضى على الحشرات الطائرة التي كان يتغذى عليها .

د ـ علي النباتات : ـ تختنق النباتات في الهواء غير النقي وسرعان ما تموت ، كما أن تلوث الهواء بالتراب ، والضباب والدخان والهباب يؤدي إلى اختزال كمية أشعة الشمس التي تصل إلى الأرض ، ويؤثر ذلك على نمو النبات وعلى نضج المحاصيل ، كما يقلل عملية التمثيل الضوئي من حيث كفاءتها ، وتتساقط زهور بعض انواع الفاكهة كالبرتقال ومعظم الأشجار دائمة الخضرة ، وتتساقط الأوراق والشجيرات نتيجة لسوء استخدام المبيدات الحشرية الغازية ، وكمثال للنباتات التي تتأثر بالتلوث محاصيل الحدائق ، وزهور الزينة ، والبرسيم الحجازي ، والحبوب ، والتبغ ، والخس ، وأشجار الزينة ، كالسرو ، والجازورينا ، والزيزفون .

هـ ـ على المناخ : ـ تؤدي الاشعاعات الذرية والانفجارات النووية إلى تغيرات كبيرة في الدورة الطبيعية للحياة على سطح الأرض ، كما أن بعض الغازات الناتجة من عوادم المصانع يؤدي وجودها إلى تكسير في طبقة الأوزون التي تحيط بالأرض ، والتي قال عنها القرآن : (**وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن أياتها معرضون**) الانبياء ـ آية ٣٢

إن تكسير طبقة الأوزون يسمح للغازات الكونية والجسيمات الغريبة أن تدخل جو الأرض ، وأن تحدث فيه تغيرات كبيرة ، أيضا ، فان وجود الضباب والدخان

والتراب في الهواء يؤدي إلى اختزال كمية الاشعاع الضوئي التي تصل إلى سطح الأرض ، والأشعة الضوئية التي لا تصل إلى سطح الأرض بذلك ، تمتص ويعاد إشعاعها مرة اخرى إلى الغلاف الجوي كطاقة حرارية فاذا أضفنا إلى ذلك الطاقة الحرارية التي تتسرب إلى الهواء نتيجة لاحتراق الوقود من نفط وفحم وأخشاب وغير ذلك ، فسوف نجد أننا نزيد تدريجيا من حرارة الجو ، ومن يدرى ، إذا استمر الارتفاع المتزايد في درجة حرارة الجو فقد يؤدي ذلك إلى انصهار جبال الجليد الموجودة في القطبين وإغراق الأرض بالمياه ، وربما كان ذلك ما تشير إليه الآية رقم ٣ في سورة الانفطار : **(وإذا البحار فجرت)** حيث ذكر المفسرون أن تفجير البحار يعني اختلاط مائها بعضه ببعض ، وهذا يمكن له الحدوث لو انصهرت جبال الجليد الجليدية في المتجمدين الشمالي والجنوبي .

خاتمة : ــ

إنها صورة سوداء قاتمة صنعها الانسان ، ويذوق وبالها الآن ، وسوف يعاني الكثير من جرائها في السنوات القادمة ، خاصة وأن التصنيع يرتبط بالتلوث ، والبعض يرى أن التصنيع هو السبيل الوحيد للتقدم ، وأنه هو الدليل الوحيد على الحضارة والتمدين ، ولقد أدركت الدول المتقدمة خطورة هذه المشكلة فمنعوا قيام بعض الصناعات التي ينتج عنها كميات هائلة من الملوثات ، وصدروها إلى الدول النامية بدعوى نشر الحضارة والتكنولوجيا ، وهي مأساة كبيرة ستشمل البشرية كلها ، وعلينا أن نوقفها ، وأن نضع كل إمكانياتنا وأن تتحد إرادتنا من أجل المحافظة على الحياة ، وعلى الانسان ، من جهل الانسان ، فقد **(ظهر الفساد في البر والبحر)** فهل من مدكر ؟

الى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند ارسال مقالاتكم وانتاجكم الفكري والأدبي الينا :

- **كتابة العناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث تسهيلا لارسال المكافأة .**
- **موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر .**
- **الانتاج المرسل لا يقل عن ٥ صفحات فولسكاب مكتوبا بالآلة الكاتبة .**
- **ترقيم جميع الآيات القرانية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة .**
- **لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .**



قرأت مؤخرا مقالة بعنوان تعقيب على مقال « مع انجيل برنابا » للاستاذ مصطفى محمد في الوعي الاسلامي ، ولاحظت ما فيها من آراء لا ينبغي السكوت عليها فرأيت ان أعقب على هذه الآراء بما يشفي الغليل ويبين الجليل ولكن قبل اقبالي على هذا بالدليل أرى لزاما على ان أتحدث أولا عن برنابا والأنجيل الذي كتبه محاولا اظهار الحق الذي كان مخفيا واشعار الباطل الذي كان سريا ومن هذه المحاولة استغفر الله ان أخطأت وأتوب الى الله ان أكون قد صبأت .

كان برنابا أحد الحواريين عند عيسى عليه السلام وهذا ما يقوله التاريخ وما جاء عنه في العهد الجديد وفي دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الامريكية وغيرها من الكتب المسيحية نجد اخبارا وافية عنه وكل هذه المصادر تؤكد لنا أن برنابا كان شخصا موجودا عاش في زمان عيسى عليه السلام ومن المقربين اليه مما ينفي شك الاستاذ مصطفى محمد في وجوده عند عيسى عليه السلام .

وكان اسم برنابا يوسف وقد لقبه تلاميذ المسيح ببرنابا وترجمته ابن الوعظ وأحسبه كناية عن الواعظ كما ان ابن السبيل في العربية كناية عن المسافر وابن الزنا كناية عن الزاني وكان برنابا يقضي معظم وقته في صحبة المسيح عليه السلام ليستمع الى تعاليمه واقواله ، فهو ـ اذا ـ جدير بأن يكتب عن سيرة المسيح ويسجل اقواله والحوادث التي كانت تدور حول المسيح ، ويشتمل الانجيل الذي كتبه على كل هذه وليس هو الانجيل الذي تلقاه عيسى عليه السلام من عند الله ، مع انه من المحتمل ان يكون بعضاً ، وان لم يكن كل تعاليم عيسى واقواله ـ أو تفسيرا للأنجيل المنزل عليه .

ولم يكن لدى دارسي حياة برنابا العلم اليقيني عما اذا كان برنابا كتب انجيله في زمان عيسى او بعده الا انهم استدلوا من حكايته مع بولس ومارکس بأنه كتبه بعد ما رفع عيسى الى السماء بعد رجوعه الى وطنه قبرص .

ولقى هذا الانجيل قبولا حسنا في كنائس اسكندرية وصار قانونا عند اهلها حتى سنة ٣٢٥ م ثم أصبح فتنة وادخل المسيحيون عقيدة التثليث ، فأمر رجال الكنيسة باحراق كل الاناجيل والكتب ضد هذه العقيدة ومن ضمن الكتب التي تعرضت للاحراق انجيل برنابا ، لأنه يدعو الى التوحيد ، ويصدق نبوءة عيسى عليه السلام وبما فيه من بشارة محمد صلى الله عليه وسلم ، والتعرض لذكر قضية الصلب على حقيقتها وغيرها من الحقائق التي تناقض عقائد الكنيسة الجديدة ، فلما رأوا ما رأوه في هذا الانجيل من مخالفة عقائدهم الجديدة ، اصدروا أمرا باعدام كل من وجد عنده نسخة من انجيل برنابا .

ويرجع هذا النهي عن مطالعة انجيل برنابا الى سنة ٣٢٥ م ، اي قبل اكثر من مائتي سنة من ولادة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم في سنة ٣٦٦ م منعه البابا دماسس مع انه حفظ نسخة منه في مكتبته ، واستمر هذا النهي عن مطالعة هذا الكتاب قرنا بعد قرن وبهذا الصدد يقول الدكتور خليل سعادة مترجم انجيل برنابا الى العربية ووافقه في تصديق هذا القول محمد رشيد رضا منشئ المنار : ويذكر التاريخ أمرا اصدره البابا جلاسيوس الاول الذي جلس على الاريكة البابوية سنة ٤٩٢ م يعدد فيه اسماء الكتب المنهى عن مطالعتها وفي عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا « مقدمة انجيل برنابا » .

ومرت سنون وانقضت قرون ولم يسمع لهذا الانجيل خبر ، ولكن الحق لا بد ان يظهر عاجلا كان او آجلا ، فلما كان القرن السادس عشر عثر عليه راهب إيطالي يسمى « فرا مرينو » في مكتبة البابا سكنس الخامس وفي قصة عثوره على هذا الانجيل ، يقول خليل سعادة ناقلا عن مصطفى العرندي « انه عثر على رسائل لايريناوس وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس وان اريناوس اسند تنديده هذا الى انجيل القديس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب مرينو المشار اليه شديد الشغف بالعثور على هذا الانجيل واتفق انه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا سكنس الخامس فحدث يوما انهما دخلا معا مكتبة البابا فران الكري على اجفان قداسته فاحب مرينو ان يقتل الوقت بالمطالعة الى ان يفيق البابا فكان الكتاب الاول الذي وضع يده عليه هو هذا الانجيل نفسه فكاد ان يطير فرحا من هذا الاكتشاف فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في احد ارديته ولبث الى ان استفاق البابا فأستأذنه بالانصراف حاملا ذلك الكنز معه فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على اثر ذلك الدين الاسلامي (مقدمة انجيل برنابا) .

هكذا كان مصير انجيل برنابا ولم ينته خبره بعد الى هذه الغاية لأنه بعد قرنين اي في القرن الثامن عشر انتشر خبره في اوروبا في دائرة الدين واحدث فيها دويا عظيما وفي خلال هذه الفترة لم يسمع له خبر فلما شاع خبره في هذا القرن

واضطرب رجال الكنيسة من محتوياته ، عقدوا اجتماعا للبحث في هذا الانجيل فاتفقوا اخيرا على انه من وضع مرتد عن النصرانية او مسلم .
وهذا الحكم الذي اصدر من قبل رجال الكنيسة لا يقوم على اي اساس اذ ان في هذا الانجيل حقائق لا يعرفها الا من كان له المام واسع بالتوراة والانجيل والقرآن ، واني له العلم بالقرآن قبل انزاله فان قيل زعموا انه وضع بعد الاسلام قلنا كفى بنا التاريخ شهيدا وقد مر بك ان هذا الانجيل نهى عن مطالعته في سنة ٣٢٥ م . الى غيره من اخبار تاريخية ودلائل منطقية .
ومهما يكن من الأمر فأننا مع كل ادلة لدينا على ثقة عظيمة بأن هذا الانجيل ، كتب بقلم رجل مؤمن بالله ورسوله ومن المقربين اليه ، والذي سجل ما سمع من أقوال المسيح وتعاليمه وما شاهد من الحوادث التي حدثت مع المسيح عليه السلام وكم فيه من أقوال حكيمة وقصص ذات عبرة ، وتعاليم اصيلة والاخبار عن الغيب التي لا يمكن ان ينطق بها الا نبي من الأنبياء أو ملك من الملائكة ، فهو اذا كتاب جدير بأن يعول عليه ولا بد ان يتلقى بالقبول ويرجع اليه في مسائل تاريخية وبعض الحقائق ، بل يمكننا ان نستخدمه لتفسير بعض آي القرآن ـ اذا صح التعبير ـ خصوصا الآي التي تتعلق بقصة المسيح عليه السلام لأنه يفصل بعض ما اجمله القرآن مثل قضية الصلب وبشارة محمد صلى الله عليه وسلم ، ودعاء المسيح الى التوحيد واخباره عن حكايات معجزاته وعن قصص الانبياء الذين جاءوا قبله ، هو في الواقع كتاب وحيد من نوعه يوافق القرآن واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخالف في الكثير الاناجيل التي تقرأ اليوم في كنائس العالم .
قد انتهيت من اخبار برنابا وانجيله اختصارا والآن دعني اعقب على آراء الاستاذ مصطفى محمد واحدا واحدا كما لمحت في البداية هذا هو الغرض الذي دفعني الى كتابة هذه المقالة التي ارجو ان تكون مفيدة .
ذكر الاستاذ استنكافا من مطالعة انجيل برنابا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسألوا اهل الكتاب عن شئ » واجيب عن هذا بأنه من المحتمل جدا ان يكون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال الكفار من اهل الكتاب دون المؤمنين منهم ، وهذا الاحتمال عندي هو مراد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأننا نجد في القرآن آيات حيث يذكر الله تعالى المؤمنين من أهل الكتاب في معرض المدح ، حيث سأذكر بعض هذه الآيات في نهاية هذه المقالة ، واذا مدح الله مؤمني أهل الكتاب لايمانهم وتقواهم ، فلا ارى جرما في سؤالهم عن شي في دين الله ، لمكانهم بالعلم بالتوراة والانجيل ولأن الايمان هو الذي يفرق بين المسلم والكافر ، فاذا وجد الايمان في اليهود والعرب والفرس وغيرهم فهم في الصدق على السواء .
اما احتجاج الاستاذ بقول معاوية في حق كعب الاحبار « انه كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب » فلا ادري كيف شك معاوية في صدق كعب الاحبار بينما كان ابن عباس حبر الامة وترجمان القرآن وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم يعتمدون على كعب الاحبار

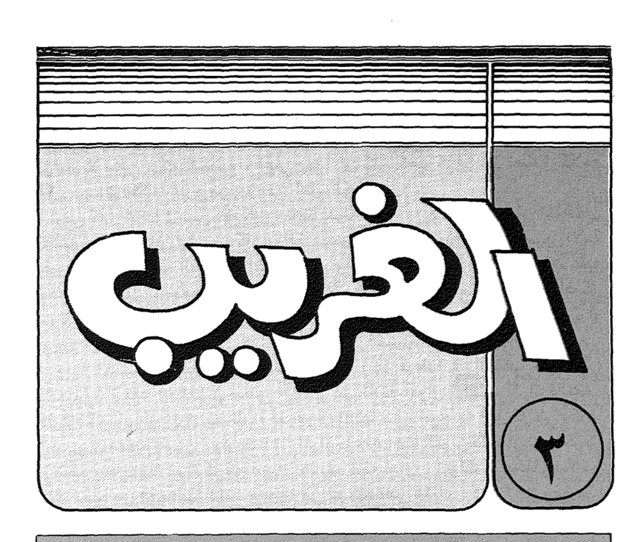
ووهب ابن منبه في تفسير بعض آيات القرآن التي تتعلق بقصة بني اسرائيل وكيف يظن بكعب الاحبار الكذب ، وكان من أحسن الناس اسلاما والكذب من سمة المنافقين ، فأن قيل كان كعب متهما بالكذب فلا يصدق في كلامه ، قلت ولو كان بالواقع كذابا فإن كذبه لا يبطل صدق غيره من مؤمني أهل الكتاب ، لأن نفى حكم الواحد لا ينفي حكم الجميع ، اعني بهذا ان كان كعب كذابا فلا نصدق كلامه ولكن نصدق كلام غيره من مؤمني أهل الكتاب .

ومن كان كذابا في دين الله كان منافقا لقوله تعالى : (**والله يشهد ان المنافقين لكاذبون**) المنافقون/١ ومن كان منافقا فنحن اشد فرارا منه فما ظنك بحبر الأمة وغيره من الصحابة الذي هم اعلم الناس واتقاهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان قيل لم يتعمد كعب الاحبار الكذب فلا نكذبه ولا نصدقه قلت كذلك كل من لا يتعمد الكذب لا نكذبه ولا نصدقه من مؤمني اهل الكتاب كان أو من العرب أو غيرهم ، فهم في حكم النهي عن السؤال على السواء لا نفرق بين احد منهم .

واما احتجاج الاستاذ بقول الله تعالى : (**ما فرطنا في الكتاب من شئ**) الأنعام/٣٨ فقد اختلف في معنى الكتاب على ثلاثة أقوال أولها ـ المراد بالكتاب القرآن ثانيها ـ ان المراد به اللوح المحفوظ وثالثها ـ ان المراد به اجل كل شئ ذكرها الطبري في معجم البيان ، وان قلنا ان المراد بالكتاب هنا القرآن فالقرآن لم يذكر كل شئ تصريحا فمثلا اين ذكر كل انبياء الله بعد قوله تعالى : (**ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**) غافر/٧٨ وغير هذا اشياء كثيرة لم يذكرها القرآن يطول ذكر بعضها هنا .

واما الآي التي يحتج بها الاستاذ والتي تصدق حقيقة القرآن من انه من عند الله فلا تمنع من مطالعة غيره ، واما الآي التي ذكرها والتي يذكر الله تعالى أهل الكتاب في معرض الذم والتوبيخ فبرنابا كاتب انجيل مع بره وزهده وورعه لا يدخل في عدادهم وليت شعري لو قرأ الاستاذ قوله تعالى : (**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين**) آل عمران/١١٣ و١١٤ وقوله (**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب**) آل عمران/١٩٩ وقوله (**الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به**) البقرة/١٢١ . لو قرأ الاستاذ هذه الآي وامثالها وتدبر فأدخل برنابا في عداد من قال الله تعالى فيهم هذه الآي لكان صوابا وكوكبا يهتدي به .

هذا مع ان الاستاذ مع ذلك اجتهد وابتعد ولا تخلو مقالته من قول حسن وهو نصيحته « ثم لماذا لا نوجه جهدنا أولا وقبل كل شي إلى دراسة ديننا وذخائرنا فإن تسعة اعشار كتبنا وتراثنا ما تزال حبيسة مكتبات دور الكتب وهذه النصيحة التي أقبلها من أعماق قلبي لا بد أن تكتب على باب كل مسلم .



مسرحية شعرية من فصل واحد وستة مناظر

للشاعر/ محمود عبد الغفار دياب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبـه ، وذلك أضعف الايمان » .

المنظر الخامس

المؤامرة

قاعة العرش في قصر الوالي ، الوالي يقطع القاعة ذهابا وايابا مطرقا مفكرا مدبرا ، وكبير حجابه على الباب ، والحراس في كل مكان ..)

الوالي : (يسأل كبير الحجاب وقد استبد به القلق)

هل جاء الشيخ كما قلنا

كبير الحجاب : (يجيب في اضطراب)

ابدا مولاي ..ولم يظهر

الوالي : (في غضب)

استعجل فورا مقدمه

كبير الحجاب : (يجيب خائفا)

ارسلت بأمرك للعسكر

الوالي : (محذرا)

اياك يفر ويفضحنا

كبير الحجاب : (مطمئنا الوالي)

... **ابدا لن يفلت لو دبر**

احكمنا طوق حراسته شيخ مجنون يتكبر

الوالي : (محدثا نفسه بصوت مسموع)

هذا المجنون له سر والسر سيكشف او يقبر

(ثم يلتفت الى كبير الحجاب ويأمره بحسن استقبال الغريب)

ادخله لفورك محتفيا ان جاء .. حذار يتأخر

يظهر الشيخ على باب قاعة العرش ، وقد تبدلت حاله فلبس افخر الثياب واسترد عافيته ومظهره المهيب الجليل وهو يدب على عصاه)

كبير الحجاب : (يخف مرحبا بالشيخ) ..

... **اهلا بالشيخ ومقدمه**

الوالي : (هاشا باشا)

....**اهلا بالحكمة والسعد**

(يأخذ بيد الشيخ ثم يسيران معا ويجلسه الى جواره)

يا شيخ تفضل اسعدنا بحديث الحكمة والود

(يتلفت الشيخ حواليه في تردد ويقلب عينيه في دهشة لهذه الحفاوة ولا ينطق بحرف)

الوالي : (يحاول ان يخرج الشيخ من صمته)

قل ما تشاء لك الامان مبجلا الرأي في ليل الخطوب منار

الشيخ : (يتنهد آسفا ثم يقول)

ماذا اقول وكل قول فـاسد — مـا لم يكن لمقالـة آثـار ؟!
مالي أراكم خاملين تضاربت — اهــواؤكم فتحكم الاشــرار
هم يعملون وينتجون وهاهنا — بالشرق جهـل عاجـز خوار

الشيخ : (مواصلا حديثه)

يغـزون ارجاء الفضـاء بعلمهم — ونخـاف نمشي والطـريق نهـار
مستهلكـون لكل مـا قد ابـدعت — امم هنـاك ، ويربـح السمسـار
والمبدعون بأرضكم قد ضيعـوا — بـوظـائـف ارزاقـهـا اصفـار
والثـرثـرات طعـامكم وشـرابكم — والشـائعـات شـرارهـا اعصـار
والجنس والادب الرخيص بضاعة — راجت ، وجهد الناصحـين بوار
والخوف والارهاب اصبح زادكم — والـرأي يقتل والخطـوب كبـار
متفـرقـون بكـل درب مظلـم — تتنـابـذون وارضكـم اعشـار
طمع الذئاب بارضكم وتحفـزوا — فالويـل ان لم تجمعوا والعـار

الوالي : (يتبرم من الحديث فيهدده خفية)
هذا حديث سياسة ومحرم — ان تستباح سياسـة وقرار

الشيخ : (يقول في حزم)
ان السياسة ان تساس رعية — بالعدل والشورى يكون قرار
لا ان يروع آمن في سربـه — وبغـير ذنب يقتل الاحـرار

الوالي : (يغضب من هذا التلميح والتنديد بسياسته فيتساءل) **ماذا تقول** ؟
الشيخ : (مؤكدا في حزم)
اقـول ما استمعت لـه اذنـاك اني نـاصـح مغـوار
الوالي : (مسفها كلام الشيخ)
دع عنك هذي الفلسفات مكرما — بحر السياسـة مالـه اغوار

الشيخ : (متحديا)
انسيت اني كنت قبلك قائدا — شهد العدو بحكمتي والجار
الكفر قد رفع الصليب مهددا — باسم المسيح تمسح الاشرار
طمع الذئاب بأرضنا فتجمعوا — والله يشهـد اننـا احـرار

وحدت صف العرب قلبا واحدا　　[illegible] لطغاة وحفنا الاكبار

الوالي : (مقاطعا)

اليوم غير الامس

الشيخ (متحديا)

هــــذا زعـــمكـــم　　بئس الـ[illegible] اقـ[illegible]ـه الخــوار
ماذا لدى الاعداء ينقص قومنا ؟　　فتقــاعـ[illegible] [illegible]ـمم [illegible]ـل عثــار
خير الشعوب شعوبنا إن وحدت　　فــالـدين [illegible] و[illegible] [illegible]ـار عمـار
والمـال موفـور ، وكـل صنـاعـة　　بــالارض يعرف سرها الاحـرار
علمـاؤنا كنـز البلاد وذخـرهـا　　هجـروا الديـار وشتت الاخيـار
لا خـير في وطـن تشتت اهلـه　　مـزقـا تئن ، فجمعـهم اصفــار
ضموا الصفوف ووحدوا أهدافكم　　عــزم الـرجــال ارادة وقــرار

الوالي : (مغيرا مجرى الحديث)
اسمع هداك الله قل لي صادقا　　ماذا اردت غداة جئت لدولتي ؟

الشيخ : (في ثقة واعتزاز)
لا شيء الا ان تفك احبتي　　(حريتي) اخت (الجهاد) وعزتي

الوالي : (مراوغا)
حسنا ... وماذا بعد تطلب يا ترى

الشيخ : (في ثقة واعتزاز)
...ان تستفيد بحكمتي وبخبرتي

الوالي : (محاولا شراء الشيخ)
اني امرت بأن تعين هاهنا　　كوزير دولتنا تشير بما ترى

الشيخ : (معترضا)
ما جئت اطلب منصبا او مغنما　　من قال هذا لا تكلف بيننا

الوالي : (متلطفا)
انت العزيز المستشار وفي غد ...

الشيخ(يتنهد ثم يقول في حسرة)

يا ويلكم مما يخبئه الغد .. يا ويلكم مما يخبئـه الغد

.. يا ويلكم مما يخبئه الغد

الوالي : (مستنكرا) **ماذا تقول ؟**

الشيخ : (ناصحا)

نبـــوءة لمجـــرب خبـر الحياة وجرب الاخطـارا

أنست نـورا قلت علـيّ اهتـدى فـوجـدت نـارا تـأكـل الابـرارا

وقتلتمو الحب الجميل بارضكم فالناس في ليل الخطوب سكارى

وتبعتمو زيف الحضارة والهوى ونسيتمــو تــاريخكـم اطمــارا

ابنـاء صهيون تجسد حقدهم هتكوا النساء وشردوا الاخيارا

حرقوا المساجد واستباحوا ارضنا والقدس والـزيتـون والافكـارا

هــلا رجـعـتـم للكتـاب وسنـة غـراء حتـى نـهـزم الكفارا

هيا اجمعوا صف العروبة والقنا وتـوحدوا كي لا نظـل حيـارى

الله يـهـدي من يشـاء لنـوره فمتى نتوب ونسجد استغفارا ؟

الوالي : (وقد مل نصائح الشيخ)

يا شيخ إنك قد اطلت مواعظا هل جئت تشعل فتنة ام نارا ؟

الشيخ : (مستنكرا رفض نصحه)

ما جئت اشعل فتنة بل اتقي فتنا زرعتم شوكها اسوارا

الظلم يشعل في القلوب مرارة عمياء تهدم ملككم أشطـارا

الوالي : (معللا سبب بطشه واستبداده) :

الحزم محمود لحكم بلادنا كي نردع الفجار والاشرارا

الشيخ : (معترضا على هذا التبرير الكاذب)

العدل فوق الحزم بل هو نوره يحيي النفوس ، ويخلق الاحرا

الوالي : (مدافعا عن رأيه)

العــدل نسبي اذا حللتــه والخوف يمنع فتنة وبوارا

الشيخ : (مفندا هذا الادعاء)

العدل قانـون الوجـود وشرعـة لـلـه نـزلـه هـدى ومنـارا

ميـزانــه لا يستقيـم بـرهبـة والبطش يهدمه ويشعـل نـارا

والخوف يزرع في القلوب عداوة — تجني على حكم الطغاة دمارا
بالعدل تبنى دولة وحضارة — مرموقة لا تعرف الاخطارا
وحد جموع الشعب تحت مظلة — للعدل وارفع للاخاء شعارا
واهدم جدار الخوف ، واحكم راشدا — بالدين واحذر خائفا مكارا

الوالي : (مبررا ظلمه بحجة استعداده لحرب الاعداء)

سنخوض حربا للجهاد ولازم — ان نحمي الاسوار والاسرارا
ولذامنعت الناس ان يتكلموا — او يبصروا او يسمعوا الاخبارا
وشريت اسلحة نرد بها العدا — وسنهزم الاعداء والكفارا
وغداة نصري سوف اسمح بالذي — حرمت قبل وننشد الاشعارا

الشيخ : (ساخرا من هذه الافكار)

اتخوض حربا للجهاد بزمرة — لا يبصرون لليلهم انوارا ؟
الخائفون المتعبون اذلة — يوم اللقاء تراهمو ادبارا
يتوقعون الموت كل دقيقة — فالخوف افرخ رهبة وفرارا

الشيخ : (متابعا حديثه السابق)

اتخوض حربا للجهاد بعدة — للحرب صنعها العدو شنارا
تتشدقون بكل قول كاذب — كم تعشقون المدح والدولارا
لن تحصدوا غير المذلة في الورى — ما دمتمو متفرقين سكارى
واحذر مؤامرة تحاك بظلمة — نسج الصديق خيوطها امتارا

كبير الحجاب : (يدخل مهرولا وهو في ذهول ثم يقول)

مولاي ... وزيرك مقتول .....

الوالي :(مستفسرا وقد ظهر الرعب على وجهه) مقتول ؟ من ذا قد قتله ؟

كبير الحجاب : (يجيب مضطربا)

لا نعرف ... لكن القاضي يستجوب اوباش السفلة ..

الوالي : (محاولا اظهار رباطة الجأش)

حسنا .. هل سرقوا شيئا نعرفه ؟

كبير الحجاب : (يجيب مضطربا)
مولاي .. لقد سرقوا عمدا   سر الاقفال السرية

الوالي : ((يصرخ في رعب)
ضعنا والله لقد ضعنا   ضعنا والله لقد ضعنا
سرقوا احلامي الوردية   سرقوا احلامي الوردية

(وبعد لحظة تفكير يشير بأصبع الاتهام الى الشيخ قائلا)
هذا المأفون له ضلع   وسنعرف سرا لقضية
فخذوه سريعا للقاضي   كي نقطع رأس الهمجية

(يهجم الحراس على الشيخ ويجرونه الى الخارج)

○ ○ ○

المنظر السادس

السر

غرفة باحد السجون .. نافذة الغرفة عالية ضيقة مليئة بالقضبان التي يتسرب منها شعاع ضئيل من الضوء .. الغرفة موحشة ، مقبضة للنفس والعين معا .. وبابها ضيق تعلوه كوة يطل منها السجان من حين الى آخر .. الشيخ قابع في ركن من اركان الغرفة المظلمة وحيدا مقيدا بالاغلال ممزق النفس والثياب يئن ويتوجع نتيجة التعذيب الوحشي .. ويناجي نفسه بالابيات التي سبق ان قالها في المنظر الاول :

الشيخ :
رعاك الله يا أمل   فمنك الصبر والعمل
حكايات لنا عجب   يشيب لهولها الحمل
شربنا المر الوانا   فقل لي : كيف نحتمل ؟
يحارب بعضنا بعضا   وضاع الرأي والخجل
كلاب الارض تنهشنا   متى ينهض لها رجل
متى يشرق لنا صبح   به الاحرار تحتفل

يفتح باب الزنزانة فجاة ويدخل شاب مفتول العضلات حسن الوجه ولكنه مكبل بالقيود والاغلال .. ويقف الشاب امام الشيخ .. ثم يغلق باب الزنزانة وبعد أن تتعود عين الشاب على ظلام الزنزانة .. ينحني امام الشيخ ويقبل يده في شوق ولهفة ..

الشاب : (في حب ولهفة)
ابي .....

الشيخ : (مستفسرا)
... **من انت يا ولدي ؟**

الشاب : (موضحا عاتبا)
... (**جهاد**) ... **كيف تنساني ؟**

الشيخ : (في لهفة)
.. (**جهاد**) **انت يا ولدي ؟**

(يتصفح وجهه قليلا ثم يضمه الى صدره)
.. **حبيبي .. بين احضاني ....**

حسبت الدهر ضيعنا

الشاب : (في ثقة وقوة)
... **محال انه الحاني ..**

الشيخ : (مستفسرا)
ولكن كيف ؟ خبرني اتيت برغم قضبان ؟
وكيف عرفت يا ولدي ؟ مكاني رغم سجان ؟
وهل (حوريتي) ضاعت بقبر مظلم ثان ؟

الشاب : (متنهدا)
سمعت بانها تحيا بقصر الماجن الجاني

الشاب : (متابعا حديثه)
يراودها فتعصاه ولا تعبأ بحرمان
تذوق الذل ممزوجا بتعذيب ونكران
ويحرمها ضياء الشمس مزهوا بسلطان

تكـاد تمـوت من كمـد ويـغـزل خيط اكفـان

الشيخ : (في ثقة)
لـهـا ربـي، سيـرعـاهـا ويبطـل كـل بـهتـان
ولكـن كيـف يـا ولـدي اتيـت بـرغـم سجـان ؟
وكيف عـرفت يا ولـدي ؟؟ مكـانـي رغـم قضبـان ؟

الشاب : (شارحا سبب مجيئه)
اتيـت بـأمـرهم قـالـوا : بـانـك خنـت اوطـانـى
سـرقت مفاتـح الاسـرار ...

الشيخ : (مقاطعا في غضب)
كـذابـون يـا ولـدي

الشاب : (مكملا حديثه)
قتلـت وزيـر دولتـهـم بـاخـوان وأعـوان
وقـد دبـرت مـا دبـرت كـي تحظـى بتيجـان
وان لـم تـعتـرف فـورا شنقت ....

الشيخ : (في رثاء للنفس)
..... جـزاء احسـانـى ......

اتيـت محـذرا عبثـا فمـن يسمـع لاشجـانـي ؟
وكيف تعـالـج البلـوى ؟؟ سـؤال هـز اركـانـي

الشاب : ((يتابع حديثه)
اتيـت بـأمـرهم قـالـوا : اذا لـم يـعتـرف فـورا
سنقتلـه ونـذبحكـم ونحـرقكـم بميـدان

الشيخ : (يربت على كتف ولده مطمئنا)

بنـى هـداك رحمـن رحيـم عـادل احـد
جزعت لباطل البهتان ؟ اين العزم ؟ والجلد
اتخشى الموت ؟.. كل الناس موقوت لهم اجل

اتخشى الفقر ؟.. والرزاق موجود وإن بخلوا
هداك الله يا ولدي .. فلا تجزع وإن جهلوا

الشاب : (في قلق)
ومـــاذا انــت قائلـــه ؟ ومـــاذا انـــت فاعلـــه ؟

الشيخ : (في ثقة)
اصــلي فــرض بــارئنــا صــلاة الشكــر للنــعــم
وادعــوه وارجــوه ليكشــف ظلمــة الــغمــم

يقوم الشيخ ويتجه ناحية القبلة ، ويصلي ركعتين لله .. ويدعوه ان يكشف الغمة فتعم الاضواء الباهرة الزنزانة اثناء الصلاة .. وتسمع ترانيم ملائكية جميلة .. وبعد ان يفرغ الشيخ من صلاته يلتفت الى ولده قائلا) :

الشيخ : (يربت على كتف ولده قائلا)
هــداك الله يــا ولــدي
فدعني راشدا واذهب
وقــل لــهمــو سيــعتــرف
لحاكمهم متى يرغب

الشاب : (متعجبا في دهشة)
وهــل حقــا ستــعتــرف ؟

الشيخ : (في هدوء وثقة)
.. نــعــم حقــا سـأعتـرف

يعانق جهاد اباه بحب شديد ويقبل يده وراسه .. ثم يذهب ناحية باب الزنزانة ويطرقه .. يفتح الباب ويخرج جهاد)

○ ○ ○

قاعة المحكمة ، وقد تصدر الوالي نفسه منصة القضاء بينما جلس على يمينه القاضي بملابسه المعهودة ، ووقف ممثل الاتهام امام منصته في زي الجلاد ..

اما الشيخ فماثل في قفص الاتهام ، والحراس في كل مكان ، اما حاجب المحكمة فقد وقف مستعداً لاعلان بدء المحاكمة .. تمضي فترة ترقب وانتظار قبل ان ينطق احد من المشاركين في المشهد .. وفجاة يشير الوالي بيده للحاجب .. ايذانا ببدء المحاكمة .. والوقت ظهرا ...)

الحاجب : (يصرخ معلنا بدء الجلسة)

برئاسة مولانا العادل — الجلسة فتحت فانتبهوا
ينصره الله ويرعاه — فالعدل سيأخذ مجراه

الوالي : (يشير الى الحاجب قائلا)

... ناد اسماء الأوغاد

الحاجب : (يشير الى الشيخ الماثل في قفص الاتهام)

.. الوغد وحيد مولانا — بالقفص الماثل ينتظر

الوالي : (يسأل ممثل الاتهام)

... ما التهمة ؟

ممثل الاتهام : (يشير الى الشيخ)

... هذا مولانا — الشيخ غريب الاطوار
قد حاك مؤامرة كبرى — واغتال وزير الاسرار
بل سرق مفاتح دولتكم — واليوم امامك يعترف

الوالي : (مهددا الشيخ)

اجبني انت متهم — بقتل وزير دولتنا
وقد دبرت ما دبرت — موهوما بغفلتنا
سرقت مفاتح الاسرار — من اعماق خزنتنا
وان لم تعترف فورا — قتلت بسيف غضبتنا
وعدلي سوف تعرفه — قصاصا رغم رحمتنا

الشيخ : (متهكما)

عجيب ما ارى حقا — واعجب منه ما زعموا
واين العدل يا هذا ؟ — وانت الخصم والحكم ...

الوالي : (صارخا)

تجادل مرة اخرى ؟ — وربي سوف انتقم

الشيخ : (في روية)

تمهل راشدا واسمع دليلي بعد برهاني
الم اك عندكم حتى دهاك الحادث القاني ؟
فكيف قتلت من زعموا ؟ وكيف اكون ذا الجاني ؟
ولم اعرف مفاتيحا واسرارا لانسان ..
انا ما خنت اعدائي فكيف اخون اوطاني ...

الوالي : (صارخا)

كفى لؤما ، ومعذرة اما قد جئت تعترف ؟

الشيخ : (في ثقة)

نعم قد جئت اعترف ...

الوالي : (في انشراح)

بماذا جئت تعترف ؟

الشيخ : (في ثقة)

بأني جئت في بلد غريب ليس اوطاني

وان النصح لا يجدي وربي شاهد حان
وان القاتل المأجور فيكم ....

ممثل الاتهام : (مقاطعا صارخا يمد اصبع الاتهام الى الشيخ قائلا)

... **انك الجاني** .....

الشيخ : (يرفع يديه الى السماء مبتهلا)

سألت الله رحمته سيخزيكم ويرعاني

تسمع جلبة وضوضاء صادرة من الخارج ... ثم يدخل القرود الثلاثة ومعهم شخص مكبل بالقيود يجرونه حتى يقفوا به امام منصة القضاء ...)

الوالي : (موجها كلامه للقرد الاول في غضب)

يا هذا ... ما هذي الفوضى ؟ بل كيف دخلتم ولماذا ؟

(يظهر الارتباك على كل من ممثل الاتهام والقاضي)

القرد الاول : (يجيب في خشوع)
عفـوك مـولانـا لا تغضب ارجـو ان تسمـع اقـوالي

الوالي : (في ضيق شديد)
افصح عن قصدك مختصرا ايـاك تـعطـل اعمـالي

ما القصة ؟

الاول : (يشير الى الرجل الذي يقبضون عليه)
... هذا مأجور ... اغتال وزيرك مولانا
الثاني : (مؤكدا قول الاول)
ووجـدنـا بـين مـلابسـه سر الاقفـال السـريـة

الوالي : (يشير الى الشيخ في شماتة قائلا)
قـد جاء شـريكك يـا هـذا وسنـعـرف سـرا لقضيـة

الثالث : (مؤكدا كلام الثاني)
قـد كـاد يفـر بفـعلتـه عنـد الاسـوار الشـرقيـة
ليبيـع مفـاتـح دولتنـا لكـلاب الارض السـوقيـة

الوالي : (يأمر الثالث بادخال العميل قفص الاتهام)
حسنـا ادخله الى قفص ... بجـوار صنيـع الهمجيـة

(يدخل العميل القفص الى جوار الشيخ)
الوالي : (يسأل العميل)
ما الاسم ؟
العميل : (في خزي ومسكنة) **رغال** (اشارة الى رمز الخائن العربي الشهير ابو رغال)
الوالي : (في سخرية)
لا مرحى ... بسليل الخسة والغدر

(يسأل العميل ومشيرا الى الشيخ)
وشريكـك .... هـــذا تـعـرفـه ؟

العميل : (يتفحص وجه الشيخ جيدا ثم يقول)
.. ابــدا ... ابــدا ... لا اعــرفــه

الوالي : (ساخرا مستنكرا)
اتريد حمايته ؟ طبعا (آمرا صارخا) **من هم شركاؤك خبرنا ؟**
العميل : (مؤكدا اعترافاته)
لا اعرف شيخكمو هذا ... ابدا لن اكذب .. ولماذا ؟

ما دمت سأقتل من فوري .... شركائي هذا (مشيرا لممثل الاتهام)
والقاضي ...

القاضي وممثل الاتهام معا : (يصرخان) **المجرم ضيعنا ... ضعنا ...**
المجرم ضيعنا ... ضعنا ...
القاضي : (في ثورة عارمة)
كذاب ... نذل ... عربيد ...
ممثل الاتهام : (يصرخ وهو يسب العميل)
مأجور .. وغد ... رعديد ..

الوالي : (يصرخ في ممثل الاتهام)
اسكت لا تنطق (ثم يسأل القاضي)**يا قاضي ما قولك فيما تسمعه ؟**
القاضي : (في ذلة)
كذاب .... مولانا ..
العميل : (مؤكدا اعترافاته)
ابدا ... والخاتم عندي والمال ...

قــد راســل ســرا اعــداءك كــي يسـلـم كـل الاســوار
ويفـوز بعـرشـك من غـده والـيـك اكيـد البـرهــان

يخرج العميل من صدره كيسا صغيرا يسلمه الى حارسه الذي يسلمه بدوره الى الوالي ويفتح الوالي الكيس ويخرج منه خاتما ورسالة ، يقلب الخاتم متأملا متذكرا ويقول :

الخاتم هذا أعرفه

(ثم يشير الى القاضي بعد ان تذكر قائلا)
أعطيتك إياه هدية

القاضي : (في ذلة)**الخاتم ضاع** ... (ثم يشير الى العميل قائلا) **وقد سرقه**
(في تبجج) **وهناك مئات الامثال** ...

الوالي : (يقرأ الرسالة ثم يقلبها في يده ثم يسأل القاضي)
ورسالة من هذي قل لي ؟
(مؤكدا) **بل هذا خطك اعرفه** (صارخا)**تبا لخداعك يا خائن** ..
(آمرا الحراس) ... **جروهم للسجن جميعا** ...

يهجم الحراس على كل من ممثل الاتهام والقاضي والعميل والشيخ ويقتادونهم جميعا الى الخارج .. ولكن الوالي يأمرهم في آخر لحظة باطلاق سراح الشيخ قائلا)

... **الشيخ بريء** ... **فدعوه** ....

(يطلق الحراس الشيخ ... ثم ينطلقون بالباقين الى الخارج)

الشيخ : (وقد تم اطلاق سراحه هاتفا) **الله اكبر** ... **الله اكبر**
(ثم يردد بيت الشعر المشهور) ..
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت اظنها لا تفرج

الوالي : (يربت على كتف الشيخ قائلا)
عينتك في سلك قضائي ...
الشيخ : (معتذرا) **لن اقبل الا ولديا** ...
(حرية) **روحي و**(جهادي)
الوالي : (مستوضحا) ... **ولماذا ؟**
الشيخ : (في خبث) **تسألني رأيي في صدق ؟ كي تعرف حقا ؟ ام ماذا ؟**
الوالي : (بحب وصدق) **اسألك النصح فصارحني** ..
الشيخ : (مندداً بعدالة الوالي)
... **هل آمن عدلك ؟ ام ماذا ؟**

الوالي : (ضاحكا) وقد فهم ما يرمي اليه الشيخ)
لــك عــهــدي أمن وســلام فــاصدقني رأيــك في الحكم

الشيخ : (مشيرا الى شعار المحكمة ذي القرود الثلاثة وميزان العدالة المائل)

ميزان العدل بدولتكم — كفته مالت للظلم
وقرود الحكمة مهزلة — والشعب يضج من الغرم
لن تحكم شعبا تظلمه — حتى لو ظاهر بالسلم
فأساس الملك عدالته — والعدل سياج للحكم
لن تكسب حربا واحدة — والناس تعامل كالبهم
صنع اسلحة لا تشرى — وامر بالعلم وبالادب
واحكم بالعدل وبالشورى — واحكم بالشعب وللشعب
قرآن الرحمة يرشدكم — للنور ويأمر بالحب
فاجعله دليلا دستورا — للدولة ينصركم ربي

الوالي : (يحتضن الشيخ وفي ود بالغ يقول)
احسنت النصح ومن غدنا — نحكم بالعدل وبالحب

الشيخ : (محرضا الوالي على البدء فورا)
عجل بالبر فعاجله — خير كي ندرك من سبقوا
يكفي ما فات فلا تهنوا — وتعالوا نبني ما هدموا

الوالي : (يشير الى شعار المحكمة سالف الذكر ويأمر قائلا)
اني امرت وباسم الله نبدؤها — مسيرة للهدى الله يحميها

فور نطق الوالي بعبارته السابقة .. يسطع نور باهر يغمر قاعة المحكمة ويتغير شعار المحكمة فيختفي شعار القرود الثلاثة ، ويحل محله شعار « الله اكبر .. العدل اساس الملك » كما تستوى كفتا الميزان .. اما شعار « المتهم مدان حتى لو ثبتت براءته » فيتحول الى شعار « المتهم بريء حتى تثبت ادانته في محاكمة عادلة ...)

الشيخ : (وقد بهره تحقق حلمه يحتضن الوالي بحب شديد ويهتف)

الله اكبر والاسلام يعلنها
حربا على الكفر لا قامت رواسيه
يا امة الخير هبوا اليوم واتحدوا
لا تتركوا الذئب يرعى في مراعيه

تمت



« غلاء المهور »

جاءنا من الاستاذة سعاد صبحي شحادة من الاردن كلمة تحت هذا العنوان تقول فيها :

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما في الناس بعد ان رأى غلاء المهور وأراد ان يحدد المهر باربعمائة درهم فقامت امرأة وقالت أما سمعت قول الله تعالى (... **وآتيتم احداهن قنطارا** ..)آية ١٩ من سورة النساء فقال اصابت امرأة واخطأ عمر .

وقال الله تعالى عن المهر (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيْ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**) آية ٣ من سورة النساء .

وقد جعل الله تعالى مهر المرأة خاصا بها وهي حرة التصرف فيه وهو هبة من الخاطب لخطيبته واكرام لها فليس لاحد من الناس ابا كان ام اخا ان يأخذ من هذا المال شيئا إلا برضي المرأة وموافقتها .

واية (... **وآتيتم احداهن قنطارا** ..)لا تعني غلاء المهور في الاسلام انما تعني انه ليس لاحد ان يحدد المهر لان الناس يختلفون في قدراتهم وفي امكانياتهم فجعل الله تعالى ذلك حسب الاتفاق بين الخاطب وخطيبته او وليها .

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة قال عليه الصلاة والسلام « .. عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » رواه ابو داود والترمذي .

وقال حديث حسن صحيح : والنواجذ : الانياب وقيل الاضراس فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيْ يسير جدا وزوج بناته رضي الله عنهن بشيْ يسير ايضا .

تقول فاطمة رضي الله عنها تزوجت عليا رضي الله عنه وليس لنا الا اهاب كبش كنا نعلف ناضحنا عليه بالنهار وننام عليه بالليل ، اي يطعمون عليه البعير في النهار ويقلبانه وينامان عليه بالليل .

وهذا سعيد بن المسيب التابعي رحمه الله زوج ابنته الجميلة العالمة من رجل فقير يدرس عنده العلم بدرهمين ورفض ان يزوجها لابن امير المؤمنين عبد الملك بن مروان وتزوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بخمسة دراهم فاقره رسول الله

صلى الله عليه وسلم . فالعبرة ليست بكثرة المهر او قلته بل العبرة في هذا المتقدم لخطبة الفتاة من وليها فاذا كان صاحب دين وخلق فاهلا به وسهلا وأما ان كان صاحب بدعة وبعد عن الدين فعلى ولي الامر ان يصرفه .

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » .

فاذا زوج المسلم ابنته لرجل عنده الدين فيكون مرتاح البال والضمير حتى لو كان زوجها فقيراسئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن زواج البنت فقال « زوجها لرجل عنده دين فان احبها اكرمها وان كرهها لم يظلمها » لأن دينه يردعه عن ظلمها .

اما في ايامنا هذه فنجد الاباء لا يسألون عن دين الزوج ولا عن خلقه بل يسألون اول ما يسألون عن وظيفته وماله فان كان غنيا زوجه وان كان فقيرا صرفه . فهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظهور الفساد الكبير الذي نجده قد استشرى في الامة فنجد الشباب ضائعين لا يستطيع احدهم ان يجد زوجة يسكن اليها وتسكن اليه بعد ان اخذ الاباء يطلبون الاف الدنانير والدراهم وغرف النوم والاثاث وما الى ذلك من الاشياء التي اخذ الناس يتسابقون فيها ويتنافسون في طلب مهر اغلى لا يستطيع معها الشباب ان يدفعوا مثل هذه المهور المرتفعة .

فأخذ الشباب يعزفون عن الزواج لان طرق الحلال اصبحت صعبة المنال وطرق الحرام اصبحت ايسر منالا واكثر يسرا .

ونجد البنات اخذن يكبرن ويبلغن من الكبر عتيا ولا يجدن من يتزوجهن لان آباءهن يطلبون مهرا كبيرا . وهذا كله مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم . فبمخالفة طريق الرسول صلى الله عليه وسلم تأتي الخسارة وباتباع سنته يأتي الفلاح والنجاح في الدنيا والاخرة .

فهذه البنات امانة في اعناق ابائهن ولهم الاجر ان هم احسنوا تربيتهن وزوجوهن من رجل صالح كن لهم سترا من النار .

عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين » وضم اصابعه رواه مسلم والجاريتين : البنتين .

وقال صلى الله عليه وسلم « من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار » متفق عليه ابتلى : اختبر وامتحن .

ولا يجوز للرجل ان يفرق بين اولاده الذكور والاناث في النفقة بل يجب عليه المساواة والعدل قال عليه السلام« اتقوا الله واعدلوا في أبنائكم .. » متفق عليه نسأل الله تعالى ان يعود المسلمون الى سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم في كافة شؤون حياتهم حتى يفوزوا في الدنيا والاخرة .



تدوين السيرة النبوية

ان السيرة النبوية الشريفة منهج حياة ومنطلق تاريخ الاسلام ومرجع للأحكام فكيف دونت أحداثها ومتى كان البدء في هذا التدوين

اسماعيل أحمد ـ تونس

ان كل الباحثين والدارسين المهتمين بتاريخ العلوم الاسلامية ، والحضارة العربية متفقون على أن تاريخ بداية تدوين السيرة النبوية كتابة وتصنيفا ، جاء بعد تدوين السنة وفي أواخر القرن الأول الهجري .. ذلك أن أول من ألف السيرة ودونها هو عروة بن الزبير المتوفي سنة ٩٢هـ .. ثم ابان بن عثمان المتوفي عام ١٠٥هـ ، ثم وهب ابن منبه المتوفي عام ١١٠هـ .. ثم شرحبيل بن سعد المتوفي عام ١٢٣هـ ، ثم ابن شهاب الزهري المتوفي عام ١٢٤هـ . الا أن معظم آثار هؤلاء لم يصلنا منه الا ما ذكره الطبري في كتابه في التاريخ لا كتابه في التفسير ـ ويقول بعض الباحثين أن آثار هؤلاء لا تخلو من « الاسرائيليات » ، ولهذا لم يكتب لها البقاء والخلود ، اللهم الا بعض البقايا المحفوظة في خزانة مدينة « هايدلبرج » بالمانيا ، ويتعلق الأمر بسيرة وهب بن منبه خاصة ..

وبعد هذه الطبقة الأولى من كتاب السيرة النبوية تأتي الطبقة الثانية وعلى رأسها « محمد بن اسحاق » المتوفي سنة ١٥٢هـ .. والذي يعد كتابه في السيرة النبوية من أوثق ما كتب في السيرة والمغازي ، وعليه اعتمد « ابن هشام » المتوفي سنة ٢١٣هـ في كتابه المشهور بـ « السيرة النبوية » لابن هشام ، وخصوصا اذا عرفنا أن الفرق الزمني بين تأليف هذين الكتابين في السيرة لا يتعدى خمسين سنة .

والحقيقة أن السيرة النبوية أسدت للتاريخ الاسلامي خدمة ما بعدها خدمة ، لان كتابها اعتمدوا الدقة والصحة في التدوين ، وتحروا كل شبهة من الشبهات الكاذبة ، والاسرائيليات المخادعة ، والأساطير الفارغة ، والخرافات المبالغة ،

ومن هنا نرى المؤرخين الاسلاميين يضعون السيرة النبوية في رأس قائمة « فنون التاريخ » عندهم حينما يقولون . « عرف العرب من فنون التاريخ **أولا - السيرة - ثانيا - الطبقات - ثالثا - التراجم - رابعا - التاريخ العام ثم الخاص** .. الخ .. ثم يقولون وهم ينوهون بالدور الفعال الذي تؤديه السيرة النبوية في بداية تاريخ الاسلام : « كان أول ما عنى به المسلمون - في التاريخ الاسلامي - سيرة النبي ﷺ .. وكان مرجعهم في ذلك ما رواه الصحابة والتابعون عن حياته ﷺ منذ ولادته ونشأته وبعثته وغزواته حتى وفاته .. » .

ولما اتسعت رقعة الاسلام ، وتفرغ الباحثون لكتابة تاريخ الاسلام مستقلا عن السيرة والأحاديث والتراجم والمغازي والطبقات في بداية القرن الثالث الهجري - وجدوا أمامهم السيرة النبوية كأكبر مصدر موثوق به فاعتنوا بها واعتبروها « المنطلق الأول لبداية تسجيل الأحداث الأولى لتاريخنا الاسلامي » .

نموذج اسلامي

من السيد عطية محمد شعبان رئيس المجلس الشعبي لمركز زفتى بمصر جاءتنا رسالة مطولة لعل اهم فقرة فيها هى : -

اصدر المجلس قرارا بالاجماع على التبرع بمكافأة جميع الاعضاء بالبدل الذي يتقاضونه من المجلس عن شهر واحد لمجاهدي افغانستان تقديرا منهم لهذا الدور المجيد الباسل الذي يقومون به ضد الشيوعية الكافرة وقد وقف الاستاذ محمد محمد شرف الدين عضو المجلس وقرر تنازله عن البدل الذي يصرف له شهريا طوال مدة وجوده بالمجلس لهؤلاء المجاهدين الأبطال ، كما أعلن تبرعه بدمه في نفس الوقت وقال : (اتمنى ايضا أن اقدم روحي وانال الشهادة في سبيل الله لنصرة الاسلام في اي مكان ، ويعلم الله وحده انني لو كنت املك شيئا آخر لتبرعت به وتنازلت عنه ويكفي أن اتبرع الآن بمبلغ أدخره من قوت اولادي) . وقد أحس جميع الاعضاء مع هذه الروح الطيبة والمشاعر الصادقة انهم امام مخطط عالمي كافر وعلى الجميع ان يواجهوه بحزم وايمان وترابط .

والمجلة تشيد بالروح الطيبة والنماذج الحسنة للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل نصرة الاسلام وتدعو الله أن يكثر منهم بين المسلمين .



واحد ونصف مليون مسلم في بريطانيا

يتكاثر المعتنقون للاسلام في دول العالم يوما عن اخر ويزداد اهتمام الرأي العام العالمي بهذا الدين كيف لا وهو دين الحياة والدين الصالح لكل زمان ومكان حتى انه في بريطانيا وحدها يوجد الآن اكثر من ٢,٥ مليون مسلم منهم ٥٠ الف بريطاني وعددهم في ازدياد مستمر .

وتقول صحيفة (الجارديان) في مقال لها عن الاسلام في بريطانيا :

٤٠٠ مسجد تقوم الآن في مختلف انحاء البلاد اما عدد المسلمين فيها فيناهز اليوم مليونا وخمسمائة الف مسلم وهم يناهزون بهذا العدد عدد سائر من يقومون بحضور الطقوس من المسيحيين في كنيسة انجلترا في ذروة المواسم والذين يقدر عددهم بحسب الاحصاءات بمليون وسبعمائة الف وبالرغم من ان التفسير الرئيسي لانتشار الاسلام في بريطانيا يعود للهجرة الا ان هناك عددا كبيرا يعتنق الاسلام ويقدر عددهم حاليا بخمسين الف مواطن .. وفي تصريح لبعض هؤلاء المعتنقين للدين الاسلامي من البريطانيين يقولون انهم تحولوا لاعتناق هذا الدين عندما اتيحت لهم الفرصة لمصادقة بعض المسلمين المقيمين في بريطانيا حيث امكنهم قراءة القرآن الكريم المترجم للغة الانجليزية فلمسوا بعد الشقة من الفراغ الذي كانت تحفل بها حياتهم وخلوها من أي مثل اخلاقية أو أدبية .

ويقول هؤلاء المسلمون انهم معجبون كثيرا بالخصال الاسلامية اما النساء فيرحبن بالازار الذي يغطي وجوههن ويصفنه بانه جهاد اخر اشارة الى الجهاد المفروض على كل مسلم بحمل رسالة الاسلام الى الشعوب الاخرى والقتال في سبيله في وجه المشركين والكفرة ، أن كثيرا من

هؤلاء المعتنقين للاسلام رجالا ونساء هم من طلبة الجامعات الذين اتيحت لهم فرصة التعرف على هذا الدين خلال زيارات لهم للبلاد الاسلامية حيث عادوا الى بريطانيا ليعتنقوا الاسلام ويتعرضوا لاضطهاد من معلميهم واقرانهم ولكنهم مع ذلك يرحبون بهذا الاضطهاد لانهم يقارنونه بالاضطهاد الذي تعرض له النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سعيه لاظهار الحق وسط محافل المشككين والكفرة ويجمع المعللون لهذه الظاهرة على انها تكمن في حالة التفكك الاخلاقي الظاهر الذي بات منتشرا في الدول التى اعمتها الحضارة الحديثة عن ذكر الله كازدياد حالات الطلاق وتفكك العائلات والتشرد في صفوف الشباب والاجرام وانكار الله وانعدام التلاحم الاجتماعي ، وتقول احدى النساء المعتنقات للاسلام وقد اطلقت على نفسها اسم سكينة في تصريح لها ان اللباس المتعارف عليه للمرأة المسلمة رائع جدا فهو يقضي على السفور ويحول دون اثارة الشهوات .. كما ان سائر الحدود التى نص عليها القرآن الكريم عادلة ومفيدة .

ان الكفرة ينكرون الاعتقاد بكل كلمة من الكتب السماوية المنزلة اما نحن في الغرب فاننا نتمسك ببحث المظاهر الخارجية الا اننا لا نغوص الى كوامن هذا الدين الالهي الذي يحمل اكثر من رد على جحافل الكفرة والمشككين والذين باتوا اكثر من رمال البحر هذه الايام في مجتمع بات لا يعي الا المادة وابعاد المادة والعياذ بالله .

اول نسخة لترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية

ستصدر قريبا في الصين اول نسخة لترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية الحديثة .

وكان مترجم هذه النسخة وهو محمد مكين قد بدأ ترجمتها في عام ١٩٣٩ ولكنه توفي في عام ١٩٧٨ دون ان يشهد صدورها .

وسبق ان اصدرت في الصين ست ترجمات صينية للقرآن الكريم فيما بين ١٩٢٠ م و ١٩٣٠ م بيد ان اللغة الصينية التقليدية المستخدمة في هذه الترجمات قد جعلتها غير مفهومة للقاريء العادي .

وتقدر الاحصائيات عدد مسلمي الصين باكثر من عشرين مليونا .

اقرأ في هذا العدد

صورة الغلاف

مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة المكرمة

المملكة العربية السعودية

الجزيرة العربية أرض مترامية الأطراف ، تقع بين قارتي افريقيا وآسيا ، تفصلها عنهما مساحتان مائيتان كثيرتا التضاريس ، احداهما هي البحر الأحمر ، والأخرى هي الخليج العربي ، بينما يحدها من الجنوب الغربي خليج عدن ، ومن الجنوب الشرقي خليج عمان . في ثنايا هذه المساحات الشاسعة من الأرض ، تمتد المسالك المتعرجة التي عبرت منها إلى العالم أثمن هبة وافدة من الجزيرة : ألا وهي العقيدة الاسلامية .

ومساحة الجزيرة العربية تتجاوز مليونا من الأميال المربعة ، تشغل منها المملكة العربية السعودية أكثر من ٨٧٠,٠٠٠ ميلا مربعا ، يقطنها سبعة ملايين نسمة .

وتنقسم المملكة العربية السعودية إلى عدة مناطق إدارية ، أهمها : المنطقة الوسطى المعروفة تاريخيا باسم (نجد) وعاصمتها الرياض التي هي عاصمة البلاد أيضا ، ثم المنطقة الغربية المعروفة تاريخيا (بالحجاز) وأهم مدنها مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة ، والطائف ، والمنطقة الشرقية المعروفة تاريخيا (بالاحساء) وعاصمتها الدمام ، ومنطقة الجنوب المعروفة تاريخيا (بعسير) وعاصمتها أبها ، والمنطقة الشمالية وأهم مدنها تبوك .

ويحد المملكة العربية السعودية من الشمال الأردن والعراق والكويت ، ومن الشرق قطر والامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ، ومن الغرب البحر الأحمر ، ومن الجنوب اليمن ، وسلطنة عمان ، وليس في المملكة أنهار جارية ، كما أن المناخ عموما حار وجاف خاصة في المناطق الوسطى .

وتعتمد المملكة على الثروات البترولية في اقتصادياتها .

تنتمي المملكة العربية السعودية لعدد من المنظمات والهيئات الدولية ، فهي عضو مؤسس للأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي العالمي ، وعضو في الجامعة العربية ، وهيئة الأمم المتحدة ، وصندوق النقد الدولي ، وفي عدة مؤسسات وهيئات عالمية اخرى .

ومنذ قيام المملكة العربية السعودية على يد المغفور له الملك عبدالعزيز ، أرسيت قواعد الحكم فيها على أساس كتاب الله وسنة نبيه الكريم .



طباعة موسسة دار السياسة – الكويت –